HISTOIRE ANCIENNE
… CHERKESSES

الشركس في فجر التاريخ

المؤلف: برزج أمين سمكوغ

العنوان: حرستا - ضاحية الأسد

ص - ب ١٢٩ - الهاتف: ٥٣٥٠٣٩٣

الطبعة الأولى - عدد النسخ ١٠٠٠

تاريخ ١/١٠/١٩٩٥

المطبعة: مطبعة طربين

بلاكات زنكوغراف: يوسف أيوبية - دمشق

* * *

سيصدر الجزء الثاني بعنوان

الشركس في التاريخ

من بدء العصور الميلادية وحتى ظهور الاطماع الروسية

برزج سمكوغ

الشركس في فجر التاريخ

HISTOIRE ANCIENNE DES TCHERKESSES

شعوب شمال القفقاس الأصلية حتى عصور الميلاد

LES PEUPLES DU NORD DU CAUCASE , DES ORIGINES
JUSQU'A JESUS - CHRIST

منشورات دار علاء الدين

دار علاء الدين

كلمة لابد منها

تبقى حوادث التاريخ مثيرة بسبب مفارقاتها العجيبة حتى لو تشابهت صورها وأحداثها في مختلف الأزمنة وفي أنحاء متفرقة من العالم، وإن أكثر هذه الصور تكراراً هي أكثرها مأساوية، فعندما يتجاور شعبان أحدهما كثير العدد، يشعر لكثرة عدده بأنه قوي،ويرى في نفسه التمدن والتحضر، وقد سخر الله له حكماً قيصرياً دكتاتورياً من أولى سماته أنه يستعبد الأرض والإنسان، ويسخر طاقات شعبه الديمغرافية في إستلاب أراضي الشعوب المجاورة، ولا يبالي في سبيل تحقيق أطماعه الامبراطورية والاستعمارية حتى لو أباد كل هذه الشعوب بما فيها شعبه هو والذي لايرى فيه إلا آلة للحرب أوقناً في الأرض.[1]

أما الشعب الآخر فهو صغير قليل العدد يعتبره جاره القوي متخلفاً او يراه همجياً (بدون وجه حق) ويجب عليه أن يقوم بتمدينه وهذا يبرر له قتله فوق أرضه أو يدخل رغماً عنه في الحضارة التي يدعى امتلاكها.

يقوم هذا الأول تحت ستار هذه الذريعة التي غدت تقليدية بتحقيق أطماعه في الاستيلاء على أراضي الجوار وسبي سكانها وتهديم بنائها الاجتماعي والحضاري بشتى الوسائل والطرق الغير مشروعة.[2]

وعندما يقع في التناقض وتتكشف نواياه، يلجأ الى إستئجار عشرات الكتاب الذين يوظفهم في بلاطه للتهليل والتكبير له، ويلجأ الى إطلاق

أكاذيب جديدة لتغطية أعماله، هذه الأكاذيب التي يحاول جاهداً تسويقها ولكن أحداً لايصدقها. [٣]

مثل هذه الحوادث التاريخية شائعة في كل زمان ومكان وتجري تحت سمع وبصر العالم.

المفارقة هنا أن الروس هم الشعب الكبير الكثير العدد الذي أدعى قياصرته وأباطرته الحضارة والتمدن والذين ساقوا شعبهم سوق النعاج في حرب ضروس في حين أن هذا الشعب كان يعيش مرحلة الإقطاع والأقنان (عبيد الأرض) وهذه الحقيقة التاريخية يقرها جميع المؤرخين.

وإذا بحثنا عنهم في سفر التاريخ فإننا لانعثر على ذكر لهم الى زمن يعود الى أبعد من عشرة قرون، حيث يقول المؤرخون أنه جلبتهم الأقوام الفاتحة القادمة من اواسط آسيا والتي غزت السهوب الروسية كالهون والأوار، وقد جاؤوا في ركابها، واستوطنوا أراضي المستنقعات في الشمال. [٤]

وقد خضعوا في بداية عهدهم لكل الأقوام التي اجتاحت السهول والسهوب الروسية عبر التاريخ (قرون مابعد الميلاد) قادمة من الشرق متجهة إلى الغرب ، ولم يكن لهم أي كيان حتى غزتهم أقوام النورمانديين من الشمال (الفايكينج) الذين جمعــوا هــؤلاء كرعــايا .لهم كانــوا هــم (النورمانديون) امراؤهم وحكامهم، وهؤلاء كانوا بقيادة المدعو (روريك) الذي صار أميراً على مدينة (نوفغورد) ، ومن اسمه روريك أخذ الروس إسمهم وكان ذلك في القرن التاسع للميلاد. [٥] ويقيت نوفغورد عاصمة لهم حتى نازعتها كييف ثم تخلتا لموسكو عام ١٤٧٨ عن الزعامة.

في حين كانت شعوب شمال القفقاس (الشركس) هم الشعب الصغير الذي يجب تمدينه وذلك بتدميره وإستلاب أرضه بعد إبادته إبادة تامة إن أمكن بإرسال الجيوش تلو الجيوش لقتله فوق أرض آبائه واجداده لا لذنب اقترفه سوى أن بلاده كانت تقع في الطريق لإحياء الامبراطورية البيزنطية بإعادة الإستيلاء على القسطنطينية (اسطامبول) وأنه أي الشركس كانوا يدافعــون عن بــلادهم وعن حــريتهم وكرامتــهم بمقدرة وبسالة فاقت كل

التوقعات وألحقت الهزائم الشنيعة بجيوش كانت تفوقهم تعداداً واستعداداً وسلاحاً.

والحقيقة هي أن الجيوش الروسية كانت تغرف من معين لاينضب من الشعوب التي كانت موسكو القيصرية قد استعبدتها شرقاً وغرباً وبسرعة عجيبة، وقد ورد ذكر جنسيات الجنود التي كانت تهاجم الشركس في المراثي الشركسية وقد كانت على النحو التالي:

(المجق ـ القرة قوم ـ القزق)[٦] هذا بالإضافة الى البولونيين الذين كان الكثير منهم يهرب من الجيش الروسي الى ديار الشركس ويلتجؤون إليهم كلما سنحت الفرصة لهم.[٧]

كان الشركس هو الشعب الذي رفض الخضوع للإحتلال وبذل في سبيل الدفاع عن أرضه كل قواه الفاعلة، وبقي أفراد الشعب في نهاية الحرب مكوناً من النساء والأطفال والشيوخ فقط[٨] عبر حرب استمرت أكثر من قرن وربع (١٧٢٠ ـ ١٨٦٤)م وكان وقودها أكثر من ست أجيال من الشركس وقرابة مليوني جندي روسي.

لابد لنا إذن من الإحاطة بجوانب القصة التاريخية لهذا الشعب الباسل، وعبر مراحل التاريخ المختلفة مبتدئين منذ أقدم العصور حتى نصل في النهاية الى دراسة واقعه الحالي المأساوي وهو يعيش في كيانات الحكم الذاتي الصورية التي مزقت وجوده الحضاري والقومي[٩] أو يعيش في المهاجر موزعاً على أكثر من ٤٠ بلداً في العالم.

ونحن على ثقة أن هذه القصة بقيت مجهولة في العالم، ولم تسلط عليها الأضواء لندرة المؤلفات التي تطرقت لهذا الموضوع باللغة العربية خاصة. والشركس في العصر الحديث لم تتيسر لهم السبل لكتابة تاريخهم بالشكل المطلوب بسبب توزعهم وتشتتهم في أقطار متعددة.[١٠]

ونحن نهدف من كتابنا هذا إيضاح عمق المأساة الإنسانية التي تعرضت لها الشعوب الشركسية المسلمة في أقصى الشمال للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر .

ولتحقيق هدفنا هذا نقوم بإستعراض كل ما له علاقة بتاريخ هذه الشعوب منذ القديم، مستندين الى الحقائق الثابتة فقط، مبتعدين عن الاستنتاج الذي لا سند له ، لنوضح الواقع المأساوي للشعوب الشركسية التي تعرضت أوطانها في منتصف القرن الماضي لإحتلال إستعماري مأساوي قل مثيله، ثم سلطت عليهم عمليات القهر والتذويب العنصري والعرقي والديني قرابة قرن ونصف من الزمن ومع ذلك فهم ما زالوا على قيد الحياة.

ويمكننا أن نلخص واقعهم الحالي وعلى لسان أستاذ التاريخ القديم وعالم اللسانيات في جامعة السوربون (آيتك ناميتوق)[11] إذ يقول :(إنه لقانون تاريخي في أن الشعور بالإستقلال والنزوع الى الحرب يكون قوياً أكثر ومستمراً أكثر عند سكان الجبال إن الجبلي حتى لودفعه الغزو الأجنبي الى آخر ملجأ له فإنه يصبح مغلوباً ولكنه لايرضخ أبداً... إن الجبلي لايقهر تماماً ولايندمج إطلاقاً) .

قد لخصت هذه العبارات واقع شعوب شمال القفقاس في العصر الحالي ومأساتها المستمرة منذ بداية القرن الثامن عشر(١٧٢٢)، منذ حملة بطرس عبر الفولغا وبحر الخزر واحتلاله باكو،[12] ومنذلك التاريخ تعرض شمال القفقاس لحرب إستعمارية شرسة مترافقة بغزو إستيطاني منظم يشبه الى حد كبير ما جرى في العالم في موجة الغزو الإستعماري وتشكيل الامبراطوريات الإستعمارية ولكن حرب إحتلال الروس للقفقاس الشمالي كانت إضافة الى ما سبق مترافقة بأعمال الإبادة الجماعية والتهجير القسري واتسمت بالعنف والشراسة والهمجية وكانت قليلة الرحمة بمصائر الناس والشعوب التي لم تأل جهداً في الدفاع عن وجودها.

وقد استمرت الحرب الدفاعية لشعوب شمال القفقاس من عام ١٧٢٢ - حتى عام ١٨٦٤ أي قرابة قرن وربع من الحروب وسفك الدماء حتى غلبت الكثرة الشجاعة وتم الإحتلال على جثث مئات الآلاف من الشهداء.[13]

وهذه الحرب من أية زاوية ينظر لها كانت جرائم قتل جماعية، تقوم بها

جيوش مدربة على القتال في الساحة الأوربية (حروب نابليون ـ حروب بولندا ـ حروب القرم...) .

وبجهزة بأحدث أسلحة ذلك العصر وإستهدفت إبادة هذه الشعوب كسياسة رسمية وذلك بإبادة كل أثر حي(الزرع و الضرع) كما وألبسوها في كثير من المراحل رداء الحروب الصليبية بإطلاق الشعارات الدينية، ثم جرت مؤامرات الطرد والتهجير القسري لشعوب بكاملها من أوطانها، وقد كان الشرط الأول الدائم للروس على الأتراك في كل مفاوضاتهم (إبعاد الشركس الى أبعد مسافة ممكنة عن أوطانهم) (١٤).

ويمكن أن يدلنا هذا الشرط على أن الغزاة لم يكونوا يصدقون أنهم تمكنوا من كسر شوكة هذه الشعوب، ويخافون من عودتها مستقبلاً إن تبدلت الظروف الدولية والتي كادت أن تتم عام ١٩١٧ في الحرب العالمية الأولى حيث توجه من تركيا جيش شركسي بجنوده وضباطه لتحرير القفقاس لولا اندحار تركيا بسرعة ونزول الحلفاء على الساحل التركي، فإضطر هذا الجيش الشركسي الذي كان ذاهباً لتحرير القفقاس الى العودة والقتال من أجل تحرير تركيا من الغزو الأوربي لأراضيها حتى ظهور اتاتورك .

إن هذه الشعوب وقد تمت إبادة كل قواها الحية خلال أكثر من قرن وربع من الحروب ثم تم تهجير من بقي حياًمنها ليموتوا من الجوع والبرد والمرض والأوبئة، أو في ساحات القتال العثمانية التي كانت جيوشها تنهزم في كل مكان، وقد جند(١٥) الشركس لها سريعاً عسى ان يوقفوا بدمائهم وشجاعتهم التدهور السريع للإمبراطورية الهرمة، وهكذا نقل العثمانيون

هذا الشعب او بقاياه من جبهة الصراع الروسي الى جبهة الصراع الأوربية والشرق الأوسط دون شفقة أو رحمة .

فالمسؤولية الكاملة تتحملها الامبراطورية الروسية التي ورثت هذا الإرث المزري لمن جاء بعدها من أنظمة روسية اخرى لم تفكر احداها يوماً بالتكفير عما حدث وإنما زادت من عدوانيتها ونثبت كلامنا هذا بما تم

من إعادة احتلال القفقاس خمس مرات كان آخرها الحرب العدوانية الروسية ضد الشيشان كما ويتحمل العثمانيون المسؤولية في خذل هذه الشعوب والاحجام عن تزويدها بالسلاح أثناء حروبها الدفاعية ثم نقل من تبقى منها وتشتيتهم في أرجاء امبراطوريتها المنهارة والذي كانت حجته المعلنة (الدافع الإسلامي الإنساني) .

نص برقية يلتسن

نداء حول مضي ١٣٠ سنة على انتهاء الحرب. القفقاسية "الروسية" إلى شعوب شمال القفقاس

أيها المواطنون المحترمون : تعيدنا الأحداث القديمة التي تعود إلى أكثر من قرن. إلى سنوات النضال من أجل القفقاس والصراع بين مصالح الامبراطورية الروسية وبريطانيا وفرنسا وايران وتركيا والتي تتحمل كل منها نصيبها من المسؤولية المعنوية لمعاناة الشعوب الجبلية (الشركس) .

أيها المواطنون إن نتائج الحرب القفقاسية الروسية التي سببت ضحايا بشرية كثيرة وخسائر مادية لا تزال إلى الآن تسبب الألم في قلوب الكثيرين من الروس .

لتكن الأرض فداءً لمن سقط على أرض المعركة وفقد حياته من قسوة الحرب ، ولمن غادر وطنه ومات في الغربة وهو يعاني مرارة فقدان الوطن . لتحفظ الذكرى عن الأحداث الحزينة القديمة في قلوب الأحفاد لتخدمنا جميعاً وتبعدنا عن ماسٍ جديدة .

لقد قيمت الحرب القفقاسية الروسية باشكال مختلفة حسب التوجهات السياسية للفترات التاريخية المختلفة واليوم وروسيا تبني دولة حقوقية

تعترف بكل ما هو ثمين للإنسانية جمعاء وتظهر امكانية لنظرة موضوعية جديدة لأحداث الحرب القفقاسية كنضال بطولي قامت به شعوب شمال القفقاس ليس فقط من أجل الحفاظ على أرضها إنما أيضاً من أجل الحفاظ على الثقافة الوطنية أفضل مزايا الطابع القومي .

إن المشاكل التي وصلتنا كنتيجة للحرب القفقاسية وعلى الأخص مشكلة عودة أحفاد القفقاسيين المهاجرين إلى الوطن التاريخي يجب أن تحل على المستوى الدولي بطريق المحادثات باشتراك كل الجهات المهتمة.

أيها المواطنون الأعزاء :

في وعينا إن القفقاس وروسيا أصبحا مفهومين مترابطين بشدة ولا يمكن تصور احدهما دون الآخر وأنا متأكد بأن انتشار بناء الدولة الديمقراطية والاتفاق بين الشعوب كفيل بأن يحقق أفضل الاحلام من رفاهية وازدهار الشعوب التي تسكن بلادنا .

- ترجمة عن الروسية للدكتور زهدي سطاس
- يرجى ملاحظة الفارق بين (النظرية والتطبيق)

وهو المضمون الدائم لكل السياسات الروسية في القفقاس ولمختلف الأنظمة السياسية .

١ ـ يقول ميخائيل لاخفتسكي مؤلف الرواية التاريخية ـ دوي الرعد فكرت بكل الامور وتساءلت الا تبدو الحرية التي يحياها الشركس مغرية جداً للقن الروسي وتشكل خطراً على استمرارية الحكم الدكتاتوري للقياصرة (يذكر معظم المؤرخين هذا الفارق الحضاري وتمتع الشركس بالحرية والديمقراطية انها كانت من اهم الأسباب لدى القياصرة لشن حرب الإبادة على شعوب شمال القفقاس .

٢ ـ يقول موفد القيصر الروسي ـ ياابراموف ـ في تقريره المقدم للقيصر (عنوان كتاب القوقازيون الشركس ترجمة الدكتور زهدي و راتب سطاس ما يلي : ماذا تعني هذه الظاهرة ..؟ إذا قارنا بين ما قام به السكان الأصليون للقوقاز والذي نفذناه نحن الروس، فإننا يجب أن نعترف بأن الأمة الأقل حضارة والأقل حباًللعمل هي الأمة الروسية بالذات.

٣ ـ كان البلاط الروسي يعج بالكتاب المرتزقة والمستشارين وهم يعدون بالعشرات ومن مختلف الجنسيات ومن الكتاب ـ كوبيفر ـ كاربونيفير ـ بيرجيه ـ بوتو ـ وغيرهم ومن الضباط كلوجناو ـ تودلبين ـ فريتاغ ـ باولوتشي ـ باسكفيتش ـ هيرمان وعشرات غيرهم وعندما دخل يرملوف غرفة الانتظار لمقابلة مكتب الامبراطور سأل الحضور ساخراً ـ هل لي أيها السادة أن أسأل إن كان أي منكم يتكلم الروسية؟ من كتاب احتلال القفقاس سبق ذكره ص ١٢٩ ـ ٥٣١ .

٤ ـ غزو الهون ١٥٠ ق.م غزو الأوار ٥٥٩ ق.م

٥ ـ يرجع الى كتاب أباطرة وابطال الجزء الأول تأليف الدكتور شوكت المفتي يرجع الى مجلة العلوم المجلد ٩ العددان ٧ ـ ٨ مقالة بعنوان (الاكتشافات العلمية الأثرية في نوفغورد) بقلم ف . ل يانين مدير حفريات وآثار نوفغورد

٦ ـ يرجع الى كتب المرحوم (كوبه شعبان) كتاب الفلكلور الشركسي طبعه باريس ١٩٣٩ ـ وكتاب مرايا طبعه بيروت ١٩٥٣ مجموعات من المراثي والقصائد منها قصيدة تصف اقتحام قرية (شحه كواشه) ووصف للفظائع التي ارتكبها الجنود ضد الشيوخ المرضى والنساء والأطفال حيث كانت الفتيات يلقين بأنفسهن في مياه النهر لتغرقن حتى لاتقعن في الأسر وكان سكان القرية في معظمهم من عشيرة آل دوغوظ المعروفة وكانت جنسيات الجنود على النحو التالي: المجق: هم فلاحو الروس الاقنان القره قوم من آسيا الوسطى ، القزق هم بدو الروس .

٧ ـ كان الضباط البولونيين والشخصيات السياسية المنفية الهاربة من الاحتلال الروسي لبلادهم يتراكضون ويدقون ابواب الحكومات والسفارات طالبين مساعدة الشركس في حربهم ضد روسيا، وكان مجندوهم في الجيش الروسي يهربون بأسلحتهم الى

الشركس فيكرمون وفادتهم (كان تعداد الجنود البولونيين في الجيش الروسي ٣٠ الف جند) وقد اعترف الشركس بالموقف البولوني النبيل فوضعوا لحن النشيد الوطني البولوني لإحدى أناشيدهم القومية الشهيرة بعنوان (وطن الآديغة) .

٨ ـ يقول ابراموف سبق ذكره في وصف جماعة مهاجرة من قبيلة القبرطاي في محطة قطار منرال فودي: كان عددهم أكثر من عشرة وان هؤلاء كل من بقي على قيد الحياة من العشيرة وفي هذه المجموعة ظهر الشيوخ الكبار أو الأطفال الصغار .اا انهم اثروا تأثيراًعميقاً ويعثوا في احتراماًلا إرادياً نحوهم كان واضحاً جداًان هؤلاء الناس يمتلكون الدفاع عن جدراتهم.

٩ ـ المقصود هي كيانات وجمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي المصطنعة التي لاحول ولا قوة وقد تم خلطها بأقوام واستيطانات غريبة وجرى تجزئتها وتفريقها بشكل عجيب وعلى مبدأ سياسة فرق تسد وفي الزمن الستاليني وعندما كانوا يطبقون مثل هذه السياسة في القفقاس كانوا يقومون بفضح وكشف اتفاقية سايكس بيكو فهل أرادوا الظهور للعالم الخارجي بمظهر المدافع عن حقوق الشعوب ؟! .

١٠ ـ يتوزع الشركس في المهاجر على اكثر من ٤٠ بلداً ولكنهم يكثرون في تركيا

١١ ـ البروفسور ناميتوق ١٨٩٢ ـ ١٩٦٣ من مواليد حوض الكوبان خريج جامعة بطرسبرغ غادر بلاده اثر القضاء على جمهورية شمال القفقاس من قبل الجيش الأحمر عام ١٩٢١ واستقر في باريس شارك في كل الحركات التي كانت تعمل من اجل وحدة شعوب شمال القفقاس كان يتقن ٦ لغات وكان عضوا في جمعية اللسانيات في السوربون واحد مؤسسي دراسات حوض البحر المتوسط له كتاب أصل الشركس وكتاب قصص تسي ابراهيم بالإشتراك مع البرفسور جورج دوميزيل وله ابحاث كثيرة نشرت في الدوريات التي تصدر في باريس وخاصة في مجلة تاريخ الأديان كرس حياته للنضال السياسي لتحرير شمال القفقاس وللمحافظة على التراث والثقافة الشركسية.

١٢ ـ قاد بطرس الأكبر هذه الحملة شخصياً بعد أن كان قد ارسل حملتين سابقتين ابيدتا إبادة تامة وكان جيشه برياً وبحرياًوالجيش البري مؤلفاً من ٢٢ الف من الجنود الذين سبق لهم ان حاربوا في السويد و ٩ آلاف من الخيالة يضاف اليهم ٧٠ الفاً من القوزاق والتتار والقالمق إضافة الى الاسطول البحري الذي وصل الى نقطة الانزال في ٢٧ تموز ١٧٢٢ على شاطىء بحر الخزر قرب باكو ويمكن اعتبار هذا التاريخ البداية للحرب الروسية الشركسية التي استمرت حتى عام ١٨٦٤ م .

١٣ ـ يرجى الرجوع الى مباحث كتاب التهجير تأليف نهاد برزج .

١٤ ـ من كتاب السنه الأخيرة لحروب الشركس من أجل الاستقلال تأليف فون فيل ترجمة فاخر ديجن: كنت اعرف ان هؤلاء سيهاجرون جميعاً بالرغم من نصائحنا لهم وان الذين وصلوا هنا اوائل الشتاء وكان عددهم ١٢ ألفاً ماتوا جميعاًمن المرض والجوع والحمى التيفية اقرأ من ص ٧١ حتى ٧٦ ·

١٥ ـ كتاب التهجير سبق ذكره ص ٤٤ حتى ٤٧ ·

★ ★ ★

المقدمـــــة

١ ـ إيضاح بعض التسميات الهامة
٢ ـ لمحة عن أدوار التاريخ
٣ ـ الرقعة الجغرافية ، والزمن موضوع البحث

١ ـ (إيضاح بعض التسميات الهامة)

تسمية شركس: كلمة أطلقها الأجانب في بداية الأمر على إحدى قبائل شعب الآديغة، ثم غدت مع الزمن تسمية عامة شملت كل الشعوب التي تستوطن شمال القفقاس، وقد أختلف في أصل هذه الكلمة، فمنهم من قال بالأصل اليوناني أو الروماني أو الفارسي أو التتاري.[١]

ما يهمنا في هذا الكتاب أننا نستعمل هذه التسمية بمعناها العام، وعندما نقول (شركسي) فإننا لانخصص شعباًبعينه وإنما يقصد ما أريد بهذه الكلمة من تعميم يشمل كل شعوب شمال القفقاس الأصلية ويشمل أيضاً الشعوب المستوطنة قديماًوصارت شعوباً قفقاسية،وعندما نريد تخصيص أحد هذه الشعوب فإننا سنذكرها بأسمائها القومية منعاً للإلتباس.

شعوب شمال القفقاس الأصلية أو المحليةPaleo Caucasiens

هي الشعوب التي أثبتت الدراسات وأثبت البحث والتنقيب الأثرى أنها نشأت في المكان الجغرافي الذي هو شمال القفقاس، وهي موجودة فيه منذ عصور ما قبل التاريخ والى زمن يعود الى العصور الحجرية مما أشارت اليه أعمال التنقيب العلمي كالتعاقب المنتظم للطبقات وإستمرارية التطور الحضاري دون فترات إنقطاع، مما يسمح لنا بالقول بالنشوء والإرتقاء الذاتي في المكان غير قادمة من أي مكان أخر، (يرجى الرجوع الى مباحث العصور الحجرية)[٢] كما أشارت نتائج التنقيبات الى قرابتها وأصولها المشتركة وقد انقسمت الى مجموعتين:

المجموعة الغربية

١ ـ **الآديغة:** وهي الكتلة الأكبر والأكثر عدداً وتستوطن النصف الغربي من شمال القفقاس (ساحل البحر الأسود حتى حوض نهر الترك مروراً بحوض الكوبان) وهذا الشعب يتألف من حوالي ١٧ قبيلة أكبرها وأكثرها عدداً قبيلة القبرطاي، ولغة جميع هذه القبائل لغة واحدة بلهجات متقاربة.

٢ ـ **الوبخ:** قبيلة تعرضت لخسائر كبيرة في الأرواح أثناء الحرب الروسية الشركسية فإندثرت واندمجت بقبائل الآديغة إ ندثرت لغتهم التي تعتبر وسطاً بين لغة الآديغة ولغة الأبخاز.(٣)

٣ ـ **الأبخاز:** شعب يسكن الساحل الشرقي للبحر الأسود خلف سلسلة جبال القفقاس ومايسمى بالكولخيد تاريخياً وتسمى أبخازيا اليوم. وقد تعمقت لهجات (أدغة وبخ أبخاز) حتى غدت ثلاث لغات، تظهر قرابتها الشديدة فيما بينها بشيء بسيط من التحليل (٤)

المجموعة الشرقية:

١ ـ **الوايناخ** : وبلادهم تسمى (ديغست)(٥) وهي الكتلة الأكبر والأكثر عدداً في الجزء الشرقي وتستوطن المجرى الأوسط لنهر الترك وروافده، وتتألف من قبيلتين الكبرى هي الشيشان والصغرى هي الغلغاي لغتهما واحدة بلهجتين متقاربتين.

٢ ـ **الأستين** : ويعودون في أصولهم البعيدة الى قبيلة (اللاز أو الآس) القفقاسية الأصلية مع تأثيرات هنداورية (الألان، العجم) ويظهر أثر ذلك في لغتهم ولهجاتهم (٦)

٣ ـ **الداغستان** : وهم شعوب كثيرة قسم منها من شعوب القفقاس الأصلية وقسم آخر من الشعوب المستوطنة القديمة الإستيطان حتى غدت قفقاسية(٧)

المستوطنون في شمال القفقاس

١ ـ **المستوطنون القدماء** الذين استوطنوا القفقاس الشمالي في مناسبات تاريخية غابرة وغدوا مع الزمن من شعوب القفقاس الشمالي مثل الجزء الأكبر من سكان وقبائل الداغستان في الجزء الشرقي ومثل شعب القرشاي والبلقار في الجزء الغربي.

٢ ـ **المستوطنون الحديثون** من الروس والقوزاق الذين استوطنوا القفقاس الشمالي أثناء وبعد انتهاء الحرب الروسية الشركسية(٨)

٢ ـ لمحة عن أدوار التاريخ

اعتاد المؤرخون أن يقسموا تاريخ الانسان عند دراسته الى أربعة أدوار رئيسية، وهم يستندون في تقسيمهم هذا الى نوع الأدوات التي كان يستخدمها، من منطلق أن هذه الأدوات هي الآثار المادية التي نعثر عليها وتكون قد تطورت بمقدار تطوره الفكري ترقيه صعوداً في سلم الحضارة، هذا التطور الذي يعمل العلماء على استقرائه من آثاره وأدواته التي خلفها وراءه وانتشرت في مستويات التربة التراكمية، أعمقها في الموقع الواحد أقدمها، والتي يعمل العلماء وتعمل البعثات العلمية للتنقيب عنها وإستخراجها في مسعى منهم لإستقرائها والاستناد اليها كشواهد على ما يسوقونه من استنتاجات وهذه الأدوار هي [٩]

أولاً ـ العصور الحجرية : وذلك عندما لم يكن الإنسان يعرف إلا استخدام الحجر،ثم تعلم مع الزمن تشذيبه فصنع منه أدواته المختلفة، ويمتد هذا العصر طويلاً جداً على معظم عمر البشرية، وربما وصل الى أكثر من مليون سنة في الكثير من المواقع [١٠] وتقسم العصور الحجرية الى ثلاثة أدوار استناداً الى التطور الحاصل في صقل وتشذيب الحجر وإستناداً الى بعض النقلات النوعية في سلم تطوره الحضاري والتي ترافقت مع تتالي الفترات الجمودية الكبرى.

أ ـ العصر الحجري القديم (الباليوليت) ويمتد من مليون سنة الى (١٢) الف سنة ق م وهو يقسم الى باليوليت أدنى وباليوليت أوسط وباليوليت أعلى.

ب ـ العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) ويمتد من (١٢) الف سنة ق م الى (٨) ألف سنة ق م

ج ـ العصر الحجري الحديث (النيوليت) ويمتد من (٨) ألف سنة ق م الى (٥) ألف سنة ق م وكل عصر من هذه العصور يقسم الى فترات وأجزاء أصغر، وفي العصر الحجري الحديث عرف الإنسان الزراعة البعلية وتربية الماشية ثم عرف الزراعة المروية في مصاطب الأنهار اللحقية كما عرف الصناعة الفخارية وبدأ بذلك يتدخل في سير الطبيعة وانفصل عنها ليسخرها لخدمته [١١].

وهكذا غدت الحياة الإجتماعية وحياة الإستقرار ضرورة حتمية، وكان نظام الأسرة يتبع نمط الأسرة الأمومية (أسرة الأم) وما نجم عن ذلك من ميتولوجيا دينية متمحورة حول عبادة الأم (الإله الأم الكبرى) ثم بدأت تتغير الى سيطرة الأب بظهور الابن الى جانب تماثيل الأم ثم ظهور إله بشكل رجل،.. ومارافق ذلك من ميتولوجيات دينية للوصول الى الشكل الإجتماعي لنظام الأسرة الأبوية.[١٢]

ويمكننا القول أن الإنسان صار عنده فائض انتاج، وتوفر لديه بذلك الوقت ليفكر في الأمور التي شغلت فكره على الدوام، وبدأت تتشكل وتترسخ لديه أفكار دينية (عبادة قوى الطبيعة)، كثرت لذلك الآلهة التي عبدها ونسج حولها القصص والأساطير(١٣)

ثانياً ـ العصر الحجري النحاسي: بدأ هذا العصر بمعرفة النحاس واستخدامه بارداً لتوفر عروقه، وصنع منه بعض الأدوات بالتطريق قبل ان يتعلم صهره وسكبه في قوالب وأن النحاس حسب خواصه لم يتمكن من تلبية إحتياجاته فيما يتعلق بالقساوه واستمر هذا العصر من (٥٠٠٠ ق.م ـ ٣١٠٠ ق.م).(١٤)

ثالثاً ـ العصر البرونزي : يبدأ هذا العصر بمعرفة خليطة البرونز، وهي أشد قساوة من النحاس، وقد بدأ يصنع أدواته أسلحته ومناجل الحصاد منها، وفي هذا العصر صار يعبر عن الأشياء بصورها ورسومها، وبدأ الأمر في المعابد لضبط حساباتها، (أعداد الماشية وأنواعها وما يوجد في مخازنها من الحبوب والثمار) وهكذا بدأت العصور التاريخية، وهي النقلة الهامة الثانية بعد الزراعة وتأنيس الحيوان، فصرنا نعرف أخباره من مدوناته التي كتبها على الرقم الطينية(١٥) وصار يخبرنا عن أسماء الأقوام والتي قبل هذا التاريخ يستنتجها الباحثون بكثير من التحفظ والحذر استناداً الى التواصل الحضاري للطبقات الأثرية في الموقع أو من الصفات التشريحية للهياكل العظمية وقياسات الجمجمة.. الخ.

صار يخبرنا منذ الآن عن إسمه وأسماء ملوكه وأفعالهم وعن فكره (غالباً كان فكراً دينياً) (١٦) وقد استمر هذا العصر من ٣١٠٠ سنة ق.م وحتى ١٢٠٠ سنة ق.م(١٧).

رابعاً ـ عصر الحديد: ابتدأ عام ١٢٠٠ ق.م في بلاد الرافدين وقبل ذلك شمالاً في آسيا الصغرى وشمال القفقاس، وقد سبق إستخدام هذا المعدن الصلب أو ترافق باستئناس الحصان الذي عرف منذ منتصف الألف الثالث في سهوب شمال القفقاس وغرباً في السهوب الشجراء بين الدون والدنير وحتى جبال الكارابات وجنوباً حتى سهول حوض الكوبان،(١٨) وعرف منذ الألف الثاني في سومر، وعرفت ميزته الحربية وميزة عربات القتال السريعة منذ بداية الألف الثاني ق.م في شمال الأناضول من مواطن الحاثيين القدماء والأورارتيين والحوريين وغيرهم.
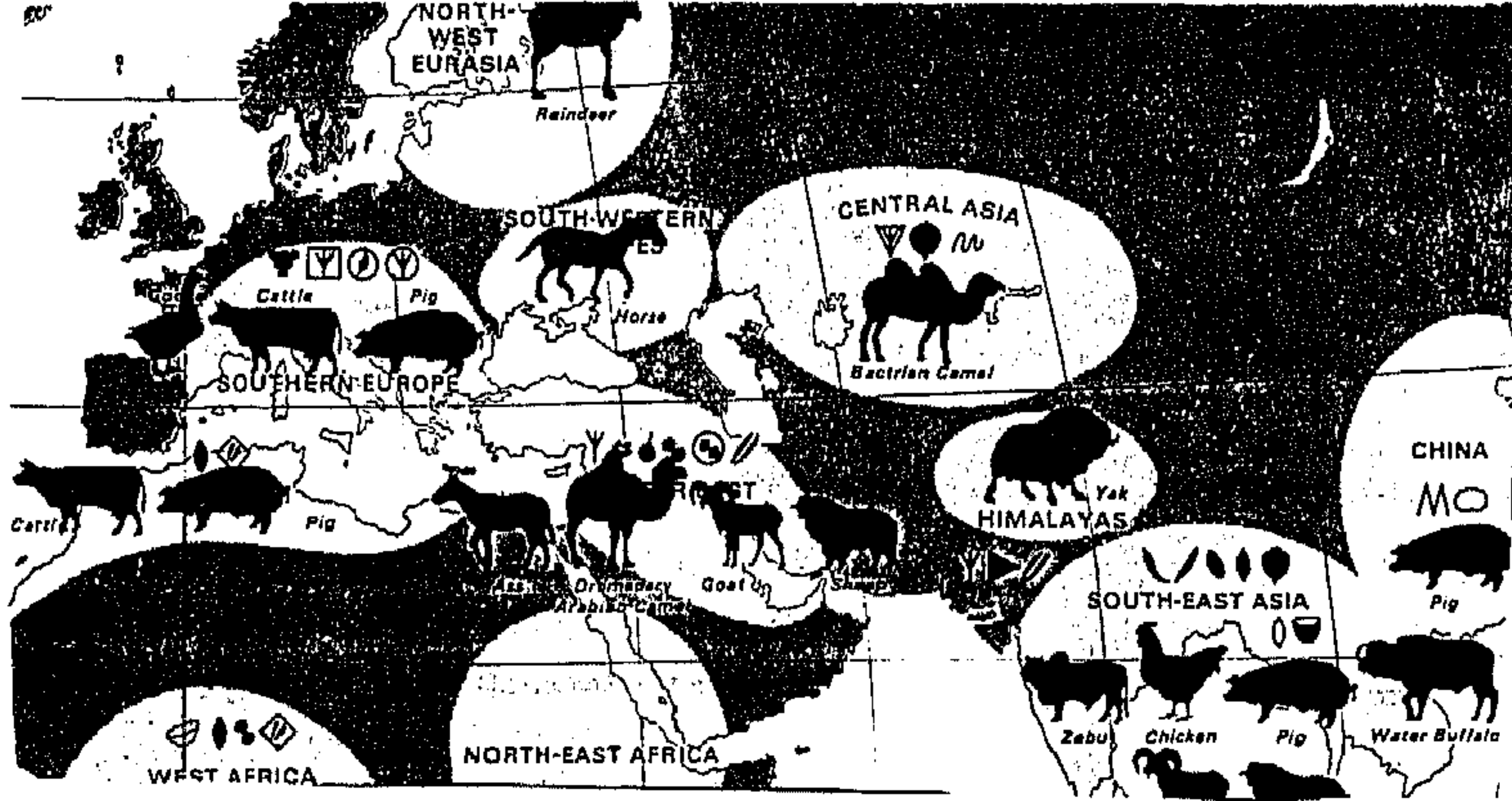
الموقع الجغرافي لتوزع مواطن استئناس مختلف أنواع الحيوانات والنباتات

يمكن لهذه التقسيمات السابقة أن تتقدم أو تتأخر من منطقة حضارية الى منطقة أخرى فقد تسبق حهة ما في إستخدام الفخار أو معدن النحاس أو البرونز أو الحديد، وقد تتأخر بعض المناطق في إجتياز مرحلة حضارية أو تجتازها بسرعة، وهذا التقسيم لتسهيل الدراسة ولإيضاح تعاقب العصور، وهو ليس برنامجاًموضوعاً إنما جاء نتيجة البحث والتنقيب والمكتشفات الأثرية في المواقع التي سرعان ماتتعدل بظهور مكتشفات أخرى جديدة تعطي حقائق لم تكن معروفة، وكل ذلك قد يكون مرتبطاً بشكل أو بآخر بالمناخ السائد وبتعاقب الفترات الجمودية التي يبدو أنه كان لها أثر بالغ في ترقي الإنسان وإنتشاره وتطوره.

خامساً ـ العصور التاريخية: لقد قسمت بدورها الى ثلاثة عصور كالتالي:

١ ـ **العصور التاريخية القديمة:** منذ إكتشاف الكتابة(٣١٠٠) ق.م وحتى سقوط روما بيد القبائل الجرمانية عام (٤٧٦) ميلادية[٢٠]

٢ ـ **العصور التاريخية الوسطى:** وتمتد من (٤٧٦) ق.م وحتى سقوط القسطنطينية بيد محمد الفاتح عام (١٤٥٣) م[٢١]

٣ ـ **العصور التاريخية الحديثة:** وتمتد من (١٤٥٣) م الى وقتنا الحاضر

العصور	القفقاس الشمالي	الأناضول	ايران	الرافدين	سورية
الحجري القديم	٢,٥ مليون ١٠ ألف	؟ ـ ١٠ ألف	؟ ـ ١٠ ألف	١ مليون ـ ١٢ ألف	١ مليون ـ ١٢ ألف
الحجري لاوسيط	١٠ ألف ـ ٨ ألف	١٠ ألف ـ ٨ ألف	١٠ ألف ـ ٧ألف	١٢ ألف ـ ٨ ألف	١٢ ألف ـ ٨ ألف
الحجري الحديث	٨ ألف ـ ٥,٥؟ ألف	٨ ألف ـ ٦ ألف	٧ ألف ـ ٥,٦ ألف	٨ ألف ـ ٥ الأف	٨ ألف ـ ٥ ألف
الحجري النحاسي	٥,٥ ألف ـ ٤ ألف	٦ ألف ـ ٣,٥ ألف	٥,٦ ألف ـ ٣,٥ ألف	٥ ألف ٣٣٠٠	٥ ألف ـ ٣١٠٠
عصر البرونز	٤ ألف ـ ٢ ألف	٣,٥ ألف ـ ٢ ألف	٣,٥ ألف ـ ١٢٠٠	٣٣٠٠ ـ ١٢٠٠	٣١٠٠ ـ ١٢٠٠
عصرالحديد	٢ ألف	٢ ألف	١٢٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠

جدول مقارن لتعاقب العصور في آسيا الغربية حسب جيمس ميلارت ـ جاك كوفان ـ ب ب بتروفسكي

ـ يلاحظ في الجدول السابق أسبقية القفقاس الشمالي والأناضول منذ الحجري النحاسي والبرونز والحديد وباختصار (العصور المعدنية)

ـ كما يجدر ذكر بدء ظهور البناء الصنعي والخروج من الكهوف والمغاور حيث يعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط (أكثر من ٣٥ ألف سنة) في شمال القفقاس حسبما جاء في الدراسات السوفييتية .

ـ وعرف أول مسكن صنعي دائري في الشرق الأدنى في موقع عين جويفه (١٣) ألف سنة ق.م ولم يعرف الخروج من الكهوف بشكل واضح إلا زمن الحضارة النطوفية (١٠ ـ ٨) ألف سنة في جنوب سورية

ـ إن هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أمر انتشار واستيطان أسرة الشعوب القفقاسية نحو الجنوب ونحو القوس الحضاري منذ النيوليت المبكر على أقل تقدير .

٣ ـ الرقعة الجغرافية ـ والزمن موضوع البحث

إن الرقعة الجغرافية التي هي موضوع بحثنا تبدأ شمالاًعند مصبات أنهار الفولغا والدون والدنيبر، وتنحدر جنوباً عبر كل أرض القفقاس بين البحر الأسود والخزر، وصولاً إلى آسيا الصغرى وسلاسل الجبال والهضاب الإيرانية،الى شمال وجنوب بلاد الرافدين، ثم جبال الأمانوس إمتداداً للجزء الشمالي و الغربي لبلاد الشام هذه الرقعة الجغرافية الواسعة والذي سميت منحدراتها الجنوبية على بلاد الرافدين وشمال سورية وغربها بالقوس الحضاري والذي لابد أنه يماشي خط الأمطار (٣٠٠) مم، بحيث يمكن إعتبار هضبة الأناضول سقفه الشمالي، وبإعتقادنا ان هذا السقف يجب أن يرتفع شمالاً ليضم الأناضول والقفقاس الشمالي، بسبب ما أكدته الإكتشافات الأثرية واللغوية من أهمية وأثر بالغين في ديمغرافية وحضارة غرب آسيا القديمة، وذلك عبر ساحل البحر الأسود (كولخيديا) وساحل بحر قزوين (دربند) وأنه لم يكن يوماً بمعزل عن تلك الوحدة الحضارية التي شملت المنطقة كلها في النيوليت والعصور المعدنية اللاحقة، ويظهر لنا ذلك من خلال مستوى التطور المادي (الأدوات الحجر الفخار المعدن) والفكري (الميتولوجيا والدين وعبادة قوى الطبيعة) اللغوي (اللغات الحرفية المقطعية ذات القرابة الشديدة مع كتاباتها الصورية والإجتماعي (أنظمة الحكم المتشابهة ـ الديمقراطيات الحربية ـ مفاهيم العدالة الإجتماعية والحرية)، لذلك يجب رفع سقف هذا القوس بحيث يصبح هذاالسقف مستطيلاً يشمل هضبة الأناضول والقفقاس الشمالي.

وقد تجلى الأثر الديمغرافي الهام أولاً في فرضية انتشار الإنسان الأبيض مع بدء ذوبان الجمودية الأخيرة منذ (٣٥) ألف عام والى سائر الأماكن التي استقر بها في آسيا وأوربا وشمال افريقيا. ثم الأثر الديمغرافي الهام الثاني وهو انتشار أسرة الشعوب القفقاسية التي تميزت في المكان الجغرافي واستيطانها في المنطقة الحضارية السابقة الذكر في آسيا الغربية، وذلك إضافة الى إنتشار آخر غرباً بإتجاه اوربا، هذا التوزع
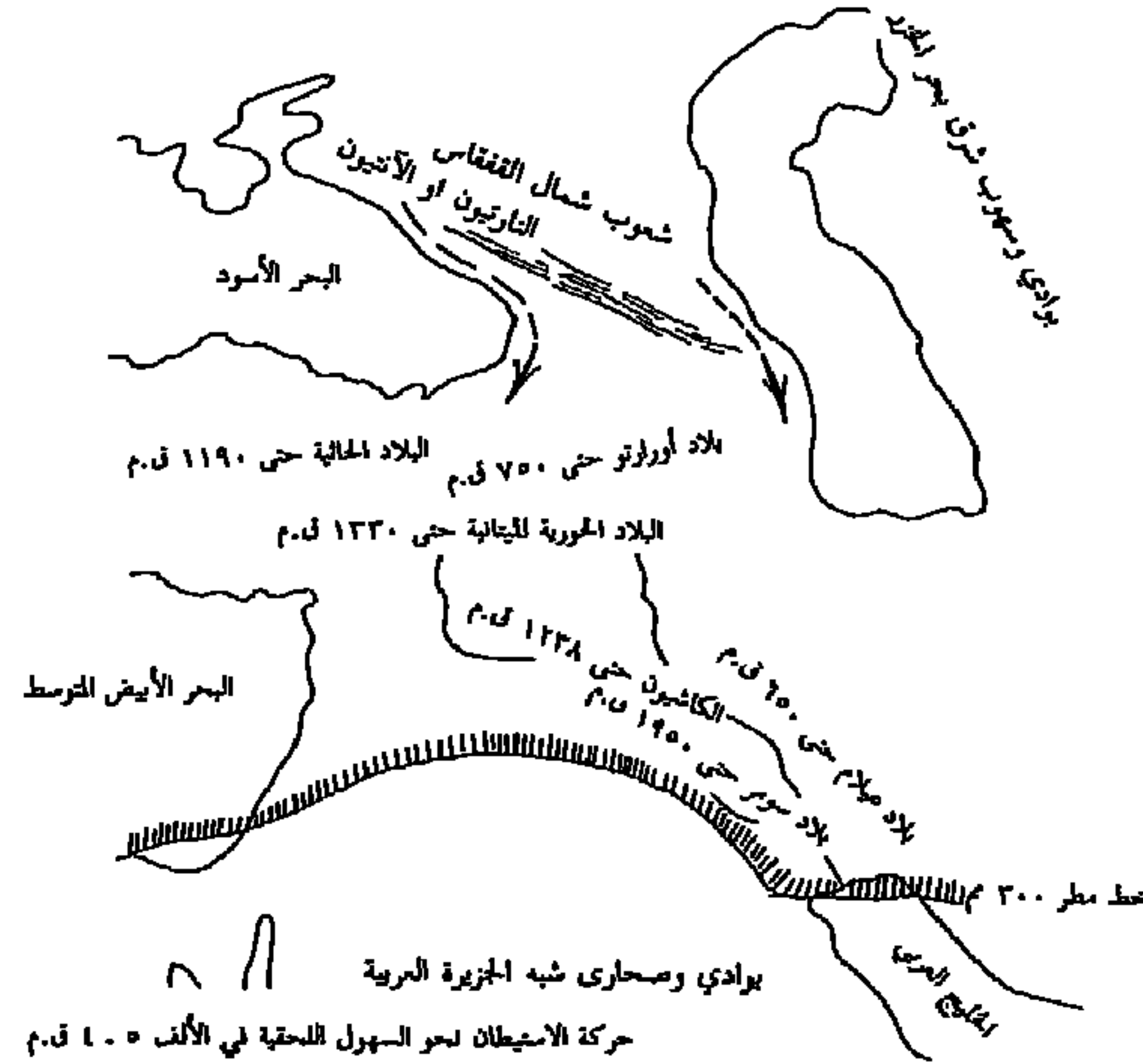
مصور يبين وقوع القفقاس الشمالي في قمة المنطقة الحضارية لعصور فجر التاريخ

الذي بدأ منذ بداية النيوليت أي قبل (١٠ ـ ٨) آلاف عام وانتهى بإندثار هذه الشعوب واندماجها بالشعوب الهندأوربية والشعوب السامية التي بدأت حركتها نحو هذه المنطقة منذ منتصف الألف الثالث ق.م

وإذا حاولنا تتبع آثار الشركس ـ شعوب شمال القفقاس [٢٣] في سفر التاريخ وفي هذه الأزمنة الموغلة في القدم، نجده في أماكن وبقاع واسعة ومترامية يشارك في بناء حضارة الإنسان ونصل معه الى بدايات التاريخ المكتوب قبل أكثر من خمسة آلاف عام، ونلمس وبشكل مؤكد مشاركته العظيمة في أولى الحضارات البشرية وهي تخرج من العصور البكماء الى فجر التاريخ [٢٤] ونتتبع آثار هذه الشعوب وهي تزرع الأرض وتؤنس الماشية وتصنع الخزف وتطرق النحاس [٢٥] وتذيبــه وتصبـه في القـوالب الشمعيـة والغضاريـة ثم يبني المدن ودويـــلات المـدن وحضـــارتها التي سميت بالمـــدينيــــة نسبـة الى المـدن الأولى أو (الديمقراطيات الحربية) كما نجده يرسم أخباره الأولى بأولى الصور الكتابية والتي تتدرج نحو المقطعية حسب لغاتها (الحرفية المقطعية) أو ما سميت بالجمعية اللصقية ونراه في أرض موطنه الأصلي في القفقاس الشمالي يصنع البرونز والى الجنوب في الأناضول يذيب فلز الحديد، كما نراه الى الشمال في مواطن الأنت يروض الحصان، وهو باختصار من بناة حضارة النيوليت والعصور المعدنية وفجر التاريخ وتمتد جذوره عميقاً جداً الى عصور تاريخ الانسان الحجري في

أرض موطنه القفقاس الشمالي وليس عبثاًوالحال هذه أن يسمى العرق الأبيض بالعرق القوقازي.(٢٦)

ولكي نتمكن من رواية القصة بحذافيرها ونوضح تفاصيلها، كان من حسن الطالع ان تكتب باللغة العربية، لما للعرب من دور كبير ومشرق وتلاحم حضاري بناء على خطوط القوس الحضاري مع هذه الشعوب، مما سنراه في الفصول القادمة بأخوة منقطة النظير في أولى إشراقات الفكر البشري وأضوائه الباهرة التي انطلقت تضيء ظلمة العالم،(١٧) ألا فإسألوا (سومر وأكاد وبابل وحاتوشا وسوسا).
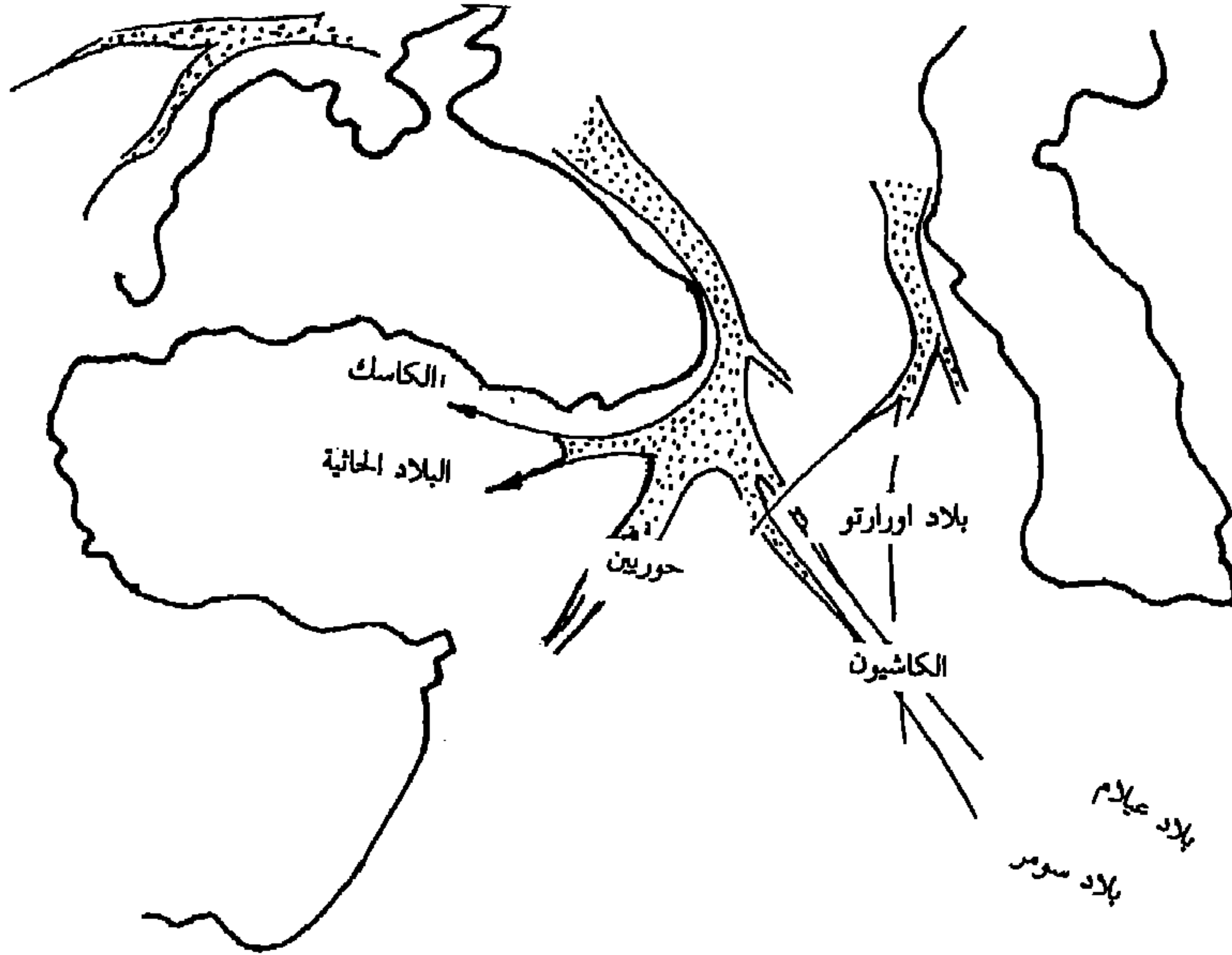
اتجاهات الاستيطان المبكر لأسرة الشعوب القفقاسية في النيوليت وما بعد

١ ـ يرجى الرجوع الى كتاب ـ تاريخ القوقاز ـ تأليف مت جوناقة يوسف عزت ص٧٧ ـ ٨٢ وغيره

٢ ـ يرجى الرجوع الى كتاب ـ تاريخ شمال القفقاس ـ تأليف ب ب بتروفسكي باللغة الروسية

٣ ـ يرجى الرجوع الى كتاب ـ مدخل تاريخ الشركس ـ تأليف أمين سمكوغ ـ ص ٥٥ درس لغتهم العالم جورج دوميزيل ... الخ ...

٤ ـ المرجع رقم ٣ ص ٥٣ ـ ٥٤ وكتاب الابخاز أشهر معمري العالم تأليف سولا بينيت ترجمة فاضل لقمان. كتاب الابخاز الشراكسة تأليف اميرة محمد مصطفى قبرطاي

٥ ـ (آديغة) وهو اسم الجزء الأكبر في الغرب و (ديغست) وهو اسم الجزء الأكبر في الشرق وإذا حذفنا الأحرف الزائدة وهي (الألف) أداة نداء، (وست اوستان) وهي زائدة بمعنى البلد فيبقى لدينا اسم (ديغ) وهو اسم جميع شعوب شمال القفقاس فيما يناسب المرحلة التاريخية الحضارية مع عصر الانقلاب الى نظام الأسرة الأبوية لأن (دِ) أو (تِ) بمعنى الأب والتي ترافقت أيضاً بعبادة الشمس (أتغه) بمعنى العالي..الخ وهذا لوحده كاف لإثبات الأصل المشترك لسائر شعوب شمال القفقاس إضافة الى المعطيات اللغوية والتاريخية الأخرى.

٦ ـ يرجى الرجوع الى كتاب ـ أصل الشركس ـ تأليف آيتك ناميتوق ـ ترجمة الدكتور فؤاد يحيى دوغوظ ص ٨٢ ـ ٩٠ وخاصة فيما يتعلق بدراسة مقارنة للغة الأوسيتية مما يدعم ما ذهبنا إليه إضافة إلى التراث الثقافي والاجتماعي من خلال أساطيرهم وعاداتهم وتقاليدهم التي لا تختلف عما لدى الشراكسة .

٧ ـ يرجى الرجوع الى المرجع رقم ١ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٧ الى مقال بعنوان داغستان بقلم محي الدين أواري ص ٣٠ ـ ٣٣ النشرة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية العدد الخامس.

٨ ـ يرجى الرجوع الى كتاب ـ احتلال الروس القفقاس ـ تأليف : جون ف بادلي تعريب: صادق ابراهيم عودة صفحات ٤٥ ـ ٦٥

٩ ـ اعتمدنا هنا التقسيم المستقى من تطور حضارة الانسان في بلاد الرافدين نظراًلأهميتها الحضارية في النيوليت والانيوليت والبرونز وكونها كانت سابقة لغيرها في هذه المرحلة، وملتقى فيما بعد لحضارات كثيرة.

١٠ ـ انظر الجدول المرافق للبحث

١١ ـ يرجى الرجوع الى المرجع ـ أقدم الحضارات في الشرق الأدنى تأليف جيمس ميلارت ترجمة محمد طلب مراجعة وتدقيق الدكتور سلطان محيسن ص ٥١

يرجى الرجوع الى المرجع رقم ـ ٢ ـ سبق ذكره وذلك من أجل تحديد ظهور الإشارات لتأنيس الحيوان وممارسة الزراعة (انتاج القوت) في المراكز الحضارية سابقة الذكر

١٢ ـ يرجى الرجوع الى المرجع ـديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام تأليف جاك كوفان ترجمة د. سلطان محيسن.

يرجى الرجوع الى كتاب لغز عشتار للمفكر السوري فراس السواح .. لمن أراد التوسع في مباحث ميتولوجيا عبادات الأم في مواقع الحضارات المختلفة (الإلهة الأم الكبرى)

ولم يتم التحول الى نظام الأسرة الأبوية في وقت واحد في كل المناطق وقد تأخرت بعض الشعوب في ذلك حتى شارفت على العصور الميلادية فنظام وراثة العرش الفرعوني في مصر كان يتم عن طريق الأم والبنات وإن ظاهرة الأمازونيات المعروفة في شمال القفقاس لايمكن تفسيرها الا في هذا الاطار

ويبدو لنا أن الشعوب الرعوية ـ Pastoratists ـ كانت أسرع في هذا التحول من شعوب الحضارات المدينية (الزراعة وتربية الماشية) Urbann Civilisations حيث بقيت مكانة الأم تحافظ على نظرة فيها شيء من القدسية الى يومنا هذا.

١٣ ـ تفسير الظواهر الطبيعية بنسبتها الى الآلهة حتى بلغ عددها (٣٠٠٠ آلاف إله لدى السومريين وأكثر من ١٠٠٠ إله لدى الحاثيين القدماء) وهذه كانت في مواطن الحضارات المدينية.

١٤ ـ يذكر ب ب بتروفسكي ان معرفة النحاس في الأناضول أقدم من ذلك وتعود الى الألف الثامن ق.م أما في القفقاس الشمالي فأول لقية نحاسية تعود لمنتصف الألف السادس ق.م وهذا الرقم مشكوك فيه وقد برر العلام ب ب بتروفسكي ذلك بأنه ربما كان يعاد صهره للاستخدام المتكرر مما جعلنا لا نعثر على لقيات كثيرة قبل هذا التاريخ ويستند في رأيه هذا على توفر اماكن استخراجه.

١٥ ـ لقد أوجدت كل الشعوب القديمة صاحبة الحضارات المدينية Urbann Civilisations مثل (السومريين ومصر الفرعونية والعيلاميين والحاثيين القدماء والآشـوريون في حـوض نهر الكوبان والكريديون وهذه الشعوب هي غير الشعوب الرعوية Pastoralists وهي سابقة لها كانت كلها قد أوجدت كتابتها الصورية الخاصة بها ولكن السومريين على مايبدو سبقوا هؤلاء جميعاً وهكذا فإن أول حاكم سومري قدر لأخباره أن تدون هو الملك (ايتانا) ويبدو أن حكمه كان مطلع الألف الثالث ق.م في كيش (٣١٠٠) ق.م

١٦ ـ يرجى الرجوع إلى المراجع التي تبحث ديانات العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ

١٧ ـ عرف البرونز منذ الألف الرابع في كل من الأناضول وشمال القفقاس كتاب تاريخ شمال القفقاس لـ ب ب بتروفسكي وكتاب ذهب القوبان القديم تأليف أنفيموف.

١٨ ـ يرجى الرجوع الى كتاب البدو ـ تأليف مونتغمري وات ـترجمة دائرة المعارف الاسلامية ص ٥٠ ـ ٦٦ ـ ٧٧

١٩ ـ إن الجنود الراكبين على الخيول يتردد ذكرهم لأول مرة عام ١١٣٠ ق.م زمن بختنصر الأول إن القتال على ظهور الخيل والاسلحة المصنوعة من معدن الحديد وفر الوسيلة العملية للتنقلات والاجتياح الواسع المدى .

١٩ ـ كتاب البدو سبق ذكره ص ٦٦ .. من الغريب أن ركوب الجمل وامتطاء الجواد بدأ

في الانتشار في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وعرف الناس ركوب الجمل من الجزيـــرة العربيـــة ، أما امتطاء صهوة الجواد فلعلهم عرفوه من الجبال في ما وراء القوقاز

٢٠ ـ القبائل الجرمانية هم من القبائل الهندواوربية الآرية وهذه صورة من هجراتها وتحركاتها المستمرة والتي كانت على الغالب من الشرق إلى الغرب باتجاه أوربا حتى استولت نهائياًعلى القارة الأوربية بتحقيق الغلبة الديمغرافية واندماج الاوربيين القدماء من شعوب الاسرة القفقاسية بهم.

٢١ ـ الأتراك العثمانيون هم صورة متأخرة من هجرات الشعوب الطورانية من أواسط آسيا بإتجاه الغرب ومنها هجرة الهون والمغول والتتار وغيرهم وقد بدأ تحركهم في مطلع العصور الميلادية.

٢٢ ـ يرجى الرجوع الى كتاب أقدم الحضارات في الشرق الأدنى مرجع رقم ١١ سبق ذكره فيما يتعلق بالأناضول وايران والعراق وسورية ص١٨

المرجع رقم ٢ سبق ذكره فيما يتعلق بالقفقاس الشمالي.

٢٣ ـ يرجع الى مباحث الفصل الثاني من هذا الكتاب

كان المؤرخ جيمس بل يدرك هذه الحقيقة وهو القائل (إن هؤلاء القوم ورقة حضارة ذهبية عمرها ٥ آلاف عام)

٢٤ ـ يرجع الى بحث المسألة السومرية من هذا الكتاب

٢٥ ـ يرجع الى كتاب ـ تاريخ شعوب شمال القفقاس ـ باللغة الروسية تأليف مجموعة من المؤرخين السوفييت بإدارة واشراف ب ب بتروفسكي ص ٣٠ ـ ٤٥

كما يمكن الرجوع الى مباحث كتاب تاريخ الحضارات العام تأليف موريس كروزييه ص ٢٥

غوبل (   ) وهو اسم معدن النحاس باللغـة الأديغية ويقطع حرفياً ومقطعياً الى (غو + بل) ويعني (معدن + ساخن) المعدن الساخن المتوهج دليل إذابة معدن النحاس وكذلك

غوج (   ) وهو اسم معدن الحديد ويقطع الى (غو + ج) معدن + الأرض

غواف (   ) وهو اسم معدن القصدير ويقطع الى (غو + وافه) معدن + السماء

٢٦ ـ هكوج (   ) هـ: تعني الزرع والحصاد الكثير كو: تعني المنتصف

ج: القديم العتيق والعبارة اطلقت على الموطن الأصلي للشركس ويمكن تحديدها كما وردت في أساطير الشركس بمستطيل ضلعه ساحل البحر الأسود بين مصبي الدون واينغور في الكولخيد حتى بلاد الداغستان وشاطىء بحر قزوين بين دربند ومصبي نهر القوما ويمكن لمثلث حوض القوبان ان يشكل حسب موقعه الوسط وملاءمته الطبيعية والزراعية تلك البؤرة الأولى التي سميت هكوج: وسط الزرع الكثير والقديم ومجازاً وسط الخير العميم

٢٧ ـ المقصود هو عصر البرونز (٤٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م)

الفصل الأول

١ ـ الأصول والقرابات القديمة

٢ ـ القفقاسيون الأصليون Paleo Caucasiens

٣ ـ الأمة التي ينتسب اليها الشركس

٤ ـ إندماج أسرة شعوب القفقاس خارج أرض القفقاس الشمالي

٥ ـ الشعوب القفقاسية التي نجت من الإندماج

٦ ـ ملخص وموجز الدراسة

٧ ـ الهوامش والمراجع

٨ ـ مصورات وصور إيضاحية

١ ـ (الأصول والقرابات القديمة)

التاريخ في فجر التاريخ وما قبله عرضة دائماً لإضافة معلومات جديدة أو تصويب معلومات كانت سائدة، وذلك تبعاًلتطور المكتشفات الحديثة التي تأتي من الحفريات القائمة في كثير من المناطق والمواقع التي لازالت بحاجة الى الكثير من أعمال البحث والتنقيب[١].

وهكذا فإن عشرات الآلاف من الرقم الفخارية التي اكتشفت لم تقرأ بعد، وهي موجودة في مستودعات المتاحف، ويبدو أن قراءة هذه الرقم تتبع عمليات انتقائية لما يعتقد انه هام، وقد يطول أمرها حتى تقرأ جميعها، وربما كان هذا ناجم عن القلّة في أعداد القارئين المتخصصين.

وكذلك فإن هناك عشرات بل ومئات التلال الأثرية تنتظر الباحثين المختصين المؤهلين من ذوي الكفاءة والخبرة والإعداد العلمي ليستخرجوا من جوفها الأثار والأوابد والمعلومات التاريخية التي تركها لنا الأقدمون.

إن أية أمة تريد ان تكتب تاريخها بالشكل الصحيح، لابد لها من إعداد المئات من المؤرخين ومن مختلف الإختصاصات العلمية التي تخدم عملية التاريخ الدقيقة، وإلا فيبقى تاريخها مجهولاً أو مشوشاً، لأنه كما بدا لنا فإن أحداً لايكتب تاريخ أحد، كما ونلاحظ أن هذه العملية تخضع أحياناًلاعتبارات سياسية أو إيديولوجية أو عاطفية .

وهذا هو حال التاريخ الشركسي (شعوب شمال القفقاس) في ظل أوضاعها السياسية الراهنة اوالسابقة وأوضاع مهجريها الموزعين في المهاجر.

لذلك كان من الصعوبة بمكان التصدي لمثل هذه المهمة، خوفاً من الزلل، ولأننا نستقي معلوماتنا من ثنايا المعلومات التي وردت عرضاً في مجال بحث تاريخ الشعوب الكبيرة والسائدة اليوم، فنأخذ منها شتات المعلومات القليلة والشحيحة والمتفرقة التي وردت صدفة[٢]، ونحاول أن نجمع خيوطها في نسيج تاريخي متماسك داعين الى الله ان يوفقنا فلا نبتعد عن جادة الصواب.

وبعد هذه العجالة فإن ما توفر لدينا من معلومات تفيد بأن المؤرخين والبحاثة يتحدثون عن نماذج مختلفة للإنسان أو ماسمي (بأشباه الإنسان) ظهرت من مليون سنة ومن مليوني سنة وآخر ما قرأناه يعود بظهور أنواع شبيهة بالانسان الى خمسة ملايين سنة، وهكذا فزمن ظهور الجنس البشري يزداد بعداً الى الخلف مع تزايد وتطور الأبحاث والمكتشفات وأقدمها وجد على وجه أرض القارة الإفريقية.

لقد غطت أنواع عديدة للإنسان العصور الحجرية القديمة وإنقرضت، وربما تكون قد هيأت وراثياً وبيولوجياً الطريق أمام ظهور أخر هذه النماذج الذي تلطف شكل جمجمته ووصل وزن دماغه الى الوزن الطبيعي الحالي والذي يسمونـه الانسـان العاقـل[٣] الذي تحدر منه الإنسان الحديث المعاصر، وكان ذلك في آخر البليئستوسين Pleistocene حيث ساد منذ
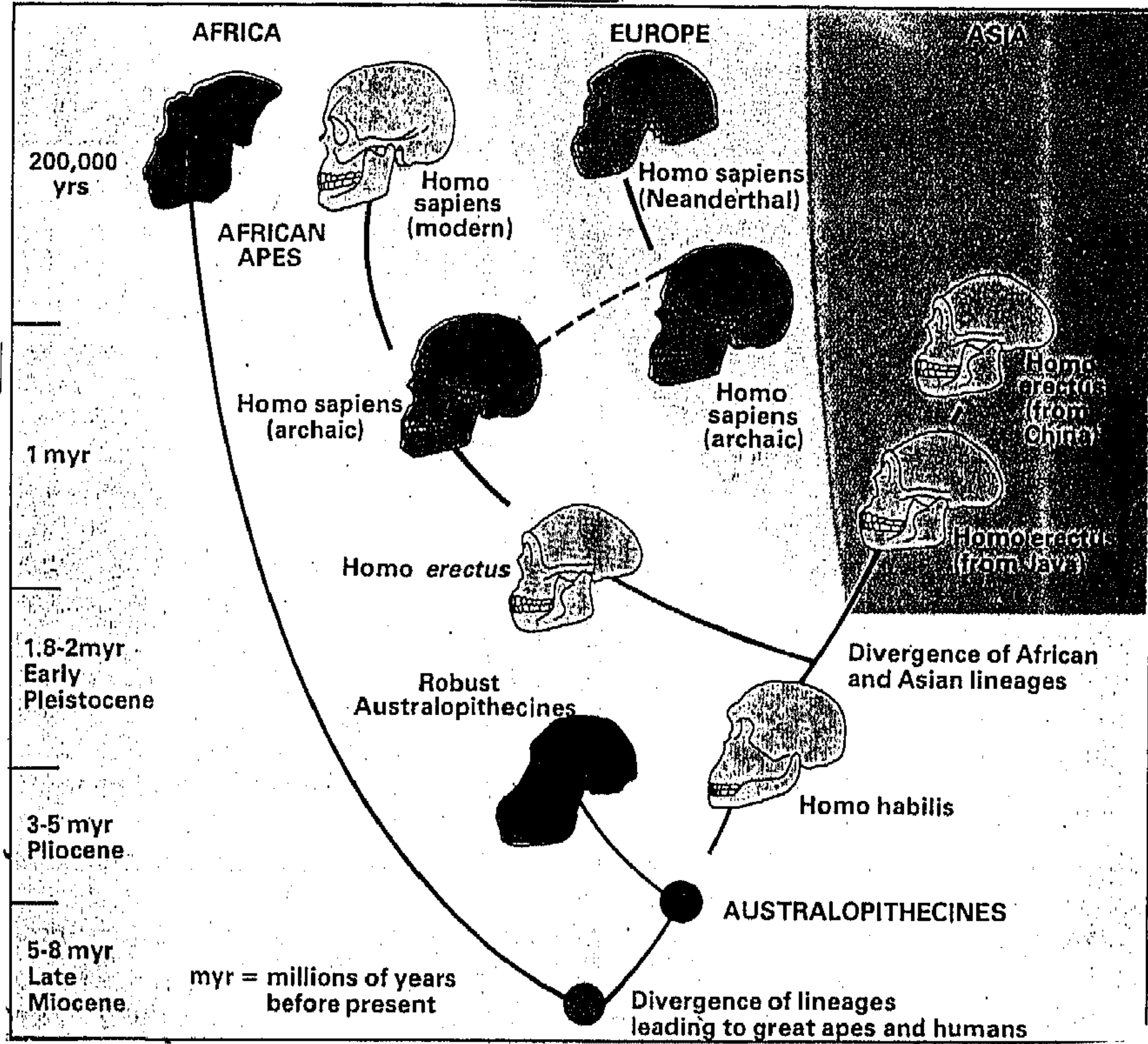
مصور يبين تطور أشكال الجماجم البشرية حتى بلوغ الانسان العاقل (الحديث)

العصر الحجري القديم الأعلى، والذي بدأ الإنسان الحديث يتحـلو منـه عنـدما كانت الجمودية الأخيرة قد بدأت بالتراجع فخرج هذا الانسان الحديث من الكهوف الجبلية الى الوديان والسهول التي صار بإمكانه ارتيادها وربما بدأ بإقامة مستوطنات كانت مؤقتة في بداية الأمر لممارسة الصيد الجماعي للحيوانات الكبيرة الحجم وهكذا بدأنا بالعثور على آثار هذه المستوطنات والتي لاشك أنها ستتحول الى مستوطنات صغيرة ثابتة وبعدها يبدأ الانسان بممارسة بدايات الزراعة البعلية وقبلها تأنيس الحيوان [٤].

لايخفى على القارىء انه لايمكننا أن نعود الى تلك الأزمنة البعيدة في بحث أية علاقة اثنية بين الأقوام لعدم وضوح هوية هذه الأقوام، وربما لم تكن الصفات الفيزيولوجية الجسدية والفكرية النفسية وخصائص السلالات والصفات القومية و الإجتماعية المتمايزة قد توضحت أو تكونت بعد، وإذا ما حاول المؤرخون ذلك فإن محاولاتهم هذه يشوبها الحذر لأنها تعتمد الإستنتاج استناداً الى النقلات النوعية الحضارية والصفات الفيزيولوجية للهياكل العظيمة والجماجم التي يعثرون عليها، ويبقى هذا العمل في دائرة التخمين والاستنتاج والفرض وقد يفسح المجال للتأثيرات العاطفية والسياسية.

لقد استمر الانسان يعيش نمط حياة الصيد وقطف الثمار طوال العصور الحجرية القديمة[٥] التي تمتد على ٩٩,٥٪ من عمر البشرية (حياة الاستحواذ وعضوية بيولوجية) ثم بدا ومنذ العصر الحجري الوسيط يعرف المساكن الصنعية[٦] (خروج الانسان من الكهوف في القفقاس الشمالي يعود الى ٣٥ ألف سنة منذ الآن وخروجه في الشرق الأدنى عين جويفة ١٣ ألف سنة والحضارة النطوفية ١٠ - ٨٣٠٠ سنة ق.م)... حتى ولو كانت مصاطب أمام الكهوف او مساكن الصيد الجماعي المؤقتة، ثم بدأ منذ العصر الحجري الحديث يعرف حياة الاستقرار التي تبين أنها ربما سبقت الزراعة البعلية وتأنيس الحيوان بعكس ما كان شائعاً من أن الاستقرار كان من نتائج تعلم الإنسان الزراعة. كما أن إستئناس أولى الحيونات كان سابقاً للزراعة من منطلق أن الكلب ربما يكون أول حيوان استأنسه الإنسان وصار في خدمته منذ حياة الصيد وقطف الثمار.

وقد بدأت هذه التجمعات المستقرة تكبر بعد تعلم السقاية والري على ضفاف الأنهار وفي المصاطب اللحقية حيث ترسخ هذا الاستقرار أخيراً عن طريق الري وتنوعت تربية الماشية.

وقد اعتبر المؤرخون بداية تدخل الانسان في سير الطبيعة وحصوله على قوته عن طريق العمل، طفرة كبرى في مسيرة الانسان الحضارية وبدء شعوره بالانفصال والإستقلالية عن الطبيعة، وسموها (بالثورة النيوليتية الكبرى)[٧] إن ما يهمنا من هذا البحث هو ملاحظة بدء تمايز أنماط المعيشة في منطقتنا موضوع البحث التي حددناها سابقاً والمناطق التي تحيط بها، هذا التمايزالذي تبلور مع الزمن نتيجة مباشرة للمناخ السائد وسائر عوامل البيئة في كل منطقة على حده [٨]، هذا التمايز الذي كان هاماًجدا في بناء حضاراته وتحركات شعوبها.

إن الإستقـرار الذي وفرتــه الحياة الزراعيـة المرويـة وتربيـة الماشيـة في مناطق الأنهـار و سهولها اللحقية الخصيبة قامت به أقوام كانت قد مارست الزراعة البعلية أولاً في المناطق التي تزيد أمطارها عن (٣٠٠ مم في السنة) انظر المصور رقم (٤) صفحة (٧٣).

يحدثنا التاريخ أن هذا الاستقرار الزراعي وتربية الماشية في مناطق الأنهار وسهولها اللحقية تطلب بناء تجمعات سكانية ومدناً زاد عدد سكانها عن عشرات الآلاف وشكلت مجتمعات سميت المجتمعات المدينية Urbann Civilisations قامت به أقوام إمتازت بتشابه شديد في سماتها الفيزيولوجية البنيوية ولغاتها لتي سميت بالمقطعية، وتماثل تقاليدها الإجتماعية والحضارية وأنظمتها السياسية وقد أشير لها في مؤلفات التاريخ بعبارة زادتها غموضاً عما أريد لها من غموض واكتفى المؤرخون بهذه العبارة تعريفاً لها لايعرفها وهي عبارة (الشعوب الجبلية)[٩].. مع الإشارة أحياناً إنها مجهولة الهوية والأصل والتاريخ مما يضفي عليها هالة من الغموض الشديد،وكأني بهؤلاء المؤرخين لايريدون ان يعثروا على آثارهم الحضارية ولالغاتهم المقطعية التي تخرج في معظم الأمكنة الأثرية ومواقع التنقيب الهام فيما قبل الألف الثاني ق.م

لقد رافق إستقرار هذه الأقوام عدم إستقرار شديدة الأثر لأقوام أخرى وفي أمكنة أخرى أصابها الجفاف الذي بدأ مع بداية النيوليت واستمر يتزايد بإستمرار فجفت أنهارها الغزيرة تاركة مايسمى بالوديان المستحاثة الشهيرة التي تعبر الصحارى والبوادي اليوم ولكن بدون جريان مائي،وفقدت تلك المناطق غطاءها النباتي والحيواني، وإن هذا الجفاف حدث بعد إنتهاء العصر المطير وشكل الصحاري والبوادي والسهوب في أواسط أسيا والهند وايران وشرق وشمال بحر الخزر وشبه الجزيرة العربية،وقد بلغ هذا التصحر وإكتمل في الألف الرابع قبل الميلاد، مما نجم عنه تشكل ونشوء أنماط أخرى لحياة الإنسان مخالفة تماماً للنمط السابق سميت بنمط الحياة الرعوية Pastoralists وهكذا تشكلت تلك الأقوام التي اكتسبت صفاتها وأنماطها الخاصة من أسلوب معيشتها وكانت لغاتها لغات إشتقاقية، ويتحدث المؤرخون أنها ربما كانت هي الأخرى قد بدأت بممارسة الزراعة في الألف السابع ومابعد. ولكنها إرتدت عنها الى الحياة الرعوية وإقتصرت على الرعي مع زيادة الجفاف والتصحر ومارست حياة الظعن والتنقل الدائم والمستمر طلباً للكلأ والرعى هذا التنقل والحركة الدائمة التي غدت من طبيعتها وقد اوصلتها النقلة الأخيرة الى مواطن الحضارات المدينية الزراعية وطغت عليها ديموغرافياً مع الزمن ثم حققت الغلبة السياسية.

تعتبر الوديان المستحاثة في الصحارى وكذلك الواحات وكذلك رسوم الحيوانات المائية وآكلات العشب التي وجدت على جدران الكهوف في الصحارى المختلفة، وكذلك ذكر الحيوانات المفترسة في الشعر العربي الجاهلي القديم..الخ من الإثباتات العلمية التي يسوقها العلماء على ان الصحارى والبوادي كانت مطيرة قبل ١٠ آلاف عام ثم تحولت بالتدريج الى ما هي عليه الآن انظر المصور رقم (٥) صفحة (٧١)[١٠]

مع إنتقال المراكز البشرية من السهول والنجود المطيرة التي عبرت فيها البشرية الى الزراعة البعلية البدائية الى ضفاف الأنهار وسهولها اللحقية الخصيبة التي ساهمت في وفرة الإنتاج الزراعي والحيواني وترقي الصناعة الفخارية من غضار وطمي الأنهار فصنع أدواته منها وربما كان إرتفاع درجات شي الفخار في الأفران هو العامل الذي أدى الى تعلم أساليب صهر النحاس وصبه في قوالب وكان قبل ذلك معروفاً بشكله المطروق، وهكذا كبرت هذه التجمعات ووصلت حضارة الانسان الى ماسماه المؤرخون الحضارات المدينية الزراعية ومن ثم دويلات المدن التي عرفت بالديمقراطيات الحربية وقد أطلق المؤرخون هذه التسميات بالنسبة للحياة الإجتماعيـــة والسياسية التي كانت تنظم الحيـــاة في هذه المدن التي بنيت كلها حـــول المعبد الرئيسي للمدينة والتي إمتازت الحياة الاجتماعية فيها بتمحورها حول المعبد إضافة الى ماعرف عن نظمها الديمقراطية ومجالسها ومفاهيم الحرية والقوانين التي نظمت الحياة فيها.. الخ.

ولقد كان جنوب العراق أو السهل الرسوبي لنهري دجلة والفرات سباقاً إليها منذ الألف الرابع ق.م وكانت هناك اكثر وضوحاً من المراكز الحضارية الأخرى التي قامت على مجاري الانهار الأخرى وسهولها الرسوبية كروافد دجلة والفرات وأعاليها ونهري كورا وأراكس ونهر الهاليس ونهر الكوبان والتي بدت فيها كأنها مراكز حضارية ثانوية أقل درجة أمام تألق الحضارة المدينية في جنوب العراق (سومر) أما تلك المراكز الأخرى فما هي إلا مواقع الحضارة (العلامية والأورارتية والحورية والحاثية والآشوية النارتية)[11] انظر المصور رقم (٦) ص ٧٥

ولا بد من الإشارة هنا الى مواقع الحضارات الأخرى والتي هي خارج بحثنا هذا، وهي حضارة وادي النيل المستقرة والتي لم تكن متأخرة كثيراً عن مواكبة الحضارة السومرية إن لم تجاريها والتي هي قريبة جداً من منطقة بحثنا ولعبت دوراً هاماًفي عملية التبادل والتفاعل الحضاري معها عبر كل مراحل التاريخ، ونشير كذلك الى المواقع البعيدة ايضاً كحضارة الصين وغيرها..

ويبدو لنا أن إنفجاراًسكانياً كان قد حدث بمقاييس تلك العصور(إن صح التعبير) وكان سببه توفر الغذاء بعد طول عناء ووصول الإنسان الى مجتمع المدينة كما ذكرنا في جنوب بلاد الرافدين.
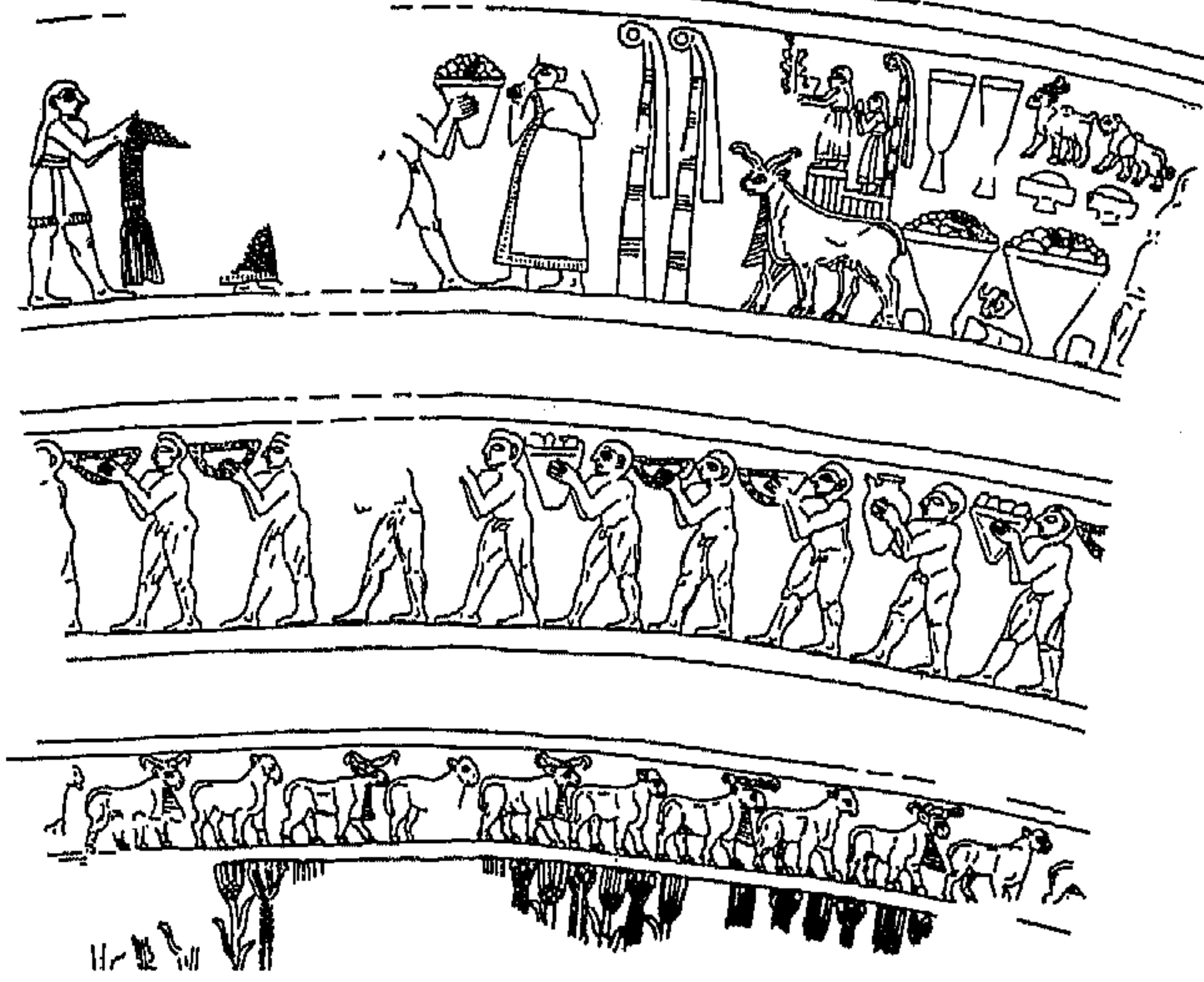
ـ تقدمة الغلال إلى كاهنة الإلهة «إنين» والأمير الكاهن داخل قدس الأقداس
يؤرخ الكأس النذري في مطلع الألف الثالث ق.م. «فجر العصر السومري»

لأخذ فكرة عن المجتمات المدينية والدور المركزي الذي لعبه الدين في المجتمع المديني من الناحية العمرانية والإنتاجية والسياسية وسيطرة المعبد على الانتاج الزراعي والحيواني والصناعي أن + ين: تعني باللغة السومرية كبيراًوكبيرة الكهنة الذي ينوب عن كبيرا الآلهة أن + ين تعني باللغة الآديغية الشركسية كبير أو كبيرة الكهنة الذي ينوب عن كبير الآلهة.

لقد كانت الصناعة الفخارية الراقية منتشرة عندما بدأ يذيب ويستخدم معدن النحاس ثم عرف خليطة البرونز الأشد قساوة من النحاس اللين، وعلى الأرجح كان في أول عصر البرونز عندما اضطرته ظروفه الحضارية الجديدة ومانجم عنها من تعقيد الى تسجيل وارداته من الغلال والماشية وخاصة تلك التابعة للمعبد بشكل صور بدائية وكان ذلك حوالي عام (٣١٠٠) ق.م.

وهكذا فإن هذه الأقوام ذات الأرومة والأصل والواحد والتي غدت مع الزمن واستمرار الإستيطان والإستقرار في أحواض الأنهار السابقة الذكر غدت شعوباً وبدأت الفروق اللهجوية تتوضح وتزداد حتى غدت لغات مستقلة ذات أصل ومنشأ واحد، وكلها لغات مقطعية يظهر أصلها المشترك بشيء من التحليل البسيط ، هذه الشعوب هي التي خرجت حاملة نمطها الحضاري المميز والمتشابه من ظلمات العصور الحجرية المعدنية (ما قبل التاريخ) وصعدت الى سدة التاريخ فإخترعت الكتابة الأولى في سومر (٣١٠٠) ق.م ، دون أن ننسى باقي الشعوب من أرومتها والتي

وضعت كتاباتها الخاصة بها (الكتابة الميخية ، والكتابة الهيرغليفية الحديثة في قبادوكيا، والكتابة الصوتية الكريدية في مسينا والآشويه في الكوبان) وقد اعتبر المؤرخون هذا الحدث وأسبقيه سومر أنه الثورة الثانية الهامة في سلم الحضارة الإنسانية.[١٢]

وقد كانت هذه الكتابة والكتابات الأخرى التي ذكرناها خاصة بلغات مقطعية جمعية[١٣] (حرفية مقطعية وصفية) ولايمكننا تصور أو قبول بأن الشعوب ذات اللغات الاشتقاقية يمكن أن تكون قد شاركت في وضعها أو اكتشافها ونبني حكمنا هذا على خصوصيتها الشديدة بتلك اللغات المقطعية والبون الشاسع بين طبيعة وشكل اللغات المقطعية واللغات الاشتقاقية وكذلك من منطلق انشغال الشعوب ذات اللغات الإشتقاقية بنمط حياة الظعن والتنقل الدائم وإنما يمكننا التأكيد على إن هذه الكتابة الصورية تطورت الى كتابة مقطعية مسمارية، وقد تمت إستعارتها لكتابة اللغات الاشتقاقية بها فيما بعد، وجرى تطويرها حتى يتم التغلب على الصعوبات الجمّة التي نشأت عن كتابة هذه اللغات الإشتقاقية بكتابة وضعت أصلاً للغات مقطعية، وربما كان هذا التطوير هو السبب الغير مباشر في الوصول في النهاية الى وضع الأبجديات التي تصلح لكل أنواع اللغات.

إن المتتبع لتطوير وأسلوب الكتابة الصورية المقطعية، من صورة أولى مفردة تدل لوحدها على المرأة (صورة إمرأة) ثم صورة ثانية للجبل (صورة جبل) والمقصود من هاتين الصورتين ليس المرأة وليس الجبل وانما إسم العلم الذي تدل عليه هاتين الصورتين وهو (الخادمة) لأن اسم العلم الخادمة مكون من مقطعي الجبل والمرأة ربما لأنهم كانوا في البداية يأتون بها من الجبل أي أن عبارة (امرأة الجبل) صارت اسم علم (الخادمة) ويمكن أن نزيد هذا الأمر وضوحاً فنأخذ مثالاً من اللغة الشركسية (الأديغية) التي هي الأخرى لغة مقطعية إن اسم العلم الذي يدل على (الزعيم) أو الرئيس هي كلمة (تحمادة) وهي تعني زعيم القوم وكبيرهم ولايفهم منها معانيها المقطعية حتى يتم تحليلها الى مقاطعها التي كونت هذه الكلمة وهي (تحه) وتعني إله والميم بمثابة اللام الجارة في اللغـــة العربية و(آده) تعني الوسيلة أو الأداة ويصبح معنى المقطعين (وسيلة الإله أو أداة الإله وربما إحتوت المعنى المجازي نائب الإله) ولكن القارىء والمتكلم لايفهم هذه المعنى لأنها غدت مجتمعة اسم علم يعني الزعيم أو الرئيس وهكذا فاسم العلم في اللغات المقطعية يتألف من مقاطع وحروف وصفية وهذا غير موجود في اللغات الإشتقاقية لذلك كانت الكتابة السومرية الصورية المقطيعة خاصة بالسومريين ولم يشاركهم أحد في إكتشافها انظر المخطط ص ٤١.

لقد استمرت الكتابة المسمارية منذ بدايتها وحتى العصور الميلادية فهي والحال هذه كانت

من أطول الكتابات عمراً وأكثرها أثراً في الشعوب التي جاءت بعدهم وفي حضارة الإنسان بشكل عام كما إستمرت لغتهم حتى النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد كلغة علم ودين، فهي والحال هذه من أطول اللغات العالمية عمراً ولاتضاهيها في طول مدة استعمالها وانتشارها وأثرها الحضاري أي لغة أخرى في العالم فيما نعرفه عن لغاته، إن أبعد زمن يمكننا البحث عن الأصول والقرابات القديمة للشركس (شعوب شمال القفقاس الأصلية) لايتعدى العصر الحجري النحاسي وبداية عصر البرونز أي منذ فجر التاريخ وربما قبل ذلك بقليل بشرط الاستمرار الحضاري في المكان الجغرافي والموقع الأثري، وسيتجه بحثنا نحو تلك الشعوب ذات اللغات المقطعية التي بنت الحضارات المدينية والتي سادت على المسرح العالمي في ذلك الـوقت ذلك لأننا لانريد أن نعتمد على الاستنتاج والإجتهاد، وإنما نقتصر على ما أخبرتنا به نتـائج التنقيب الأثري وكتابات وآراء المؤرخين ونشير الى ما نراه واضحاً أكيداً من خلال التشابه الفكري الحضاري الديني والتحليل الفيزيولوجي واللغوي إضافة الى ذكر أقـوال المؤرخين للإستئناس بها ونشير في النهاية الى ما يمكن أن يكون حقائق تاريخية واضحة لامجال للإشتباه في صحتها أو صدق دلالتها.

ولاتفوتنا الإشارة الى أن الأمم السائدة اليوم في العالم والسباقة في كتابة التاريخ لتوفر الإمكانيات من مؤرخين وعلماء وأخصائيين لديها، وهي في حقيقتها عجينة شديدة الإمتزاج حصلت نتيجة إندماج الأقوام التي تتالت في المناطق الحضارية السابقة الذكر[١٤]، هذه المناطق التي كانت شديدة الجذب وقد صبغت هذه العجينة من الشعوب بلغة الحضارة الأخيرة وإن شئت فقل الهجرة الأخيرة إن كانت سلمية أو الاجتياح الأخير إن كانت حرباً.

إن ما نريد قوله هو أنه لايوجد عرق صافٍ ولاتوجد قومية عرقية، وإن وجدت فإنما هي قوميات حضارية تاريخية تراكمت في المكان الجغرافي ومن أجناس وعروق مختلفة متباينة هذا ما تؤكده التطبيقات الحديثة جداً لعلم المورثات في دراسة التاريخ.

هذه الأمم السائدة اليوم والتي يحاول بعض مؤرخيها تأصيل نسبها الى تلك الأقوام القديمة التي اندثرت بالإندماج إن أمكنها أن تفعل ذلك للإستئثار بما هو ملك للبشرية جمعاء وعلى حد سواء فلا توجد حضارة لم تسبقها حضارة أخرى.

إن توالي الاكتشافات وتوالي القراءات العلمية الصحيحة هو سبيل التاريخ ولاشك يظهر في النهاية الحقائق العلمية، ويبعد تلك الدعاوى التي قد تكون مبررة ما لم تصل الى حد قلب الحقائق.

ونحن في دراستنا هذه لسنا بصدد دراسة تاريخية وحضارية لتلك الأقوام القديمة التي

أقامت تلك الحضارات وسميت في الرافدين (الحضارات المدينية الزراعية) ومدن المعبد، وسميت في الأناضول (دويلات المدن) وسميت في عيلام (بملوك الطوائف) وكذلك لدى الأوراتيين (٢٤ مدينة وإمارة) وكذلك لدى الحوريين وفي شمال القفقاس وقد تماثلت جميعها في مفاهيم الديمقراطية والحرية ومارست الإنتخابات وحكامها أو أمراءها وأخيراً ملوكها كانوا خدماً لشعوبهم وآلهتهم كما نفهمه من ألقابهم ـ لوجال Lu gal والصحيح له جل ( ) وتعني باللغة السومرية والآديغية الشركسية (الملك ـ رجل الشعب).

وعندما تحركت تلك الشعوب التي فرضت عليها المشقة وشظف العيش في بواديها وصحاريها فتوجهت بانظارها الى رغد الحياة في تلك المدن، وتمكنت أن تغـــزو سلماً أو حرباً بلاد الحضارات الزراعية منذ منتصف الألف الثالث و أقامت على أرضها وبعد تمثل حضارتها بنت الأمبراطوريات الكبرى من منطلق ألوهية ملوكها المطلقة وحكمها المطلق حسب مفهوم الراعي والرعية ولأن الراعي هو كل شيء بالنسبة للقطيع، وقد كانت هذه الهجرات في بدايتها سلمية ومساكنه وتمازجاً ديموغرافياً وحضارياً، وقامت بعد اقتباس تلك الحضارات القديمة بنشرها على رقاع امبرطورياتها الواسعة، حتى تم تأنيس الحصان(١٥) واستخدامه بعد زمن في القتال ثم عرف معدن الحديد، والمفارقة هنا هي أن شعوب الحضارات المدينية في شمال القفقاس وسهوبها الشمالية هي التي عرفت استئناس الحصان وذلك منذ الألف الثالث ق.م ثم(١٥) اكتشفت معدن الحديد منذ الألف الثاني ق.م ولكن هذه المعارف وبعد أكثر من ألف عام كانت قد انتقلت الى الشعوب التي تحيا الحياة الرعوية فغدت هجراتها اجتياحات خطيرة كثيراً ما قامت بتدمير ووأد تلك البؤر والمراكز او المدن لتوفر عاملي السرعة والسلاح الحديدي القوي.

إننا نقوم هنا بالإشارة والاستفادة من الدراسات التي قام بها العلماء والمؤرخين لكي نبين العلاقات الإثنية القديمة والجذور، ولنبين موقع شعوب شمال القفقاس في سفر التاريخ في عصور فجر التاريخ وآثار مساهماتها البناءة كغيرها من الشعوب في إغناء حضارة الانسان بشكل عام.

إن صلات القرابة للشركس إذن تتبع توزع هذه السلالة جنوباً بإتجاه الاناضول آسيا الصغرى وايران الغربية وجنوب الرافدين وبعض المواقع باتجاه ساحل بلاد الشام وذلك منذ ما قبل الألف الرابع ق.م بالتأكيد الى زمن غير محقق بالضبط وقد يصل في بعض الأماكن الى بدايات النيوليت وهم العيلاميون(٣٣) وجيراهم السومريون والحاثيون والأورارثيون والكاسيون والحوريون وربما غيرهم من الأقوام التي كانت تستوطن القوس الحضاري الطوروسي

الزاغروسي والى شماله بين بحري الخزر والأسود لما يسمى بالقفقاس وصولاً الى جنوب الرافدين وكانت تسميتهم بعبارة مبهمة لاتعني شيئاً إلا انهم قدموا من الشمال الجبلي ولم يكلف المؤرخون انفسهم عناء دراسة لغاتهم ومنشئهم.

ولما لم يتمكنوا من تحديد زمن لاستيطانهم الى زمن يعود الى ما قبل الحجري النحاسي أقروا اعتبارهم انها نشأت في المكان كما يميل الى ذلك جل المؤرخين وهذا ما يوضح قدمهم ويؤكد ما ذهبنا اليه من انتشار هذه الاسرة من الشعوب منذ العصر الحجري الحديث وخاصة بعد زيادة المكتشفات الحديثة في (شاتال هيوك وشالاهار وثبات استمرارها الحضاري وتشابه تلك الحضارات.

وليعذرني القارىء الكريم إذا تبين له ان هذه الشعوب بمقدار ما هي اليوم قليلة العدد والعدة مهضومة الحقوق ومستضعفة ومهجرة من وطنها بمقدار ما كانت شعوباً واسعة الانتشار عظيمة التأثير والتأثر ولعبت أهم الأدوار في تاريخ عصور فجر التاريخ ثم تراجعت ديموغرافياً بالاندماج والاجتياح.

وإذا كانت الأساطير القديمة هي التي تعبر عن روح الشعب وتراثه الحضاري فقد لخص الشراكسة هذا وعبروا عنه على النحو التالي: أرسل الإله طائر السنونو ليسأل النارتيين[١٦] أتريدون أن تبقوا قلة طيبة وتعيشوا حياة قصيرة ولكن بطولية أم تفضلون أن تتكاثروا ويزداد عددكم وتعيشوا حياة طويلة للطعام أو الشراب دون كرامة وعزة نفس فأجابوه:

نختار الحياة القصيرة وليبق صيتنا ذائعاً
ودون أن نجانب الحقيقة لتكن العدالة طريقنا
ولنعش بقلوب حرّة ودون أن نعبأ بالصعاب

لم تأبه هذه الشعوب مع الأسف بكثرة أعدائها ولم تستوعب المثل الذي يقول(الكثرة غلبت الشجاعة) فكانت تفضل خوض الصراع مهما كانت النتائج مما أوصلها الى حد الفناء مرات عديدة[١٧]

٢ ـ القفقاسيون الأصليون Paleo Caucasiens

يجمع العلماء أن العرق الأبيض الذي سمي (العرق القوقازي La Rasse Caucasiens بدأ الانتشار منذ آخر العصر الحجري القديم الأعلى (البلايستوسين) مع بدء ذوبان الجمودية الأخيرة منذ (٣٥ ـ ٤٥) ألف سنة ويسميه المؤرخون بالإنسان العاقل Homo Sapiens الذي تحدر منه الانسان الحالي، وقد غطى أماكن انتشاره الحالية في آسيا واوربا وبعد ٢٠ ألف سنة دخل الى شمال أفريقيا وشرقها فتمت الإحاطة بالبحر الأبيض المتوسط.

وقد تميزت للعرق الأبيض هذا وفي الأمكنة الجغرافية التي انتشر فيها ثلاث سلالات بشرية حدثت بينها بعض الفروق الفيزيولوجية كطول القامة وشكل الرأس .. الخ وهي:

أ ـ السلالة النوردية في أقصى شمال اوربا (النورمانديون أو الفايكنج) .

ب ـ السلالة الألبية في وسط اوربا ومناطق جبال الألب.

ج ـ سلالة البحر الأبيض المتوسط والتي هي الكتلة الكبيرة الواسعة الانتشار حول البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وفي غرب أسيا عموماً.

وقد بدأت سلالة البحر الأبيض المتوسط الواسعة الانتشار تتمايز في الأمكنة الجغرافية التي انتشرت فيها بتأثير مؤثرات بيئية أو تأثرت بالجوار فانقسمت الى أربع مجموعات من الأسر:

١ ـ أسرة الشعوب القفقاسيةPaleo Caucasiens

موطنها الأصلي: هو منطقة القفقاس الجغرافية بين البحر الأسود والخزر واحواض أنهار الكوبان والترك وقوما وصولاق وكورا وأراكس ومصبات نهر الدون والدينير وشبه جزيرة تامان.

وقد انتشرت من موطنها الأصلي هذا فاستوطنت بشكل مبكر ومنذ بدايات النيوليت مما يعتبره العلماء انها تكون قد نشأت في المكان لقدم هذا الاستيطان في آسيا الصغرى وانحدرت نحو الآمانوس وزاغروس وصولاً الى منابع دجلة والفرات والى جنوب بلاد الرافدين، ولن نؤكد على هجرات تكون قد دخلت الهند ووادي النيل مما تتوفر له بعض المؤشرات التي تحتاج الى زيادة في البحث والتحقيق.

كما انتشرت ومن موطنها الأصلي السابق الذكر فاستوطنت اجزاء من شبه جزيرة اليونان وكريت وشمال ايطالي وشبه جزيرة ايبريا ووصلت بعض هجراتها الى اجزاء شمالية من اوربا.

إن هذا الاستيطان والانتشار كان سابقاً للهجرات الهند أوربية والسامية واخيراً الهجرات الطورانية وشغلت الفترة الزمنية من بداية العصر الحجري الحديث النيوليت وحتى فجر التاريخ. انظر المصور ص(٢٢) و انظر المصور (٧) ص ٧٦

٢ ـ **أسرة الشعوب الهنداوربية** : وقد تميزت كذلك عن سلالة البحر الأبيض المتوسط في المكان الجغرافي الذي يختلف العلماء على تحديده،ولكن أغلبية العلماء ترى في صحراء شمال الهند وايران وشرقها وصولاًالى السهوب غرب وشمال بحر قزوين هو موطن هذه الشعوب قبل تحركها وانتشارها وهجراتها ونحو الغرب[٢٠] انظر مصور رقم (٥) صفحة (٧١) .

٣ ـ **أسرة الشعوب السامية** : التي تميزت ايضاً مع الزمن وفي المكان الجغرافي والذي هو أيضاً مختلف عليه، ولكن غالبية الآراء ترى أن شبه الجزيرة العربية هو موطنها الذي نشأت وتشكلت فيه قبل تتالي هجراتها[٢١]. انظر مصور رقم (٥) صفحة ٧٤

وهكذا ففي تلك العصور القديمة، بعد أن أتم الانسان انتشاره في السهول والنجود ومن ثم في الوديان ومصباتها ومصاطبها اللحقية في قرى بدئية ومارس الزراعة وتربية الماشية وتمكن من تطوير صناعته الفخارية وبدأ يستخدم المعادن في تجمعات كبرت ونمت وتطورت الى مدن سماها المؤرخـــون بدويـــلات المدن يطـــل علينا العصـــر الحجري النحاسي ثم البرونز المبكر (٤ آلاف ق.م) فنرى القفقاس (انظر فقرة البرونز المبكر في شمال القفقاس ومصور انتشار النحاس والبرونز من القفقاس الى اوربا).

نرى القفقاس وآسيا الصغرى والمنحدرات الطوروسية الزاغروسية وجنوب بلاد الرافدين تستوطن فيه شعوب الأسرة القفقاسية، وقد بنت حضارتها الزراعية وتربية الماشية وبناء المدن حول المعبد، وهي تتحدث لغات مقطعية جمعية (هذه اللغات هي لغات حرفية مقطعية جمعية وصفية) متشابهة وتدلنا آثارها انها شكلت منطقة حضارية واحدة وعالماً واحداً ومدنية واحدة قديمة وقد كانت الشروط الجغرافية المناخية السائدة في مواطنها قد ساعدتها على ترسيخ الاستقرار فبعد ممارسة حياة الزراعة البعلية وتربية الماشية[٢٢] في تجمعات بدائية طورتها على ضفاف الأنهار واكتشاف الري فحصلت على محاصيل وفيرة وماشية متنوعة مكنتها من الاستقرار فوصلت الى مجتمع المدينة (انظر المصور رقم (٦) صفحة ٧٥

في حين كانت تجاورها في صحراء الهند وشرق بحر الخزر وسهوب شمال بحر الخزر وفي شبه الجزيرة العربية والبوادي الى الشمال، كانت تجاورها وتحيط بها من الجنوب والشرق والشمال الشعـوب التي لم تتمكن من الاستمرار في تطوير حياتها الزراعية فارتدت بفعـــل الجفـــاف واقتصـرت حياتـها على الرعي والتنقل طلباً للكـلأ والمرعى ومثـــالها (الكيميريون

غرب الفولفا والأسكوذيين شرقها ذلك شمالاً وكذلك الباقي مما سمي بالهنود الأوربيين شرق بحر الخزر وفي شمال الهند وما سمي بأسرة الشعوب السامية في شبه الجزيرة العربية) لقد كانت الصناعة الفخارية المتطورة منتشرة عندما بدأت شعوب الأسرة القفقاسية في تطوير استخدام النحاس ثم البرونز وعموماً ما عرف عنها من مهارة وصلت درجات فائقة في الصياغة المعدنيـة والصب وخلط المعـادن مما أثبتته آثـار التنقيب للعصور المعدنية في الكوبان (كورغان مايقواب) وفي حضارة الحاثيين والاورارتيين ثم النقلة المعدنية الهامة التي نشأت إثر استيطان السومريين في جنوب العراق وآثارهم المعدنية الرائعة التي عثر عليها المنقبون.

وقد اضطرتها الظروف الحضارية الجديدة ووفرة الانتاج هذا الى تسجيل حسابات المعابد بشكل صور بدائية كما سبق واشرنا اليه.

وهكذا فإن هذه الإسرة من الشعوب التي غدت مع الزمن أقواماً تمايزت لهجاتها ولغاتها المقطعية ذات الأصل المشترك عبرت ثورتي النيوليت وخرجت حاملة حضاراتها المتشابهة من ظلمات العصور الحجرية الى فجر التاريخ فاخترعت الكتابة الصورية الأولى حسبما نعلم في سومر ٣١٠٠ ق.م[٢٣]

ونقول ان المؤرخين أطلقوا عليها تسمية الأقوام الجبلية لأنها قدمت أثناء انتشارها واستيطانها من الشمال الجبلي، وكانت سومر أكثر قريناتها رسوخاً وقد سبقت غيرها بكتابتها المسمارية التي استخدمتها كل الشعوب واستعارتها منهم، ولكن يجب أن لاننسى أن باقي شعوب هذه الأسرة حتى لو استعارت الكتابة المسمارية فقد كانت هي في مواطنها لها كتابتها التصويرية الخاصة بها والتي وضعت هي مبادئها وبلغاتها المقطعية فلقد اوجد العيلاميون[٢٤] والحاثيون القدماء والأورارتيون والآشويون[٢٥] في حوض الكوبان كتاباتهم التصويرية الخاصة بهم، كما تشابهوا في الميتولوجيا الدينية وبناء المدن والبراعة في صياغة المعادن (النحاس البرونز والمعادن الثمينة وأخيراً الحديد) وتربية الخيول الأصيلة الذين كانوا هم أول من أدخلها الى الشرق الأدنى.

وقد ظهر واضحاً وجلياً من تشابه مختلف آثـار هذه الحضارات القديمة وكتاباتهم أن هذه الشعـوب وقبـل غيـرها هي التي أرست أسس الديانة الطبيعية (عبادة قوى الطبيعة ـ آلاف الآلهة في سومر ولدى الحاثيين القدماء) وتضلعوا بعلم النجوم والفلك والعلوم الحقوقية[٢٦] والعلوم الطبية وقطعوا البحار قبل الكل واخترعوا الكتابة فدخلوا فجر التاريخ باختراع انماط الكتابة التي سبقت الاشارة اليها وهي الكتابة الصورية ثم المقطعية المسمارية في سومر ـ والكتابـة الميخيـة ـ والكتابـة الهيروغليفيـة الحاثيـة القديمـة في قبادوكيا والكتابة

الصوريـــة الآشويـــة في الكـــوبان ـ والكتابة الصوتية الكريدية[٢٧] وهم من اوائل من استخدم العربـــة والعجلـــة وأول من قـــام بتربية الخيول الأصيلة وتدريبها واكتشفوا المعادن (النحاس البرونز الحديد) وبناء السفن وتفننوا في الزراعة وعلى الأخص زراعة الحبوب والكرمة واستخرجوا الزيوت والخمور من الثمار انظر صفحة ٧٥ [٢٨]
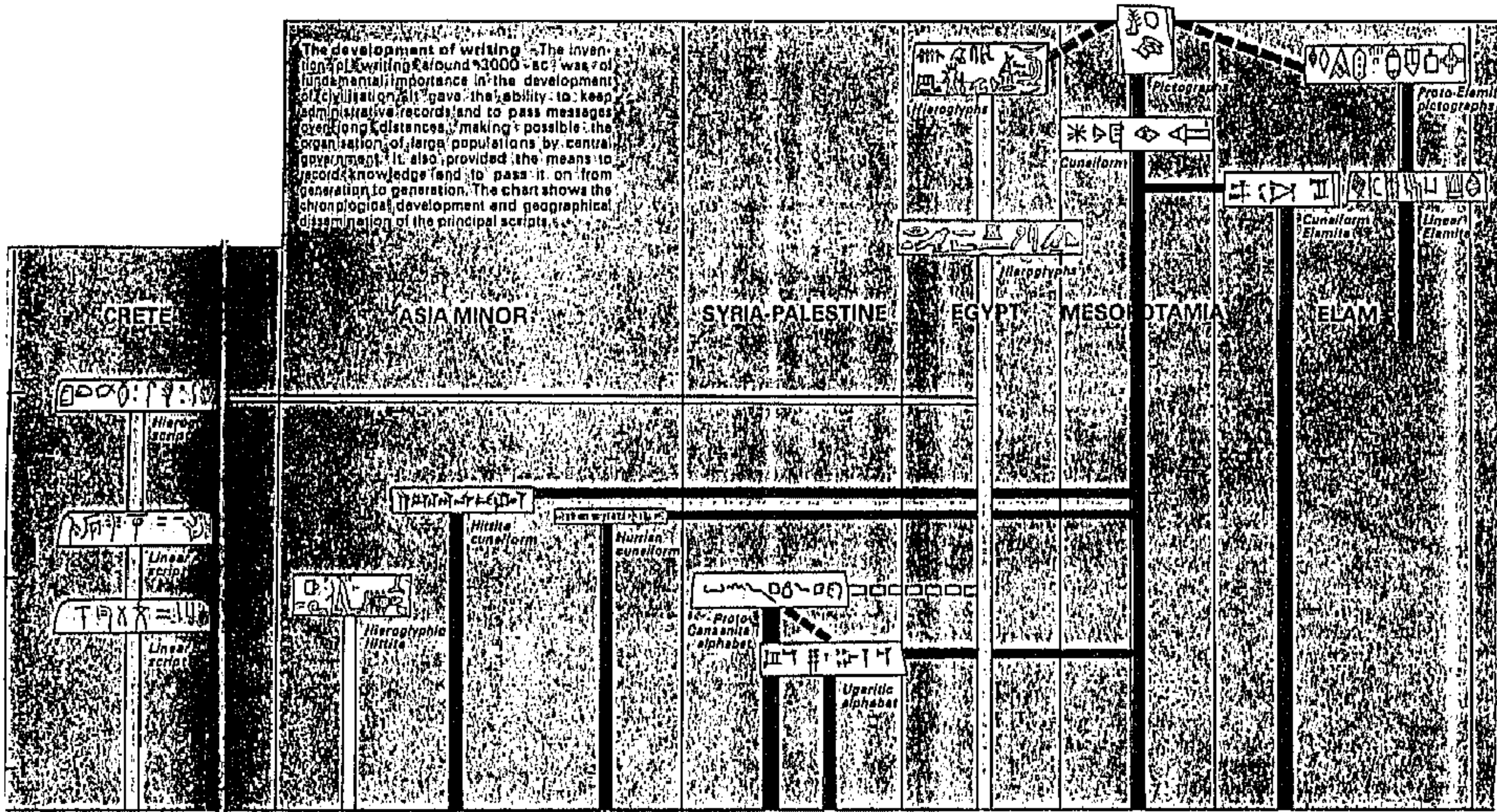
مخطط يبين موطن اختراع الكتابة الأولى حوالي عام ٣٠٠٠ق.م في سومر والكتابات الأخرى التي تفرعت عنها أو رافقتها .

٣ ـ (الأمة التي ينتسب اليها الشركس)

إن الأمة التي ينتسب اليها الشركس (شعوب شمال القفقاس الاصلية) انتساباً مباشراً وبشكل لاريب فيه هو ماورد في كل أساطيرهم التي لاحصرلها (وهي تتجاوز عدة آلاف وأكثر من أن تحصى) والتي هي أمة (النارت) [٢٩] التي حددت تلك الاساطير مدى انتشارها واستيطانها القفقاس الشمالي وحتى نهر الدون ومصبه شمال البحر الأسود، في حين يقل ارتفاع الاستيطان شمالاً على ساحل بحر الخزر الى مصب نهر القوما وصولاً الى ما وراء القفقاس عبر الدربند والكولخيد.

وقد تكاثف هذا الاستيطان على مايبدو في تلك العصور القديمة حول مجاري الأنهار وسهولها اللحقية والتي تجري في المقعر شمال سلسلة جبال القفقاس كنهري الكوبان والترك، وفي جنوب السلسلة الجبلية أنهار: كورا وأراكس وريوني وأدجاري وكورخ والتي تجري في المقعر الجنوبي.

ثم جرى استبدال اسم النارت وفي الأساطير الأحدث باسم (الأنت) [٣٠] وعندما اقتربت العصور الميلادية جرى استبداله باسم آديغة أوديغست حسب اللهجات التي تمايزت بين الجزء الشرقي والجزء الغربي وتعمقت بشكل لغات ذات أصل مشترك مما تبرهن عليه التسمية السابقة.

إن هذا التطور في التسميات الثلاث إنما عكس المراحل الحضارية والثقافية والاجتماعية التي عاشتها هذه الأمة عبر التاريخ .

١ ـ نارت : وهي التسمية الموغلة في القدم والتي انتسبت اليها هذه الشعوب منذ العصور الحجرية وحياة القنص وقطف الثمار ولانعلم الى أي مدىً يمكن أن تعود في القدم ولكن تحليلها المقطعي يمكن أن يدلنا على مرحلتها الحضارية ويمكن أن تعود لأواخر الميزوليت أو النيوليت ولبدايات مرحلة عبادة الأم ويمكن أن تلفظ (نات) بدون حرف الراء، لأن الراء ما هي الى أل التعريف (ن + ت) وتعني عطاء الأم أي أنهم اعتبروا انفسهم عطاء تلك الأم الإله الكبرى.

٢ ـ أنت وهي كلمة مؤلفة من مقطعين (أن + ت) وهي تعني عطاء إله السماء وهي كذلك تؤرخ المرحلة الحضارية التالية بعد تعدد الآلهة وعبادة آلهة الطبيعة وكان ذلك

على ما يبدو مع انتشار الزراعة المروية [٣١] وبناء المدن عندما تعددت الآلهة وتجاوزت أعدادها امكانية الحصر. وقد ورد اسم أنتن إله الزراعة في الأساطير الشركسية وتعني (عطاء وهبة إله السماء) ويبدو أن تسمية أنت تلازمت وترافقت مع الدخول الى عصر الزراعة وتربية الماشية.

٣ ـ آديغة اسم الجزء الغربي (أديغة وبخ المجاز) وديغست اسم الجزء الشرقي (ششان ـ غلغاي وغيرهما من شعوب القفقاس الأصلية التي تستوطن اقليم الداغستان) وكلا الاسمين متماثلين بعد حذف الأحرف الزائدة وهي (آ) التي هي أداة نداء أو (ست) وتعني البلد، والباقي من الاسمين هو مقطع (ديغ) والمعروف أنّ دَ هو الحرف الذي يدل على الأب في هذه اللغات و تَ ـ في بعض اللهجات وهكذا فإن هذه التسمية تتوافق مع المرحلة الحضارية التي تبدلت فيها الاسـرة من نمط النظـام الأمـومي الى النمط الأبوي (الأسرة الأبوية) وسيطرة الذكورة بدليل الحرف الأخير في العبارة ديغ (   ) .

لقد ورد ذكر كلمة أنت لدى الكثير من المؤرخين وخاصة اليونان، والذين كانوا يستوطنون حول بحر آزوف وشمال البحر الأسود وكل الساحل الشرقي للبحر الأسود وحوض الكوبان وحتى مصب نهر الترك شرقاً، أي القفقاس الشمالي الغربي الجغرافي وتراس البحر الأسود، وتعتبر المنطقة السابقة البؤرة المركزية لتوزع اسرة شعوب القفقاس غرباً نحو أوربا وجنوباً في آسيا الصغرى ومرتفعات ايران وصولاً الى جنوب الرافدين، ولن نتحدث عن امكانية استمرار هذا الانتشار بشكل هجرات بعيدة المدى تكون قد وصلت الهند ومناطق من جنوب الجزيرة العربية[٣٢] ودخول بعضها وادي النيل لقلة الأبحاث والإشارات حول هذا الموضوع وضآلة المعلومات التي نعثر عليها والتي هي إن وجدت فإن الإشارات المتوفرة لدينا بحاجة الى دراسات معمقة ومطولة لإثباتها ولامجال لبحثها في هذا الكتاب (يرجى الرجوع الى هامش ٣٢ ـ ٣٤) .

٤ ـ (اندماج شعوب الأسرة القفقاسية)

خارج القفقاس الشمالي

ابتدأ انقراض شعوب الحضارات المدينية الزراعية من الأسرة القفقاسية ذات اللغات المقطعية المتشابهة والتي ثابرت على بناء الحضارة معظم النيوليت[٣٣] والعصور المعدنية، وبدأت بالإندماج التدريجي والإختفاء من انحاء آسيا الغربية وأوربا الجنوبية، وكان السبب على ما يبدو لنا هو تحرك الشعوب الهنداوربية والشعوب السامية، التي كانت تعيش في مواطنها الحياة الرعوية بسبب تواصل جفاف المناخ الذي اكتمل منذ الألف الرابع ق.م وقد تحركت هذه الشعوب بدءاً من منتصف الألف الثالث ق.م حيث بدأت هجراتها تشد الرحال الى بلاد الحضارات المدينية الزراعية (وإننا لايمكن أن ننفي أو نثبت حركتها وهجرتها قبل هذا التاريخ مما ليس لدينا دليل عليه).

وكانت هذه الهجرات تتحرك بدافعين أولهما هو شظف العيش في صحاريها وسهوبها وطبيعة حياتها التي تعتمد التنقل الدائم وثانيها هو إغراء تلك الحضارات المستقرة وغناها(ويمكن أن ندرج هنا وفي سياق حديثنا جميع ملاحم وأساطير وقصص الصراع التي روتها تلك الأساطير عن الصراع بين الراعي والفلاح كدليل عما جرى).

ولم تنفع الأسوار الدفاعية التي أنشأتها تلك الشعوب (سور الإله عموروا الذي أنشأه السومريون تجاه البادية والصحراء، سور الكوبانالذيأنشأه القفقاسيون الشماليون بين البحر الأسود والخزر تجاه السهوب الشمالية، ومثالها أيضاً وفي منطقة حضارية خارجة عن بحثنا ولكننا نستشهد بها وهي سور الصين العظيم تجاه تقدم الشعوب الطورانية الرعوية من اواسط آسيا بإتجاه الصين).

لم تمنع تلك الأسوار ومحاولات ايقاف زحف الشعوب الرعوية في ايقاف تلك الهجرات أو الحد منها، وقد تم هذا الانتقال على ما يبدو سلماً وعن طريق المساكنة والمجاورة في بادىء الأمر، ولكنها انتقلت الى التنازع والصراع السياسي بعد أن حققت الغلبة الديموغرافية، ثم تحولت في عصور الميلاد الى اجتياحات كانت مدمرة في كثير من الأحيان، بعد أن شاع استخدام الخيل والعربات الحربية ومعدن الحديد[٣٤].

لقد اختفت شعوب الأسرة القفقاسية الأصلية خارج القفقاس الشمالي بالإندماج الديموغرافي في خضم تواتر البحر اللجب من الهجرات التي استهدفت هذه المواطن الخصيبة، وسادت اللغات الإشتقاقية بعد أن تمكنت هذه الشعوب الجديدة من تحقيق الغلبة الديمغرافية ثم استلمت السلطة السياسية ذلك لأن ممالك المدن المستقلة المتفرقة التي تسودها مفاهيم الديمو قراطية والحرية والإنتخاب والمجالس الشعبية الخ.. لم تستطع الصمود أمام مفهوم الحكم المطلق للشعوب الرعوية ومن منطلق ألوهية ملوكها(٣٥)، ومما تجدر الإشارة اليه ان (لوجال زاجيري أخر ملوك سومر قبل سرجون الأكادي، كان قد وحد المدن السومرية بعد حروب طويلة أنهكتها كما توسع خارج الأرض السومرية ولكن يبدو أن هذه الأفكار الامبراطورية التوسعية المعتمدة على الحكم المطلق لم يتلاءم معها السومريون وسرعان مافقدوا السلطة السياسية قبل أن يتم ترسيخ مثل هذه المفاهيم السياسيةالجديدة عن السلطة). انظر المصورات (٨ - ٩) صفحة (٧٥).

وهكذا فقد سادت اللغات الإشتقاقية بعد استعمالها كلغات رسمية مع بقاء اللغات المقطعية طويلاً كلغة علم ودين في كل الامبراطوريات التالية التي قامت على أرضها.

وهكذا قامت امبراطوريات الشرق الكبرى ذات الحكم المطلق والتي تلت حضارات شعوب الأسرة القفقاسية في سومر وعيلام واوارارتو وحوري ميتاني وحاثي، وقد نهلت الشعـــوب الجديدة وامبـــراطورياتها من حضـــارة هذه الشعـــوب الموغلـــة في القدم ، وكذلك قامت امبراطوريات الغرب الكبرى بعد اكتساح وتمثل حضارات كريت(٣٦) والاتروسك (٣٧) في شمال ايطاليا وغيرهما من انحاء أوربا.

إن امبراطوريات الشرق الكبرى بالتتالي هي الأكادية وتلتها فترة سومرية اعتبرت العصر الذهبي لسومر ثم الامبراطورية البابلية وتلتها ولمدة خمس قرون فترة كاشية ثم الآمبراطورية الآشورية التي اعتبرها كثير من المؤرخين خليطاً سامياً قفقاسياً وهكذا تم الامتزاج العظيم بين هذه الشعوب وهي سامية وقفقاسية بالتتالي حتى وقع الجميع تحت حكم الامبراطورية الفارسية (من شعوب الأسرة الهنداوربية) التي شملت اليابسة المعروفة آنذاك، وكذلك امبراطوريات الغرب الكبرى اليونانية وتلتها الرومانية.

وقد استمرت عمليات المزج والإندماج وتتالي السلطة طوال الألفي عام ق.م وعندما جاءت العصـور الميلاديـة لم نعد نجد ما يدل على وجـود هذه الشعـوب بعـد زوال لغتها إلا آثـار حضـاراتها العريقـة وزال وجــودها الديمغـرافي وزالت لغـاتها من كل القـوس الحضاري ميزربيتاميا المنحدرات الايرانية اورارتو آسيا الصغرى والأناضول إضافة الى جنوب أوربا ولكن بقيت بعض المناطق الجغرافية صعبة المنال بمعزل عن هذا الإندماج وهذه المنطقة هي

منطقة شمال القفقاس الموطن الأصلي الذي نشأت فوق أرضه هذه الشعوب إضافة الى منطقة جبلية في القارة الأوربية وهي منطقة شعب الباسك في جبال البيرنة.

إن أقدم الهجرات السامية التي نعلمها هم الأكاديون، ويبدو أنهم كانوا يتقدمون الى وادي الرافدين الجزء الأوسط منه والى الشمال من دول المدن السومرية، وقد بلغتنا أقدم الأنباء عنهم منذ ما بعد منتصف الألف الثالثة ق.م، وكان قدومهم سلمياً، وتركوا مع الزمن والمساكنة في بعض المدن السومرية حياة البداوة واستقروا في بعض هذه المدن وأهمها مدينة كيش، وقد خضعوا فترة طويلة لحكم السومريين وتعايشوا معهم واندمجوا بهم، حتى تمكن سرجون الأكادي من التغلب على لوكال زاجيري عام ٢٣٥٠ ق.م وكان ذلك مؤشراً على الغلبة الديموغرافيـة والسياسية للأكاديين وأقام الامبراطورية الأكادية الموحدة على أنقاض ديمقراطيات المدن السومرية المتناحرة(٣٨) التي كان لوكال زاجيري قد تمكن للتومن توحيدها بعد مجهودات حربية أنهكتها.

وقد كانت الامبراطورية الأكادية ذات مضمون حضاري استند كلية على مفاهيم الحضارة السومرية(٣٩) التي تكونت وتأصلت خلال الفي عام تقريباً على اعتبار ان قدوم السومريين كان في الألف الرابع ق.م، وقد كان مضمونها الديمغرافي من الأكاديين والسومريين، أما مضمون السلطة فقد كان أكادياً يستند الى ألوهية الملوك والحكم الإلهي المطلق، هذا المفهوم خاص بالشعوب التي نشأت في البيئة الرعوية وربما كانت أحد اسباب قيام تلك الامبراطوريات واتساع أرجائها وظهورها بمظهر القوة، أما السومريون فقد استمر وجودهم داخل مدنهم واستمر تأثيرهم الحضاري في كل الحضارات اللاحقة، واستمرت كتابتهم الى النصف الأول من القرن الأول للميلاد ودليل وجودهم القوي هو عودتهم الى المسرح السياسي بعد ثلاثة قرون، فقد اجتاح الجوتيون الامبراطورية الأكادية بعد قيامها بقرن ونصف فقط، لذلك يمكن اعبار الفترة الأكادية هي فترة عابرة إذا ما قارنا عمر الامبراطورية (١٥٠ عام) مقابل التواصل الحضاري السومري السابق لهم مدة خمسة عشر قرنا(١٥٠٠) عام وقد أنهى الجوتيون الوجود السياسي الأكادي وعلى مايبدوا بكثيرمن القسوة والعنف وحكموا البلاد من مواطنهم في الشمال ولم يستوطنوا السهل الرافدي، ولقد تركوا شيئاً من الحرية لدويلات المدن السومرية، ولم يتدخلوا في شؤونها، وربما تكون قد نجت من اجتياحهم مما يجعلنا نتساءل إن كان السبب هو الأصل القفقاسي الشمالي المشترك(٤٠) مع إشارتنا للفارق الحضاري الشاسع حيث كان الجوتيون قريبين جداً من مرحلة الصيد وقطف الثمار. وقد تمكن السومريون بعد

قرن ونصف من حكمهم الجائر من طردهم والتغلب عليهم وكان ذلك عام ٢٠٥٠ق.م وسميت الفترة التي عاد بها السومريون بعصر اليقظة السومرية (٢٠٥٠ - ١٨٣٠) حوالي ٢٢٠ سنة وكانت من أزهى عصورهم وأكثرها إزدهاراً، وقد أنهى هذه الفترة جيرانهم العيلاميون في المنحدرات الزاغروسية الذين احتلوا جنوب العراق، ثم قدوم هجرة سامية جديدة وهم العموريون والصراع العيلامي العموري.

إن الهجرة السامية الثانية هي (هجرة العموريين والكنعانيين)[٤١] الذين أقاموا في النهاية الإمبراطورية البابلية في بابل (١٨٣٠ - ١٥٣٠ ق.م) أي قرابة ثلاث قرون، وقد أدرك الملك السومري (شوسن) خطر هذا التقدم فأقام في الغرب سوراً لدرء خطر التغلغل العموري (سماه جدار الإله عمورو)، ولكن القبائل العمورية تمكنت من التدفق واختراق الموانع والحراسات السومرية وتوضعت في أواسط وجنوب بلاد الرافدين، ويبدوا أن ذلك حدث في الوقت الذي كان فيه ملوك سومر يخوضون صراعاً مريراً ضد عيلام التي تمكنت أخيراً من هزيمة السومريين وأسر ملكهم(آبي سن)، الذي اقتيد أسيراً الى العاصمة العيلامية سوسا.

هكذا أصبح لدينا خليط ديموغرافي وثقافي مكون من السومريين والأكاديين القدماء الذين كانوا قد استقروا نهائياً إضافة الى الإحتلال العيلامي وتقدم الهجرة الإستيطانية العمورية التي تدفقت تحت هذه الظروف وتمكنت في النهاية من انشاء الامبراطورية البابلية التي ورثت الحضارة السومرية الأكادية السابقة بكل مضامينها وقامت على تطويرها والتي ظهر فيها حمورابي العظيم الذي يمكن اعتبار عصره العصر الذهبي للإمبراطورية البابلية من خلال سني حكمه الطويلة (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م).

أما الهجرة السامية الثالثة فهم الآشوريون الذين يردهم البعض الى أنهم فرع غربي للأكاديين ويردهم آخرون الى أنهم فرع غربي للعموريين، وقد أقاموا فترة طويلة الى جوار بابل قبل توغلهم شمالاً على منابع الخابور ونهر دجلة، فجاوروا الحوريين والامبراطورية الميتانية وتعاملوا بالتجارة مع مدن الحاثيين والحثيين والأوراتيين، وقد خضعوا طويلاً للميتانيين وللحثيين فتأثروا بكل هذه المؤثرات الحضارية والديمغرافية قبل أن يتيسر لهم تأسيس الإمبراطورية الآشورية التي كانت تحمل في طياتها كل هذه المؤثرات لذلك جاءت هذه الإمبراطورية ذات صبغة عسكرية واضحة، استخدمت فيها العربة القتالية السريعة أحسن استخدام (١٥٣٠ -١١٩٠ ق.م).

وفي حوالي عام ١٥٣٠ ق.م قاد الملك الحثي (مورشيللي) هجوماً أنهى به الوجود

السياسي للإمبراطورية البابلية بإحتلاله مدينة بابل، ولكن الحثيين لم يستوطنوا أرض الرافدين وإنما انسحبوا بعد أن سلموا السلطة الى أقربائهم الكاشيين الذين استأثروا بالسلطة وأسسوا المملكة الكاشية وبنوا عاصمةخاصة بهم الى جوار بابل ودامت دولتهم حتى عام ١٢٣٨ ق.م حيث هزمهم الآشوريون وانهوا الحكم الكاشي في بلاد مابين النهرين.

هذا ما كان من أمر تواتر الهجرات السامية[٤٣] شمالاً الى مناطق الهلال الخصيب، واندماج شعوب الأسرة القفقاسية في هذه الممالك والامبراطوريات المتتالية التي أشرنا اليها حتى وقع الجميع تحت سيطرة الفرس الذين جاؤوا في اعقاب الميديين وأسسوا الامبراطورية الفارسية التي سادت على اليابسة المعروفة آنذاك في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد والميديين والفرس هم من شعوب الأسرة الهنداوربية.
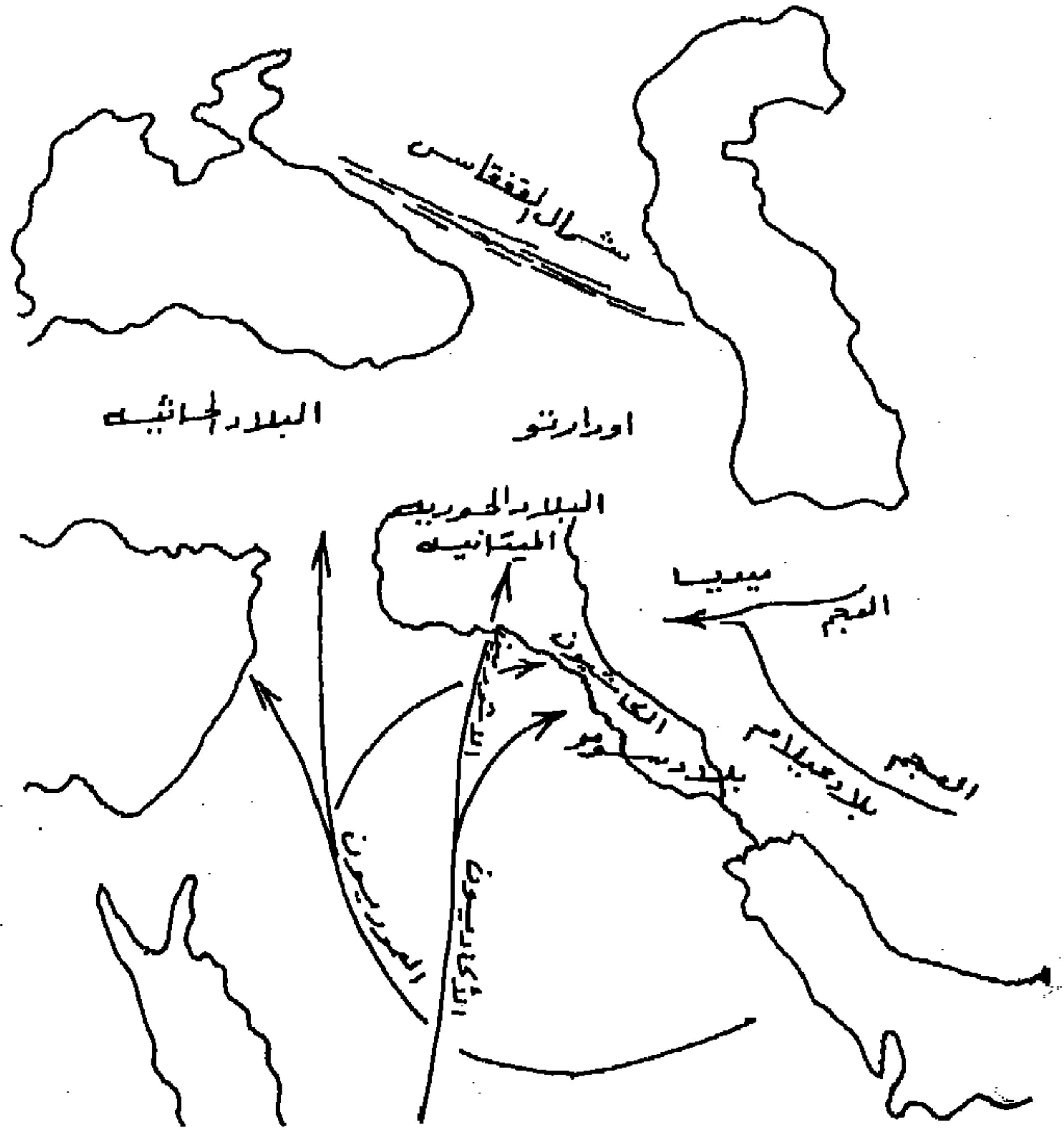
الهجرات السامية القديمة من المراعي الجنوبية نحو مواطن الحضارات المدنية

لقد كانت حركات شعوب الأسرة السامية تتجه من الجنوب الى الشمال في حين تحركت هجرات اخرى جديدة من مواطن انتشار الشعوب الهنداوربية وكانت وجهتها من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ومن الشمال انعطفت احياناً الى الجنوب.

إن أول هذه الهجرات كانت ظهور الحثيين النيسيين في آسيا الصغرى منذ الألف الثاني ق.م، وتوطنوا بالمساكنة في مواطن حضارات المدن الحاثية القديمة، بناة الحضارة المدينية الزراعية من شعوب الأسرة القفقاسية، في حوض نهر الهاليس وقبادوكيا وفي آسيا الصغرى، وقد أخذ هؤلاء اسمهم (الحثيون) م سابقيهم (الحاثيون) وتمثلوا حضارتهم الزراعية وتربية الماشية والصناعة المعدنية الراقية (النحاس البرونز الحديد) وبناءالمدن وأقاموا فترة طويلة حتى تمكنوا عام ١٥٠٠ ق.م من الوصول الى السلطة في الإمبراطورية الاتحادية الواسعة الأرجاء،(٤٤) واننا سندرس هذه الإمبراطورية وحضارة الحاثيين القدماء دراسة خاصة في هذا الكتاب لأننا نرى ان حضارة الحاثيين القدماء لم توضح أهميتها ولم يوضح انها شغلت النصف الأول من الفترة الامبراطورية (١٩٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م) وانها قبل ذلك تعود الى عصور موغلة في القدم كشف عنها التنقيب الأثري في شاتال هيوك وهي لذلك تمثل المضمون الحضاري والديمغرافي لهذه الامبراطورية العظيمة.

وكذلك فقد ظهر الميتانيون فإستلموا السلطة السياسية عند الحوريين القدماء وقد اعتبرهم بعض المؤرخين انهم هجرة هنداوربية بينما اعتبرهم آخرون شعبة رعوية من الحوريون انفسهم من منطلق لغتهم الواحدة واننا إذ نؤكد الرأي الأخير لأن الحوريين وسائر الشعوب القفقاسية عرف عنها استئناس الحصان واصول تدريبه وتربيته ونشره في منطقة الشرق الاوسط كما عرفت هذه الطبقة من الفرسان التي أفرزتها تلك المجتمعات والشعوب الزراعية وتخصصت هذه الطبقة بالفروسية والبطولة وصارت لديها تقاليدها العريقة في ذلك ونسجت حولها الأساطير (ارجع الى اساطير الناريتين وأسماء ملوك عيلام وملوك الهكسوس)

وكان من البديهي بعد تشكل هذه الطبقة من الفرسان المحاربين وتقاليدهم العريقة (يبدوا انهم أفرزوا نهائياً من المجتمع الزراعي ولم يعودوا يمارسون الأعمال الزراعية اليومية واقتصرت حياتهم على أعمال الفروسية والقتال) وكان من البديهي أن تشكل هذه الطبقة الفئة الحاكمة في هذه الشعوب وذلك بعد منتصف الألف الثاني ق.م. لذلك فإننا نؤكد على الرأي القائل بأن الميتانيين هم تلك الفئة من الفرسان المحاربين التي تخصصت بتربية الخيل والفروسية، وقد شكل هؤلاء طبقة حاكمة لدى الحوريين وقاموا بتأسيس الامبراطورية الحورية (١٥٠٠ ق.م حتى ١٣٣٠ ق.م) والتي يسميها المؤرخون الامبراطورية الحورية الميتانية التي قامت على

منابع دجلة والخابور شمال الجزيرة السورية وشمال الرافدين حتى الحقوا أخيراً بالامبراطورية الحثية.

وكذلك فقد تغلغل الأرمن (٤٥) وهم ايضاً هجرة هنداوروبية مع الاختلاف في اعتبارهم شرقيين جاؤوا في ركاب الفرس أو أنهم قدموا من الغرب، ويقول المؤرخون أنهم استفادوا من الظروف المناسبة لضعف امبراطورية اورارتو بسبب تعرضها للضغط الميدي ثم الغزو الأشوري وبعد ذلك الضغط الفارسي فصعدوا شمالاً وسيطروا على إحدى مقاطعات اورارتو وهي مقاطعة لهاسا، وتابعوا منها في الانتشار فسيطروا على الأراضي والسهول الأورارتية الخصبية دافعين بالسكان الأصليين نحوالجبال حيث وصف هذه الحالة مؤرخو اليونان، وكان ذلك منذ بداية القرن السادس للميلاد.

وكما سبق أن ذكرنا: كان العجم قد اكملوا اختلاطهم بالعيلاميين والميديين منذ القرن السادس ق.م واسسوا امبراطوريتهم الكبرى في القرن الخامس للميلاد والتي وقع الجميع تحت سيطرتها.

حدث كل ماسبق وشرحناه في آسيا الغربية ومنطقة الشرق الأدنى وآسيا الصغرى وحدث ذلك التمازج الثقافي والسياسي الديمغرافي على حدود القوس الحضاري.

أما في جنوب القارة الأوربية وفي اليونان على وجه التحديد عندما ازدهرت تلك المدينة التي قام بها الآخيون وهم ايضاً من الشعوب الهنداوربية، كانوا في آسيا الصغرى وفي عداد شعوب الامبراطورية الحثية قبل انتقالهم الى البر اليوناني واقتباسهم الحضارة الكريدية المسينية وكان ذلك عام (١٢٠٠ق.م) حيث أعقبهم في عام (١١٠٤ق.م) الدوريون الذين تدفقوا من الشمال ويبدوا انهم كانوا من النورديين بحسب طول قامتهم وصفاتهم الفيزيولوجية وكانوا في مرحلة حضارية متأخرة (الصيد وقطف الثمار) وقد تحضر الجميع على أرضيه الحضارة الكريتيه المسينية العريقة وفي النهاية نتج عن هذا المزيج ما عرف بالامبراطورية اليونانية البحرية التي سادت في كل حوض البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود(٤٦).

أما في شمال البحر الأسود في السهوب الروسية حيث الكيمريون الذين يعتبرهم المؤرخون من الهنود الأوربيين الذين استوطنوا بين الفولفا والدون وجاوروا شعوب الأنت التي كانت تستوطن القفقاس الشمالي الى شمال البحر الأسود وهي كما رأينا التسمية القديمة للشركس، وقد تعرض الجميع (الكيميريين والقسم الشمالي من الأنت) الى هجوم الأسكيت وهم أقوام رعوية هنداوربية شطروا الكيميرين شمال بحر آزرف الى شطرين.(٤٧)

الكيميريون الشماليون ومعهم الجزء الشمالي من الأنت ساقوه أمامهم الى أوربا بينما توجه

القسم الآخر من الكيميرين الى الجنوب وعبروا القفقاس من الكولخيد وهو ساحل البحر الأسود والتقت الشعبتان من الكيميريين في هضبةالأناضول وتوحدت جهودها في مهاجمة الآشوريين وبابل وبقايا المدن الحثية وهاجم قسم منها اورارتو واجتاحوا كل آسيا الصغرى وعبروا جنوباً عبر سوريا الى مصر حيث ردهم عنها فرعون مصر(بسامتيح) عندما أجزل لهم العطاء فعادوا شمالاً تدخلوا في شؤون الإمارات الحثية حتى غلبهم ملك كبادوكيا وكانوا قد ضعفوا وقلت شوكتهم فاندمجوا بهذه الإمارات وقد عرفت هذه الأحداث والاجتياح الكيميري رواه هيرودوت وأكدته قراءة النصوص الآشورية والحثية والمصرية (٧٢٠ - ٦٢٠ ق.م) .

أما الاسكيت الذين تبعوا الكيميريين فيبدوا انهم تاهوا عن متابعتهم وعبروا القفقاس من ممر دربند شرقاً[٤٨].

الهجرات الهند أوربية نحو آسيا الغربية من المراعي الشمالية الشرقية نحو مواطن الحضارات المدنية

٥ - (الشعوب القفقاسية التي نجت من الإندماج)

لم يبق من شعوب الأسرة القفقاسية سوى بعض شعوبها التي بقيت في بيئة جغرافية يصعب الوصول إليها ويسهل الدفاع عنها وذلك في موطنهم الأصلي في شمال القفقاس ،وكذلك شعب الباسك في جبال البيرينة وهم بقايا هجرة قديمة منذ الألف الثالث ق.م باتجاه الغرب.(٤٩)

وقد استمات سكان القفقاس في الدفاع عن موطنهم ووجودهم أمام مختلف الضغوط الجديدة التي ظهرت بعد العصور الميلادية، وهي تحرك الشعوب الطورانية من أواسط آسيا غرباً فعبرت الأورال والفولغا والسهوب الروسية في طريقها نحو اوربا، وكثيراً ما انعطفت جنوباً محاولة دخول القفقاس الشمالي والاعتداء على شعوبه. الذين تمكنوا في كثير من الأحيان ردّ هذه الطوفانات البشرية الجبارة، أو التجؤوا الى جبالهم العالية وغاباتهم الكثيفة اتقاء شرها، فحافظوا بذلك على وجودهم الديمغرافي وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم الحضاري الموغل في القدم، ونحن نشير الى هذه الموجات الجديدة مجرد إشارة ضرورية لخروجها عن نطاق البحث في كتابنا هذا المقتصر على عصور ما قبل الميلاد حصراً، ولكن كان من المفيد الإشارة اليها، وخاصة أن هذا الشعوب دفعت ثمناً غالياً وتقهقراً ديموغرافياً شديداً وتراجعاً نحو الجبال وزوال المدن والمراكز الحضارية في سهول الأنهار، وهكذا يمكن الافتراض أن شعوب القفقاس الشمالي برغم خسائرها الديمغرافية الفادحة لشدة مقاومتها فقد استطاعت البقاء بالتراجع جنوباً بمعزل عن الاجتياح والإندماج الذي أصاب كافة تفرعات هذه الأسرة من الشعوب في آسيه الغربية واوربا وكان على مايبدو خط نهري الترك والكوبان هي حدودهم الحمراء وخطهم الدفاعي التي تراجعوا خلفها، وهي الموطن القديم لهم قبل انتشارهم الواسع منذ النيوليت وحتى فجر التاريخ، مما يدل عليه من تسميتها (هكوج) ( ) بمعنى (الموطن العتيق) وتحليل الكلمة يدلنا على أن حرف هـ: هو الحصاء والزرع والنبات الكثير والكاف تعني الوسط والجيم: العتيق يمكن أن يبلغ عدد الشركس (شعوب شمال القفقاس الأصلية والمستوطنة القديمة) حوالي ٧ ملايين نسمة نصفهم في أرض القفقاس الشمالي والنصف الآخر في المهاجر الجديدة التي هجروا اليها قسراً بعد الإحتلال الروسي القيصري عام ١٨٦٤ . انظر مصور (١٠) صفحة ٥٦ .

كما بقي من شعوب هذه الأسرة وبتأثير ظروف جغرافية مشابهة شعب الباسك الذين

سبقت الإشارة إليهم، كما لايفوتنا الإشارة الى الأتروسك في شمال ايطاليا الذين استوطنوا سلاسل الجبال شمال نهر الدينير، ويعزى هذا الاستيطان الى غنى المنطقة بالثروات المعدنية مما يتوافق وخصائص هذه الشعوب التي كانت من رواد الصناعة والصياغة المعدنية (النحاس والبرونز والحديد) مما أشرنا اليه سابقاً وقد اندمج هؤلاء الاتروسك بالإمبراطورية الرومانية بعد تمثل حضارتهم العريقة وكذلك حدث في بقية انحاء اوربا وفي كل الأماكن التي استوطنوها مع بقاء طابع سكاني واجتماعي وعادات وتقاليد وأسماء الأماكن والتضاريس الجغرافية في بلجيكا وشبه جزيرة بروتاني ووسط انكلترا وغربي ايرلنده قبل هجرات الهنود الأوربيين وسيادتهم الديمو غرافية على القارة الأوربية وازدهارها الأري في العصر الحاضر.(٥٠)

هجرات المغول في العصور الوسطى

مصور يبين هجرات الهون الواسعة غرباً باتجاه أوربا

لذلك يعتبر العلماء أن سكان القفقاس الشمالي الأصليون Paleo Caucasiens هم الممثلون الأحياء والوحيدون لهذا التراث الحضاري الموغل في القدم، فهم والحال هذه قبلة علماءالانتربولوجية وعلماء اللسانيات الذين يجرون ابحاثهم من منطلق أن هذه الشعوب هي الأقرب للأصول، وأنها بفضل سلاسل جبالها العالية بقيت بمعزل عن الاختلاط الذي أصاب سائر تفرعاتها، لذلك تبذل الجهود لدراسة لغاتها وعاداتها واساطيرها التي صار جلياً لدى الباحثين صلتها الوثيقة بتلك الحضارات الغابرة، وأنها صاحبة الرقم ذات اللغات المقطعية(٥١) وانها بذلك تمثل تلك الجذور الأكثر قدماً والتي حافظت على أصالتها.(٥٢)

لقد اضطرت هذه الشعوب الى الانعزال فترات طويلة في جبالها ووديانها وغاباتها وكانت دائماً مشغولة بالدفاع عن وجودها،(٥٣) ونذكر أن هذه الاجتياحات لم تستطع ولامرة من متابعة الشركس الى جبالهم، ولكنها وكما أسلفنا تفسر لنا كثيراً من الخصائص والمميزات منها صفات الفروسية والاستعداد الدائم للدفاع والتضحية عند هذه الشعوب، وكذلك تفسر لنا انحسار وتراجع حدودهم الشمالية باتجاه السهوب،(٥٤) كما تفسر لنا خلو المنطقة من التجمعات السكانية الكثيفة أو التجمعات الحضرية المزدحمة (المدن الكبيرة) والفقر الديمغرافي الشديد نتيجة الانهاك الدائم بالأرواح والضحايا في الحروب الدفاعية التي تواترت بدون انقطاع، وكذلك يمكن أن تفسر اختفاء الكتابة الآشوية المبكرة (٢٥٠٠ ق.م) في حوض نهر الكوبان (٥٥)، نعم لقد كان ثمن احتفاظ القفقاسيين الشماليين بموطنهم الفائق الغنى والفائق الجمال.. كان ثمناًباهظاً جداًدفعوا ثمنه على مر العصور التاريخية، ولم يمض من تاريخهم الطويل قرن من الزمان دون أن يتعرضوا وتتعرض بلادهم لموجة عارمة من محاولات الغزو والإستلاب تمكنوا من ردها دائماً وبدمائهم حتى وصلوا حافة الفناء مرات كثيرة،إن فقرهم الديمغرافي في العصر الحاضر وتشتتهم على المهاجر لايعيبهم بقدر ما هو مدعاة للفخر والإعتزاز، وإن هذا الفقر الديموغرافي يجب أن لايكون سبباً في طمع جيرانهم بأرضهم وإلا أصابهم ماأصاب جورجيوا شفرنادزة من حيث لايحسبون،

يفيدنا أن ندعم ما ذهبنا إليه بأقوال بعض المؤرخين.

الجغرافي العربي المسعودي: ربما يكون هذا الجغرافي العربي الفذ هو أول من انتبه الى الظواهر التي أشرنا اليها فأوردها ووصفها بدقة متناهية وبحدس علمي مع أنه لم يكن يعرف أسبابها التاريخية وها هو يقول: (إن لهذا الشعب أخلاقاً حميدة، ولايوجد أي شعب آخر من الشعوب التي تقطن في هذه الأرجاء (يقصد جهات طرابزون) أو في الأقاليم الأخرى من عنده

من الكمال الجسماني، والكمال الأخلاقي واللون الصافي..! مثل هذا الشعب إطلاقاً، ولايوجد أي مكان آخر في العالم مثل هؤلاء الناس في رشاقة أجسامهم وتناسق أضلاعهم ونحافة خصورهم وتناسب أضلاعهم...) طبعاًيجب أن لانفهم من هذا الوصف لهذا الجغرافي العبقري أنه يتغزل بهذا الشعب، انما يريد أن يقرر حقيقة انتربولوجية يتحدث بها علماء اليوم ويجرون أبحاثهم من منطلق أن هؤلاء القوم أقرب الى الأصول ولهذا نعتوا العرق الأبيض كله بالعرق القفقاسي..

وبعد هذا نراه قد أورد الخصائص الحضارية التي تتحلى بها هذه الشعوب وهي حبها العظيم للحرية وايمانها العميق بالديمقراطية[٥٦] مع انه لايعلم شيئاً من تاريخها القديم، وقد غاب هذا الفهم عن المؤرخين المحدثين ففسروا حبها للحرية وتمسكها بالإستقلالية فوصفوها بكثرة المنازعات على السلطة..[٥٧] وها هو مؤرخنا يدون ملاحظته: (انهم لم يكونوا متحدين فيما بينهم ولم تكن عندهم قيادة موحدة... ولو أن كل الذين يتحدثون بلغتهم يتحدون في أمة واحدة لما استطاع أي شعب آخر أن يفعل شيئاً ضدهم) .

لقد حاربت القبائل الشركسية منفردة الغزو الاستيطاني الروسي مدة قرن وربع من الزمن ولم تستطع تحقيق وحدتها السياسية برغم المحاولات الجادة التي جرت من أجل ذلك وندعم ما سبق أن ذهبنا اليه بقول كويبفر رئيس البعثة العلمية التي كانت ترافق الجنرال عمانويل في غزوة لبلاد الشركس التقرير وردت فيه العبارات التالية :

استولى الرعب علينا وتأكدنا الخطر الذي سيهدد روسيا الجنوبية فيما لو اتحد الشراكسة يوماً ما تحت قيادة رئيس واحد .

ويقول **البرفسور (آيتك ناميتوق)** : (بالرغم من الحوادث التي غيرت وجه العالم مرات عديدة لاشك أنه يقصد الاجتياحات وحركات الشعوب التي سبق شرحها بإسهاب)فإن الأقوام القليلة العدد المتشبثة في غابات وجبال قفقاسية قد حافظت على لغاتها واشكالها الجسدية وصفاتها القومية بشكل سليم .

ويقول **جون بادلي** : (كانت السهول تحت أقدام الجبال تخيم عليها القبائل الفاتحة وكانوا ينطلقون أمة تلو أمة (يقصد كما اسلفنا هجرة الشعوب التي سبق شرحها) ومع ذلك فإن أكثر القبائل التي تقطن الجبال لاتعود بأصولها الى هذه الأقوام. ونستند في حكمنا هذا على المعطيات اللغوية ولكون هذه القبائل كمايقول اوسلار: بقايا الشعوب التي كانت تسكن في عصور ما قبل التاريخ بقاعاً شاسعة من الأرض وهي تنتمي الى جنس واحد اختفى من بقية بقاع الأرض.

ويقول أمين سمكوغ نقلاً عن بيهان: (اتفق العلماء بأن القفقاسيين الأصليين والباسك والأتروسك هم بقايا عالم قديم ومدينة قديمة كانت تسكن أوربا وآسيا الصغرى إننا من طرفنا إذا أردنا أن نؤكد وندعم ماسبق وذهبنا اليه نضيف ان انعزال هذه الشعوب والتجائها الى جبالها لمدة طويلة لم يوفر لها الفرصة لتطوير حضاراتها القديمة الموروثة وأدى الى بعض المظاهر نذكر منها ما ذكره مؤرخوا اليونان من ظاهرة الأمازونيات في مناطق مختلفة من القفقاس (قبيلة النساء المحاربات) وبرأينا أنها كانت ظاهــرة تمثل المراحل الأخيرة للتحول من المجتمع الذي تسوده الأسرة الأموميــة[٥٨] الى المجتمع الذي تسوده سيــادة الأب (الأسرة الابويــة) وكذلك ظاهرة الخطف الاجتماعية التي كانت في حقيقتها أحد أساليب التحول القسري السابق الذكروقد تطورت مع الزمن وأخذت مفاهيم الشرف وقوانين الشرع، وكذلك تلك الروح القتالية والفروسية العالية المستوى والاحترام الشديد للمرأة والتي عرفت بها هذه الشعوب مردها الى ذلك التأخر كما يرى البحاثة الاجتماعيون القدماء والمحدثون [٥٩]
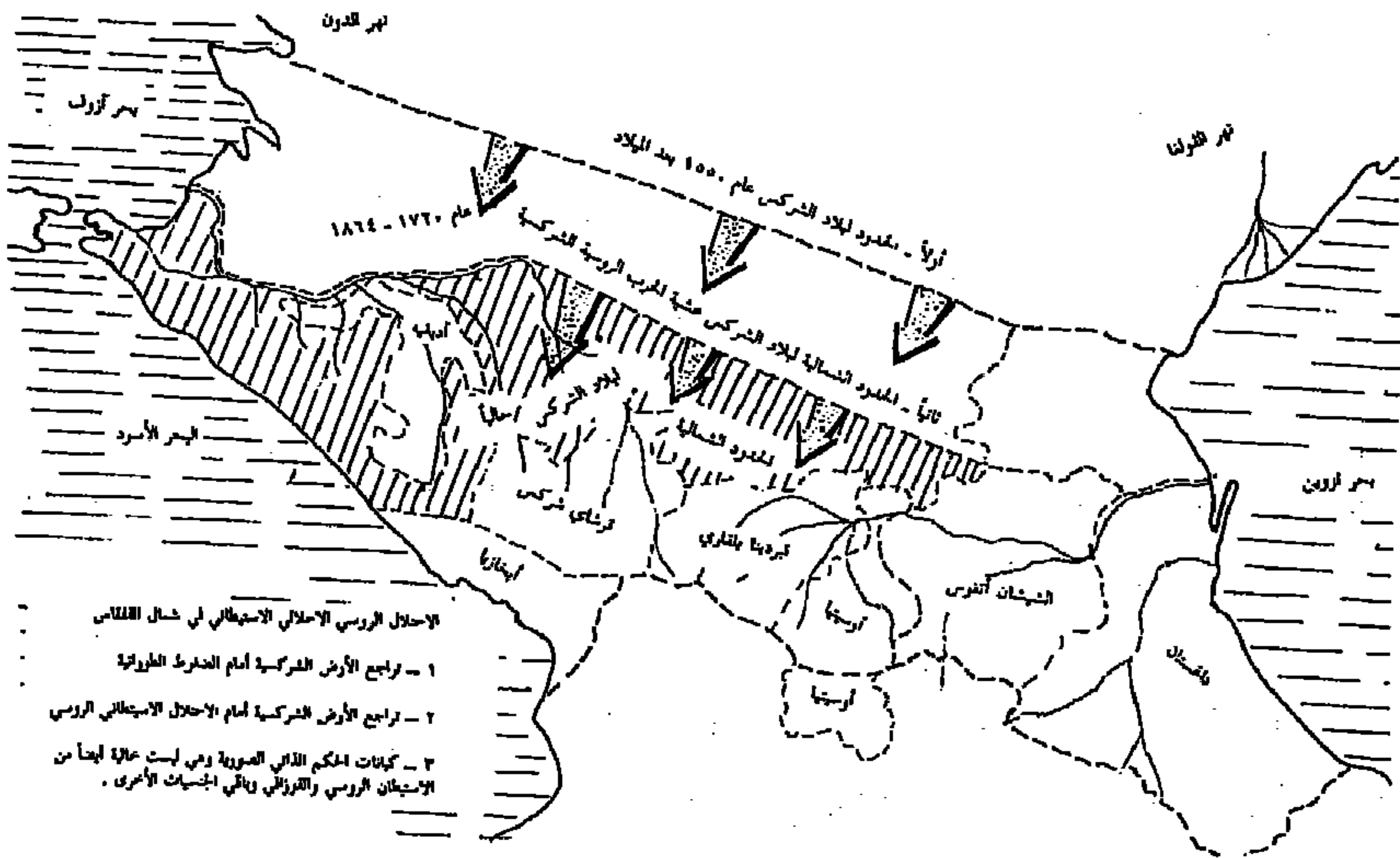
مصور(١٠)تراجع الأرض الشركسية أمام الضغوط الطورانية ثم الاحتلال الروسي

موجز الفصل الأول

١ ـ منذ العصر الحجري القديم الأعلى ـ ٣٥ ـ ألف سنة ق.م (البليؤستو سين) بدأ العرق الأبيض بالانتشار وهو الانسان الحديث الذي تحدر منه الانسان الأبيض الذي لقب بالعرق القفقاسي، وقام بالانتشار ببطء مع ذوبان الجمودية الأخيرة على كامل القارة الأوربية والآسيوية عدا الجزء الشرقي والجنوب الشرقي وعبر الى شمال افريقيا قبل ١٥ ألف سنة.

٢ ـ وعندما جاء العصر الحجري الحديث ـ ١٠ ـ ٨ ألف سنة ق.م (الهولوسين)، وكانت الجمودية الأخيرة قد انتهت من الذوبان والتراجع، تميزت مع الزمن وبتأثيرات بيئوية وفي الأماكن الجغرافية التي انتشر فيه العرق الأبيض الى ثلاث سلالات اختلفت ببعض صفاتها الجسدية كطول القامة أو قصرها ودرجة اللون والشعر وشكل الجمجمة الخ.. وهي اولاً ـ السلالة النوردية الشمالية ثانياً ـ السلالة الألبية في وسط اوربا ثالثاً ـ سلالة البحر الأبيض المتوسط على باقي المساحة الجغرافية وخاصة حول البحر الأبيض المتوسط.

٣ ـ عندما بدأت العصور المعدنية (الحجري النحاسي) ٨ ـ ٥ آلاف سنة ق.م كانت قد تميزت من سلالة البحر الأبيض المتوسط عدة أسر من الشعوب ببعض المواصفات الجسدية الطفيفة واختلاف لغاتها وطرق معيشتها وأنماط حياتها التي فرضها المكان الجغرافي وبالتالي اختلف أيضاً في عاداتها وتقاليدها ونذكر منها أسرة الشعوب الهنداوربية وأسرة الشعوب السامية وأسرة الشعوب القفقاسية.

لقد كان من حسن حظ (أسرة الشعوب القفقاسية) التي استوطنت مناطق من جنوب اوربا وقفقاسيا وبعض اجزاء من آسيا الغربية (آسيا الصغرى ـ شمال ايران والمنحدرات الزاغروسية حتى الخليج العربي ونقاط التماس الشمالية للقوس الحضاري وجنوب العراق وبعض مناطق في بلاد الشام[٦٠] إن تحسن المناخ وملاءمته وتوفر التهطال المطري المناسب أكثر من ٣٠٠ ملم مطر ثم توفر الغطاء النباتي الحيواني المناسب والنجود والأنهار ومصاطبها اللحقية في مواطن هذه الأسرة من الشعوب أمكنها أن تستمر في بناء حضارة الانسان دون انقطاع وقامت ببلوغ ثورتي النيوليت أي الوصول الى حياة الانتاج الزراعي الحيواني وبناء المدن

المزدهرة ووضع اسس الميتولوجيا الدينية (عبادة آلهة الطبيعة) وسائر العلوم الحقوقية الفلكية العمارة والري وبرعت في الصناعة والصياغة المعدنية وقد توفرت خاماتها في مواطنهم وأخيراً تمكنت من الوصول الى فجر التاريخ بإختراعها الكتابة الصورية المقطعية، (المسمارية في سومر ـ الميخية في عيلام القبادوكية الهيرغليفية الحاثية في الأناضول ـ الآشوية الصورية الكوبانية ـ الصوتية والكريدية في كريت).

أما أسرة الشعوب الهندأوربية[٦١] وأسرة الشعوب السامية [٦٢] وبإفتراض أنها بدأت الزراعة البعلية في الألف السابع فقد اضطرت الى قطع تطورها الحضاري (بداية الزراعة وتربية الماشية) والإرتداد الى حياة الرعي والاقتصار على تربية الماشية بالتنقل الدائم طلباً للكلأ والمرعى بسبب جفاف المناخ [٦٣] الذي كان قد بدأ منذ الألف الثامن ق.م في مواطنها بعد انتهاء العصر المطير وتشكل الصحارى والبوادي في اواسط وشمال الهند وشبه الجزيرة العربية وبادية الشام وشرق بحر آزوف وفي السهوب شمال بحر الخزر والقفقاس الشمالي. وهي لذلك لم تتمكن من الاستمرار في بناء الحضارة الزراعية للوصول الى الحضارة المدينية التي بنتها شعوب الاسرة القفقاسية في مواطنها (المدن السومرية ـ إمارات وملوك الطوائف العيلامية ـ المدن الأورارتية ـ المدن الحاثية).

١ ـ محاصيل الحبوب ٢ ـ محاصيل الجذور الاستوائية
٣ ـ الصيادون ورعيان الرنة ٤ ـ صيادوا الساحل القطبي
٥ ـ الصيادون الرحل ٦ ـ باقي مناطق الصيد

مصور يبين أنماط الحياة الاقتصادية وانتشارها قديماً

٤ ـ بلغ الجفاف والتصحر مداه في الألف الرابع ق.م، ولما جاء منتصف الألف الثالث، بدأت هذه الشعوب حركتها بإتجاه مواطن الحضارات المدينية وذلك بجذب وبسبب إغراء تلك المناطق الخصبة الغنية المتطورة، ودفع من الجفاف والقحولة وشظف العيش في مواطنها، وعملت قوة الجذب وقوة الدفع بإتجاه واحد حرك هجرات هذه الشعوب بشكل متواتر ولم تنفع السدود التي أقامتها شعوب الحضارة المدينية ولأسوار مدنها في منع هذه الشعوب من التقدم وتحقيق الغلبة الديموغرافية واستلام السلطة السياسية وتمثل تلك الحضارات العريقة وبناء الامبراطوريات الواسعة الأرجاء التي كان فضلها في نشر مفاهيم الحضارات العريقة التي اقتبسها على رقاعها الواسعة وهذه الامبراطوريات هي (الاكادية ـ البابلية ـ الحثية ـ الآشورية ـ اليونانية ـ الفارسية ـ الرومانية) أما شعوب الحضارات المدينية القفقاسية ولغاتها المقطعية فقد اندثرت واندمجت مع الزمن بالشعوب الجديدة التي قدمت للمناطق الحضارية سابقة الذكر انظر صفحة (٧٥) مصور رقم (٨) (٩).

٥ ـ عندما جاءت عصور الميلاد لم يكن قد بقي من شعوب الأسرة القفقاسية خارج القفقاس وفي آسيا الغربية واوربة إلا آثار حضاراتها الغابرة.

٦ ـ إن شعوب شمال القفقاس التي نجت من الإندثار في عصور ما قبل الميلاد تعرضت مجدداً لضغط الأقوام الطورانية التي بدأت هجرتها غرباً نحو اوربا قادمة من اواسط آسيا في العصور الميلادية وبشكل متواتر ودائم فتقلصت رقعة انتشارها وتراجعت خلف خط نهر الترك والكوبان والتجئت الى جبالها العالية وغاباتها مما ساعدها على البقاء ولكن ذلك سبب تراجعاً سياسياً واجتماعياً وديمغرافياً ودمار المدن والمواقع الحضارية وضياع الكتابة اعتباراً من القرن الخامس الميلادي.

وبقيت هذه الشعوب منعزلة في جبالها تحتفظ بما لديها من مدينات قديمة، تبرز من خلال عاداتها وتقاليدها ولغاتها المقطعية التي حافظت عليها بإصرار حتى تعرضت وفي مطلع القرن الثامن عشر وضمن موجة التوسع الامبريالي الاستعماري الاستيطاني الاوربي للعالم لإحتلال استيطاني استعماري قل نظيره وبعد أن تم كسر شوكتها إثر حرب احتلال دموية استمرت حتى عام ١٨٦٤ هجر معظم من بقي على قيد الحياة الى أراضي الدولة العثمانية...
انظر مصور (١٠) صفحة (٥٦).

١ ـ إن أعمال النقيب والبحث الاثري لعصر النيوليت ومابعده، تعاني من تقصير كبير بإعتراف المؤرخين السوفيت أنفسهم وهي بحاجة الى إعادة وتقييم عالي المستوى لأهميتها البالغة.

٢ ـ تعيش شعوب شمال القفقاس في ٩ كيانات صغيرة مجزأة ذات حكم ذاتي صوري، كما يعيشون في العديد من المهاجر.

٣ ـ يرجع الى كتاب ـ الانسان وسلالاته ـ يسري الجوهري ـ

يرجع إلى كتاب حضارات العصر الحجري القديم ـ فرنسيس باور ـ تعريب د. سلطان محيسن ظهرت انواع من اشباه الانسان وقد سمي اقدمها (اوسترالو بيتيكيس) ثم ظهر الانسان المنتصب القامة (Homo erectus) ثم ظهر الانسان العاقل العاقل الذي تحدر منه انساننا اليوم في الباليوليت الاعلى منذ ٣٥ ألف ق.م (Homo Sapiens Sapiens) .

٤ ـ يرجع الى كتاب تاريخ القفقاس الشمالي ـ تأليف مجموعة من الباحثين برئاسة ب ب بتروفسكي والكتاب باللغة الروسية.

٥ ـ يرجع الى كتاب قصة الانسان كارلتون كون (قبل ثلاثين ألف سنة (إختفى انسان نياندرتال لجيل حل محله،وهم اجداد الاوربيين وسكان الشرق الحاليين وإن أول نوع قام بهذا التوسع والانتشار كان جيلاً من القفقاسيين متقدماً من العرق الأبيض القفقاسي ، وقد نشأ هؤلاء الناس في غرب آسيا ودخلوا اوربا مقتفين آثار حيوانات الصيد وبعد عشرين ألف سنة اقتحم امثالهم شمال افريقيا .

٦ ـ يرجع الى كتاب أقدم الحضارات في الشرق الأدنى جيمس ميلارت تعريب محمد طلب صفحات ٢٥ ـ ٢٧ و ٥١ ـ ٥٦ (في عام ٧٠٠٠ ق.م نجد أن الزراعة عرفت في الأردن وايران والأناضول...) .

(انتشرت حوالي الألف السابعة ق.م حضارة جديدة ويمكن التعرف عليها من خلال مدينة أريحا حيث قدم إليها المستوطنون الجدد بعد فترة الانقطاع التام للتقاليد النطوفية،كما أن توزيع المستوطنين الجدد يبين بوضوح أن القادمين الجدد قد جاؤوا من الشمال..)

٧ ـ كتاب قصة الانسان سبق ذكره (عرفت الزراعة في جنوب سورية وايران والأناضول منذ الألف السابعة ق.م وعرف الانسان الذي عبد الأم الكبرى وصار لديه تجارة وسلعة وبدأ بالانتشار وانشاء الاسوار وكانت ادواته من الحجر والعظم (شانيدار- زاوي ـ نطوفي)

كتاب الوحدة الحضارية في بلاد الشام جاك كوفان تعريب قاسم طوير تقديم / بريدوود ص٥ (منطقتين شهدتا نشاطاً ملحوظاً مثيـراً للاهتمام خلال الفترة التي تمت فيها هذه الثورة (الزراعة) ١ ـ جبال طوروس الشرقية وجبال زاغروس التي تغذيها عروق دجلة وقارون ٢ ـ الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حتى الفرات.

٨ ـ كتـاب البـدو ـ مونتغمري وات دار المعارف الإسلامية:(من الأقوام التي كانت كاملة البدواة وتركت الزراعة نهائياً (الاسكيت او الاسكوذيين) الى الشرق من نهر الفولغا ـ الكيميريين بين الفولغا والكربات ـ الميديين في هضاب ايران ـ الاخمينيين في هضاب ايران

ايضاًوغيرهم كثير مما سمي بأسرة الشعوب الهنداورية وكذلك اقوام شبه الجزيرة العربية التي سميت (بأسرة الشعوب السامية)

٩ ـ كتاب العصور القديمة ـ هنري برستد إن الجبليين الذين أقاموا الى الشرق والشمال من وادي الفرات لم يكونوا ساميين ولا هنداوريين ويتعذر ان نجد لهم صلة بالأجناس الأخرى المهمة التي نعرفها.!!؟

كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ د. أحمد سليم (يعدد سكان التلال من الجنوب الى الشمال العيـلاميين الكاشيين ـ اللوبيون ـ الجوليون ونراه لا يذكر السومريين ـ الأورارتيين ـ الحوريين ـ الحاثيين القدماء والكاسك!؟ ولكنه يتابع قائلاً انهم ينتمون الى جنس واحد ويتكلمون لغات متشابهة.

١٠ ـ كتاب تمهيد في علم الجغرافية ـ عمر الحكيم ـ (إن الهجرات وخراب السدود كانا نتيجتين طبيعتين لتبدل المناخ في الجزيرة العربية من مناخ رطب الى مناخ جاف، وفي دور الهولوسين دخلت الجزيرة العربية في مناخ صحراوي بسبب انحراف الرياح الغربية.

يرجع الى كتاب باللغة الفرنسية Le sahara Raymond Furon

١١ ـ كتاب تاريخ الحضارات القديم ـ د. طه باقر ـ (من الحضارات التي اشتقت من حضارة السومريين هما الحضارة البابلية والأشورية والحثية في آسيا الصغرى وحضارة بلاد عيلام، إنه لا يشير إلى قدم الحضارة العيلامية والحاثية القديمة ولا يشير إلى العلاقات الأثنية ويردها كما حدث للحضارة اللاحقة البابلية الآشورية إلى الاقتباس بينما نرى على النقيض من ذلك ان المؤرخ كنج وعضو بعثات التنقيب البريطانية يشير إلى هذه العلاقة (إن ثمة علاقة كانت بين سكان ما وراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريين ومن الجائز أن هؤلاء قدموا من الشمال .

١٢ ـ تؤكد كل لمراجع أسبقية اكتشاف الكتابة الصورية في سومر يرجع الى مقال الدكتور احمد ارحيم هبو في كتاب سورية التاريخ والحضارة يتحدث عن الكتابة البدائية التي عرفتها معظم الشعوب، ثم الكتابة الصورية والمقطعية ثم الابجديات..

١٣ ـ كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة د. توفيق سليمان ـ يقول بزغ فجر التاريخ بإختراع الانسان الكتابة المقطعية المسمارية التي اخترعها السومريون ... والأكاديون للتوسع في مثل هذه المباحث يرجى الرجوع الى تعليقنا السابق الذكر وإلى كتاب د.طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة وكذلك كتاب قواعد اللغة السومرية للدكتور فوزي رشيد والى مختلف آراء علماء وقراء السومرية.

١٤ ـ كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ انطوان مورتكاتـ(لقد ساهم في صنع هذا التاريخ سكان مناطق الشرق الأدنى وهم (شعوب الصحراء العربية ـ كنعان والساحل الفينيقي) جبال آسيا الصغرى وبلاد مابين النهرين ومنطقة الأراضي الرسوبية على الخليج العربي ثم شعوب جبال ايران وهضابها، وتختلف هذه الشعوب عن بعضها دماً وعرقاً الا ان لجميعها هدفاً واحداً هو الوصول الى أراضي الهلال الخصيب وبالتالي التمكن من السيطرة على جنوب بلاد مابين النهرين بلاد السومريين التي كانت اول من عرف الحضارة المزدهرة ٣٠٠٠ ق.م

١٥ ـ كتاب تاريخ الحضارات العام موريس كروزييه ص ١٨١
كتاب البدو مونتغمري وات تعريب دائرة المعارف الاسلامية ص٤٦ ـ ٥٢ ـ ص ٦٦
١٦ ـ نارت هو الاسم الذي ينتسب اليه الشركس في كل اساطيرهم،ولم يأت ذكر هذا الاسم على لسان المؤرخين او في الخرائط الجغرافية بسبب قدم هذه التسمية التي تعود للعصور الحجرية،راجع البحرث الخاص بهذه الكلمة في حضارة حوض القوبان
١٧ ـ يعبر الروائي ميخائيل لاخفتنسكي الشركسي الأصل عن ذلك اصدق تعبير في روايته دوي الرعد ـ على لسان (آجوق) عندما قررت قرية أخرى من قرى الشابسغ وربما كانت آخر قرية لديهم:
قرر أهالي القرية الدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمائهم وهم يعلمون ان لاقبل لهم بالجيش الروسي الذي يهيء لإقتحام القرية إذ يقول:إذا ركع الانسان مرة واحدة فمن السهل ان يتعود على الزحف أنا أعرف حقيقة واحدة يجب على الانسان ان يدافع عن بيته والشعب عن أرضه وهكذا الأمر سيكون الى الأبد.
١٨ ـ يرجع الى مرجعي الانسان وسلالاته ـ وقصة الانسان سبق ذكرها ٠
١٩ ـ يرجع الى الاسكلوبيدية الفرنسية (شركس) ٠
يرجع كتاب مدخل تاريخ الشركس ـ امين سمكوغ نقلاًمن A Jarde Evolutionde humamite،L العرق القفقاسي هو لقب العرق الأبيض لأن غالبية الفرضيات تفترض القفقاس مهداً لنشوء وتوزع العرق الأبيض، وهناك فرضية تقول بأن شبه الجزيرة العربية هو المهد المحتمل. أما مانعنيه بأسرة الشعوب القفقاسية الأصلية فهي التي ثبت انها نشأت في المكان الجغرافي الذي هو القفقاس الشمالي لذلك فقد تكون الأقرب لأصل العرق الأبيض إذا صحت الفرضية لأولى يسميهم بعض المؤرخين بالبونت وهي تسمية لاتلائم الوضع الانتربولوجي لشعوب شمال القفقاس التي تتجمع تحت نوعين من المواصفات الفيزيولوجية البنيوية وهما : ١ ـ الرأس الطويل الوجه الطويل الانف المستقيم العيون الملونة او العسلية (غير السوداء) الشعر الكثيف الكستاوي ، ٢ ـ الرأس المرتفع القصير والعيون السوداء والقامة المتوسط والعيون الزرقاء ايضاً وانف منحن قليلاً ومن الممكن اطلاق عرق البحر الأسود على النمط الأول والعرق الجبلي على النمط الثاني وكلاهما نشأ في القفقاس واعطى شعوب الاسرة القفقاسية وهي من اسر سلالة البحر الأبيض المتوسط .
٢٠ ـ كتاب البدو سبق ذكره ص ٥٠ ـ ٥١ ٠

٢١ ـ يقول مورتكات سبق ذكره تنتسب الشعوب القادمة من الصحراء العربية وبادية الشام التي دخلت اراضي الهلال الخصيب على شكل موجات متلاحقة طوال ثلاث آلاف سنة الى أسرة لشعوب السامية يرجع إلى كتاب الهجرات العربية القديمة الدكتور محمد عبد الحميد أحمد .
٢٢ ـ كتاب الانسان وسلالة سبق ذكره (سلالة البحر الأبيض المتوسط يمكن تتبع اصولها في الحضارة النطوفية في فلسطين (صيد وقطف ثمار) التي كانت تجمعاًصغيراً مهد لظهور الزراعة البعلية في (أريحا) ٠
كتاب الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد جاك كوفان

تعريب قاسم طوير ص ١٠٣ في موقع تشـــايونو بتركيا وفي هذه الفترة اي حوالي ٧٠٠٠ ق.م ظهرت بوادر الزراعة الأولى في موقع غانج دارة بايران وفي موقع على غوش بخوز ستان إن الكميات الكبيرة من الحبوب الاليفة التي ظهرت في السوية المرحلة ب ـ من العصر الحجري الحديث السابق لظهور الفخار في أريحا بفلسطين ليست دليلاً على وجود الزراعة لأن هذا النوع من الحبوب لم يكن موجوداً في الشكل البري في هذا الموقع بل لأن الحبوب البرية عامة لا تنبت في هذا الارتفاع عن سطح البحر اذن لابد ان تكون تلك الحبوب قد اتت من الخارج ومامن شك ان القادمين الجدد من سورية الى أريحا قد جلبوها معهم

ويقول ايضاً في الصفحة ١٠٢ لم تظهر البوادر الأولى لأنتاج القوت في بلاد اشام إلا في النصف الاول للألف الثامن ق.م (٧٥٠٠) ق.م ولكنها لم تشمل في البداية الا على الفعالية الزراعية غير ان الزراعة تعم بصورة اكيدة بعد ذلك التاريخ، وكانت الزراعة ترافق انتشار نمط المساكن المستقيمة الجدران قائمة الزوايا وهذه القرى نفسها قامت فيها الأدلة على وجود تربية للحيوانات الصغيرة ·

٢٣ ـ معظم المصادر تؤكد على اسبقية السومريين بإكتشاف الكتابة الصورية

٢٤ ـ حسب مورغان وحسب بير شيل من أعضاء بعثة التنقيب الفرنسية (أن اللغة العيلامية هي لغة مقطعية وأن العيلاميين الذين كتبوا بالكتابة المسمارية وباللغة السومرية كانت لديهم كتابتهم الخاصة بهم بلغتهم الانزاينة

٢٥ ـ الكتابة الآشوية كتابة صورية ومقطعية قفقاسية شمال غربية في حوض الكوبان بدأت ككتابة صورية ردها تورتشيانينوف الى ٢٥٠٠ ق.م وقد تطورت الى مقطعية نقلها الملك الأسير باتو الى بيبلوس في الألف الثانية ق. م والتي تعتبر اساس الكتابة الكنعاينة القديمة حسبما رآه البرفسور ايدكودورم ـ ديونان يرجى الرجوع الى كتاب اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس تأليف ف. ف تورتشيا نينوف صفحات ٣٩ ـ ٦٠ .

٢٦ ـ يعتبر المؤرخون قانون اورنمو الملك السومري أول القوانين حتى يكتشف ما هو أقدم منه

٢٧ ـ أوجد الكريتيون القدماء كتابتهم المقطعية الخاصة بهم وكانت حضارتهم سابقة لقدوم الآخيين والدوريين اقتصر الأمر في البداية على رموز تصويرية تطورت الى كتابة مقطعية ١٨٠٠ ق.م وبعدها استنبطوا نوعاً من الكتابة تشبه علاماته الحروف الهجائية الفينيقية ولعل الفينيقيين قد جمعوا منها ومن المصريين والساميين تلك الحروف التي نشروها في جميع أرجاء البحر الأبيض المتوسط يرجى الرجوع الى هامش ٢٥

٢٨ ـ يرجع الى مدخل تاريخ الشركس سبق ذكره نقلاًعن اوتران ص ٢٠٧

٢٩ ـ يرجى الرجوع الى بحث حضارة حوض القوبان المعطيات اللغوية تحليل كلمة (ن + ر + ت) عطاء الام وهي الإلهة الام الكبرى،وقد وردت هذه التسمية فيما بعد لدى الابخار بإسم نار إله الأشجار

٣٠ ـ يرجع الى مقتل الأميـــر باقسان واخوته السبعة في معارك الغوت كتاب (مرايا)

جمع وطبع (كوبه شعبان) الذي جمع كثيراًمن القصائد والمراثي والأغاني وزار مواطن الشركس في المهاجر من أجل هذه الغاية ووصل الى الولايات المتحدة وتوفي في نيويورك (ورد ذكر فرسان الأنت في ابيات هذه القصيدة)

٣١ ـ أنت سترابون في القرن الأول ق.م سمى نهر القوبان (انتي كيتس)

أنت الأسكلوبيه الفرنسية اليونان كانوا يطلقون كلمة انت على الشراكسة

انت المؤرخ يرقوب بول (٥٥٦ ب م) الأنت كانت محاطة في موطنها شمال البحر الأسود ونهر الدون انت مؤلف دربند نامة يسمى سكان المناطق من نهر الترك الى سواحل البحر الأسود (جولي انت) انت مت جوناتوقة عزت لازالت الكلمة الى اليوم موجودة في لهجة القبردي انت مؤلف هذا الكتاب هي اسم الامة التي انتسب اليها الشركس في فجر التاريخ ومع تطور العبادة وتعدد آلهة الطبيعة ومنها إله السماء آن المترافق بالوصول الى نظام الذكورة والاسرة الابوية وعبادة الشمس الخ... وربما تفردت قبيلة القبرطاي الكبيرة بهذه التسمية لورود هذه التسمية في لهجتهم او كانت عامة شملت كل القبائل.

يقول ناميتوق إن توغل بعض القبائل (الميدوتراسية) في سوريا وفلسطين والجزيرة العربية حتى في افريقيا الشمالية في الأزمنة القديمة امر قد ثبتت صحته الآن،ان الرجال ذوي القامة الطويلة والشعر الأشقر والعيون الزرق الذين نعرف انهم كانوا يوجدون في تلك المناطق هم شهود على تلك الهجرات الم يكن اسم معد يطلق على بعض القبائل العربية التي تنحدر بأصلها من الشمال كما يقال،وألا تحدثنا الرواية نفسها عن الحروب المستمرة بينهم وبين القبائل اليمنية في العصور الجاهلية.

ولابد ان ندلي بدلونا في التحدث عن الاشارات التي توحي بمثل هذه الهجرات البعيدة، اننا نعرض ما لدينا من قرائن بدون أن نستنتج منها أي شيء لحاجة مثل هذا الموضوع إلى زيادة في البحث والتحقيق .

نقول حدث الانقلاب الديني في مصر الفرعونية، من عبادة الإله آمون الى عبادة الشمس واشعة الشمس وضياءها زمن فرعون مصر الشاب (آخن + آتون) أخناتون إن عبادة الشمس كانت الإله الرئيس في البانثيون الحالي، وتلقب ملوكهم بإله الشمس،وكذلك عبدت الشمس مع التحول الى نظام الأسرة الأبوية في جميع تفرعات اسرة الشعوب القفقاسية الأصلية ومواطنها، وحرف التاء هو اسم الشمس واسم الاب في آن معاًبلغة الشركس (الأديغة) وقد ظهرت في مدافنهم بوضعية المنثني رافع اليدين الى الوجه بإتجاه الشمس.

واسم فرعون مصر الشاب (أخن ـــ أتون) مؤلف من مقطعين المقطع الاول هو اخن وهم اسم إله لا زال موجوداًفي لغة الشركس الأديغة وأمثالهم الشعبية (لتدوس فوقك بقرة آخن) اما المقطع الثاني اتون فتعني الشمس ويكنى عنها بالبيت العالي، وقد سبق ان اشرنا ان حرف التاء تعني الاب وتعني الشمس، وإذا افترضنا جدلاًأن ما سبق هو مصادفة وتشابه لفظي فهل كان اسم زوجته (نفرتيتي) ايضاً مصادفة وهو يعني بلغة الأديغة ضوءنا ـ نورنا، وهو مؤلف من مقطعين نفر وتعني النور وتي وتعني لنا خاصتنا وإذا افترضنا ان ذلك ايضاً صدفة وتشابه لفظي فإنه لدينا التساؤلات التالية:

لقد كانت نفرتتي من أشد المتحمسات للديانة التوحيدية الجديدة في مصر،وعندما حدث الصراع الديني والتراجع عن الديانة الجديدة لصالح كهنة امون، اعتكفت نفرتيتي في قصر بنته في صعيد مصر اسمته (حات ـ اتن) ولايخفى على القارىء معناه وهو (شمس الحاثيين) فلماذا سمت معقلها الجديد باسم ـ شمس الحاثيين ـ وهل هذا يمكن اعتباره صدفة ايضاً.

ثم لماذا طلبت من ملك الحاثيين شوبيلولوما وفي رسالتين عثر عليهما إرسال ابنه او أحد ابنائه لتتزوجه والمعروف في نظام العرش الفرعوني ان وراثة العرش تتم عن طريق البنت وبالتالي فإن الزوج الحثي الجديد القادم سيصبح فرعوناً، وهي قد ذكرت في رسالتها انها لاتجد حولها من هو جدير بالزواج منها، وقد فهم المؤرخون خطأ ان في ذلك غضاضة، وفسر مؤرخون آخرون خطأ ايضاًأنه تقرب للحثيين وقد كانت امبراطوريتهم في اوج قوتها، والحقيقة ان كل هذه التفسيرات والتأويلات غير صحيحة والحقيقة ان نفرتيتي أرادت زوجاً أو فرعوناً جديداًلعرش مصر من جنسها ولا شك انها وزوجها السابق الشاب المترقى اخناتون يمتون بصلة ما الى الحاثيين والمعروف ان الحاثيين القدماء من اسرة الشعوب القفقاسية ولغتهم هي اللغة الشركسية الفرع الغربي الآديغي، ويمكن تفسير كل هذه الأحداث بوضوح بالصراع على العرش الفرعوني بين اسرة حاكمة من أصل أجنبي حاثي وهي التي قامت بالثورة الدينية عبادة الشمس بما يتناسب مع معتقداتها ومثل هذا التحول بسبب مقاومة الكهنة القدماء الذين ألبوا الشعب المصري ضد حكامه بسبب ما فقدوه من امتيازات،وهذا ما يفسر لنا خروج حور محب قائد الجيش المصري لملاقاة ابن الملك الحاثي واغتياله قبل وصوله مصر،وقد انتهت هذه القصة وانتهى الصراع بفوز الكهنة القدماء والشعب وتولي حور محب عرش الفراعنة في مصر وعودة عبادة آمون. وفي الختام نقول ان هذه المؤشرات على غاية الأهمية لم يشر لها المؤرخون لجهلهم اللغة الشركسية (الآديغية) وهي لا يمكن ان تعزى للصدفة او التشابه اللفظي وتدلنا على دخول مؤثرات ديموغرافية وحضارية قفقاسية الى وادي النيل وفي فترات مختلفة سواء بشكل هجرات (عصر ما قبل الأسرات ـ هجرة الهكسوس) او كانت بشكل اسر حاكمة لا نعلم ظروف توليها السلطة ولنا في سلاطين الشراكسة في مصر من العصور الحديثة مثال على إمكانية مثل هذه الأحداث، وهذه المؤشرات بحاجة الى دراسة معمقة ونزيهة تلقي الضوء على وجود الهياكل العظيمة والموميات لفراعنة واسر ذات مــواصفات انثربولوجية قفقاسية مما أكــد عليه المختصون.المعلومات الواردة من كتاب ـ مصر ـ تأليف آتين دريون وجاك فانديه تعريب عباس فيومي (التفسير اللغوي والتعليق على الأحداث للمؤلف)٠

٣٣ ـ يعتقد مورجان ان أقدم طبقة في شوشا العاصمة العيلامية، أي الأرض العذراء تعود الى الألف الثامن ق.م أي منذ بدايات عصر النيوليت (العصر الحجري الحديث) وكذلك فيما يتعلق بالحاثيين والكاسك القدماء في الأناضول،وكذلك الاورارتيين والحوريين.

٣٤ ـ دخول الهكسوس الى مصر (الملوك الرعاة) عام ١٦٥٠ ق.م وقد أدخلوا معهم الخيول الأصيلة وتربيتها والعربات القتالية وتولت الحكم منهم سلالتان في الوجه القبلي وثلاث سلالات في الوجه البحري،لقد رد بعض المؤرخين خطأ الى الى انها هجرة من شعوب الاسرة

السامية وهذا خطأ واضح لان شعوب الاسرة السامية في شبه الجزيرة العربية لم تعرف الخيل والعربات القتالية حتى القرن اسابع والسادس قبل اميلاد وكذلك فإن اسمهم (سوس) الرعاة هو باللغة الشركسية القفقاسية الشماليـــة وتعني الرعاة ولكن ليس اي راع كان وانما راعي الخيل (سوس او شوش) بمعنى الخيالة اوراكبي الخيل ، وهذا يتوافق مع معرفة شعوب القفقاس الخيل وتربيتها منذالألف الثالثة ق.م كما كان لدى الحاثيين والحوريين والكاشيين، ومن المرجح ما يشير اليه العلماء ان شمال القفقاس هـو المكان الذي استأنس فيه الحصان (انظر مصور رقم (١) ص (١٩) أطلس تاريخ العالم الحديث جيوفري باركتوك) وقد ورد اسم (سوس) في (سوسَرقة) ابن الراعي اسم البطل الاسطوري عند النارتيين الشركس كما ورد لدى ملوك عيلام وملوك الهكسوس بإسم شوشنقـه المقطع الأول شوش هو راعي الخيل وقه يدل على ابن وهو يلحق معظـم الاسماء الشركسية بمعنى ابن فـلان وان هذا المقطع (قه) لا يوجد في أي لغة أخرى بردوقة – حمفوقة – انفوقة ...الخ من اسماء العائلات.

كذلك يمكن مراجعة الاجتياح الاسكوذي الكيميري عام ٧٢٠ ق.م من مباحث هذا الكتاب

٣٥ – يرى الاستاذ دياكونوف ان الحكم الاستبدادي في الشرق القديم ظهر أول ما ظهر في ظل حكم السلالة الأكادية (سرجون الاكادي)

ترى إلزة زيبرت – ترجمة محمد وحيد خياطة ان الشعوب الرعوية (السامية الهنداوربية الطورانيـــة)مارست الحكم الاستبدادي من منطلق مفهوم الراعي هو كل شيء بالنسبة للقطيع – كتاب الراعي –

ويمكن ان نرد السبب في سيادة اللغات الاشتقاقية (رغم بقاء اللغات المقطعية كلغات علم ودين) الى انها أصبحت اللغة الرسمية للدولة بعد الغلبة السياسية للشعوب الرعوية وكذلك يمكن ان نردها لخواص اللغات الاشتقاقية السهلة ذات الحروف المحدودة اللفظ في حين تختلف اللغات المقطعية بكثرة اشكال لفظ الحرف الواحد ودقة بنائها الوصفي التركيبي مما يصعب معه التحدث بها على غير اهلها في حين يسهل التحدث باللغات الاشتقاقية البسيطة اللفظ على من يتحدثون اللغات المقطعية (للإستزاده يرجى الرجوع الى بحث المشكلة السومرية من هذا الكتاب)

٣٦ – يرجى الرجوع الى سلسلة قصة الحضارة سبق ذكره (جزء اليونان)

٣٧ – المرجع السابق جزء الرومان يتحدث عن الاتروسك مايلي: أتى اوائل المستقرين الى إيطاليا في العصر النيوليتي (مما يتوافق مع انتشار شعوب القفقاس) من الشرق ، إما من البحر أو ساروا بحذاء الشاطىء وكانوا جزءاً من جناح الهجرة إلى البحر المتوسط عند الاستقرار في اوربا في العصر النيوليتي (انتشار شعوب القفقاس) كان الاتروسك اول شعب وصل الى ايطاليا ويمكن تسميتهم بحق الشعب المتمدن وكانت لغتهم مقطعية ليست سامية ولا هند أوربية، ولم يوضح العلماء أصلهم إلى الآن (مثلهم مثل كل شعوب الأسرة القفقاسية) ولكن الرومان الذين هزموهم واخذوا الكثير من حضارتهم،كانوا يعتقدون انهم جاؤوا من آسيا الصغرى وربما ان

وجود طبقات من النحاس والقصدير شمال ايطاليا هو السبب الأصلي في استقرار الاتروسك هناك (وهذا يتوافق مع اسبقية شعوب القفقاس الشمالي في الصناعة المعدنية منذ العصور المعدنية الاولى) ارجع الى ص(٢٠) الجدول المقارن.

٣٨ ـ كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم د. أحمد امين (في ظل هذه الظروف التسرب داخل المدن السومرية والمساكنة وتنازع المدن السومرية تمكن الساميون من السيطرة عليها واهمها مدينة كيش السومرية النشأة واستفادوا من حضارتها هي وامثالها من المدن العديدة الاخرى) ويتابع ص ٣٥ كان على القادة السومريين ان يواجهوا في الوقت نفسه هجرات سامية غربية لم تكن تنقطع في اندفاعها على حدود العراق.

٣٩ ـ كتاب العصور القديمة هنري برستد: (اضطرت فتوحات سرجون قبائله الرحل ان يغيروا نمط معيشتهم القديمة تغييراً تاماً،فأقاموا كأهل الحضر في المدن في مساكن ثابتة وكانوا يجهلون الكتابة والصنائع فتعلم بعضهم ان يكتب لغته السامية بالعلامات المسمارية السومرية.

٤٠ ـ يرجع الى كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا د.توفيق سليمان ص ١٥٤

٤١ ـ يعيد بعض المؤرخين ان السبب في هجرة الكنعانيين والفينيقيين من ساحل الخليج العربي غرباً الى الاحتلال العيلامي لجنوب بلاد الرافدين.

٤٢ ـ قصة الحضارة وول ديورانت الجزء السادس المجلد الأول ص ١٩٤ : كانوا قوماً خلطاء من الساميين ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب ولعلهم من الحثيين والميتانيين وسكان الشمال الجبلي الآتين من القفقاس وأخذ هؤلاء لغتهم المشتركة من سومر وكذلك فنونهم.

٤٣ ـ يرجع الى كتاب الهجرات العربية القديمة ــ الدكتور محمد عبد الحميد أحمد ص ٤٢

٤٤ ـ كتاب تأليف وقد كانت هذه الشعوب التالية الجديدة من الشعوب الرعوية الدائمة التجوال انذاك . ووقع الجميع تحت سيطرتها السياسية عندما تمكنت من الاستقرار في المراكز الحضارية العريقة التي اسميناها ـ المجتمعات المدنية ـ وتغلغلت غالباً داخل تلك المجتمعات المتحضرة واكتسبت منها حضارتها إلى أن جاء الوقت فإنقلبت عليها واستلمت السلطة لتقوم ببناء امبراطورياتها .

٤٥ ـ كتاب اورارتو تأليف ريمي شنـــايدر ترجمـــة محمـد وحيد خياطة ــ إن الأرمن على مايبدو يعترفـــون بأصلهم القفقاسي الأرمني المشتـــرك من خلال إصرارهم على الانتساب الـ (أورارتمة ــ هاياسي) فالمقطع الأول باللغات القفقاسية الشركسية يعني إله اورارتو والمقطع الثاني نسبة الى ملوكهم الاوائل هايك وهوك.

٤٦ ـ يرجى الرجوع الى قصة الحضارة صفحات ٨٦ ـ ١١٨ سبق ذكره

٤٧ ـ كتاب ما وراء التاريخ، وليام هولز ص ٢٤٣ (لايخامرنا أدنى شك ان اول من عرف الثقافة الرعوية في جنووب شرق آسيا كانوا من البيض لأن الاسكوذيين (السكيت) الذين عاشوا في القرن السادس ق.م وقبله كانوا من الشقر كما كتب عنهم اليونان لقد مثلت هذه الحضارة الرعوية قصة الاصقاع الداخلية في آسيا خلال ستة آلاف سنة الأخيرة وقد شارك فيها

انواع كثيرة من الناس مكرر ـ موسوعة تاريخ الشركس ـ جمال ابزاوه ص ١٠٧ أما السور القفقاسي الكبير الذي يسمى بسور الاسكندر فهو عبارة عن جدار عريض مرتفع يعزل شمال القفقاس عن جنوبه وعرض الجدار يمكن ان تسير عليه عربه يجرها جوادان والغالب انه بنى في الفترة (٤٥٠ ـ ٤٥٤) ق.م في زمـن امبراطور روما مارتيان حسب (بارتولد)

٤٨ ـ يرجى الرجوع الى مباحث حضارة شمال القفقاس في العصور الحديدية

٤٩ ـ كتاب اصل الشركس سبق ذكره .

٥٠ ـ كتاب مدخل تاريخ الشركس نقلاً عن بيهان .

٥١ ـ إن تسمية هذه اللغات بالمقطعية صحيح وهي تختلف كلياً عن اللغات الاشتقاقية من منطلق ان المعنى يبدأ من الحرف ويتغير المعنى حسب حركة الحرف ثم تتشكل معاني جديد للمقطع وهكذا

٥٢ ـ إن في ذلك تفسير للتشابه الشديد بين لغات شمال القفقاس المقطعية ولغات شعوب غرب آسيا القديمة المقطعية واصلهما الواحد.

٥٣ ـ كتاب ماوراء التاريخ سبق ذكره ص ٢٤٤ (ظلت قبائل هيوغ نو وغيرها تنزل صنوف العذاب بالصين عشرين قرناً حتى تمكن اباطرة الهان في آخر الأمر من مهاجمتهم في بلادهم والتغلغل فيها مما دفع واوقع الاضطراب في صنوفهم واضطرهم ان يتوجهوا شطر العالم الغربي وكان الهون (١٥٠ ق.م) طليعة تلك الشعوب في اوربا فإنهم فتحوا الباب أما هجرات المغول والأتراك نحو الغرب .

٥٤ ـ المصور صفحة ٥٣ .

٥٥ ـ الكتابة الآشورية (٢٥٠٠ ق.م) هي كتابة صورية تطورت الى مقطعية وانتقلت الى بيبلوس على الساحل اللبناني حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م واستمرت في حوض الكوبان حتى عصور الميلاد واندثرت .

٥٦ ـ يقول المؤرخ ب لوليه في دراسته عن انظمة المجتمعات القفقاسية (الشراكسة قبيلة الشابسوغ) قيادة المجتمع لا تحتاج الى رأس فهي جمهورية، وكذلك السلطة التشريعية والتنفيذية تبدأ من الشعب لذا فالقيادة ديمقراطية إن المسؤولين الذين يتم اختيارهم لحل المسائل الاجتماعية في المجتمع الشركسي لهم حـق النصح والتوجيــه فقـط ، ولا يحـق لهم فرض القــوانين والعمل على تنفيذها لم يعرف الشابسغ الاعدام ولا التعذيب ولم يكن عندهم سجن، ولا سرقة والنهب لايحدث بينهم أبداً ان السبب الذي يعيق الشركس عن الأخذ بكل قوانين الشريعة الاسلامية هو ان بعض اسسها القسوة مما يتعارض مع حبهم وتقديسهم للحرية

٥٧ ـ يرجع الى كتاب المماليك الباز العريني (لم يكونوا يتنازعون السلطة ولكنهم كانوا يكرهون أن يولى عليهم صبي صغير) .

٥٨ ـ كتاب احتلال القفقاس لجون بادلي سبق ذكره عندما كان الشركس يحاصرون موقعاً روسياً ويطلقون النار عليه تمهيداً لإقتحامه حدث إن مرت أمامهم زوجة قائد الموقع فتوقفوا عن إطلاق النار وتراجعوا عن الموقع لأنه من أكبر العيوب والنقائص عندهم أو لأنهم بإختصار لا يطلقون النار على امرأة .

٥٩ ـ كتاب لغز عشتار تأليف المفكر السوري فراس السواح ص ٣٤ نقل الينا مؤرخوا اليونان ممن احتكوا بأقوام كانت تعيش آخر عصور الأمومية ان رجال تلك المجتمعات كانوا أفضل فرسان عصرهم على الإطلاق وكانت بطولتهم وتضحيتهم مضرب الأمثال ثم يأتي أرسطو في كتابه السياسة فيؤكد هذه الحقيقة ويجعل منها ظاهرة شمولية عندما يقول : أغلب الشعوب العسكرية الميالة إلى القتال هي شعوب منقادة للنساء .

٦٠ ـ كتاب اقدم الحضارات في الشرق الأدنى سبق ذكره (منذ نهاية الألف السابعة وبداية الألف السادس فإن تقاليد جديدة ناشئة أصلاً في هضبة الأناضول قد أدخلت فن صناعة الفخار وتماثيل الفخار المشوي إلى المنطقة (سورية ـ لبنان ـ فلسطين) ولم تحدث هذه التغيرات نتيجة التجارة بل كانت نتيجة لحركة السكان، فقد أقيمت مستوطنات جديدة وكثيرة واختلط القادمون الجدد مع السكان الأصليين على طول تجارة الزجاج البركاني الاوبسيدوان وكتاب شجرة الحضارة د. رالف لنتون ص ٢٣(لقد انحدرت هذه المجموعات البشرية في العصر الحجري الوسيط من صيادي الحجري القديم الأعلى ولكن هناك بعض الدلالات على أن إحدى هذه الحضارات وهي الحضارة الزارزية قد جاءت من سهول روسيا الجنوبية فيما وراء القفقاس وبالرغم ان هذه المعلومات غير مؤكدة إلا أن استعمالهم للزجاج البركاني الاوبسيدوان يدل على علاقتهم مع منطقة شمال غرب بحيرة فان .

٦١ ـ كتاب شجرة الحضارة د.رالف لنتون ص ١٩٣ لم يكن الآريون من البدو الرحل الذين لم تربطهم بالأرض إلا صلة واهنة فكانوا لأي سب يكومون امتعتهم على عربات ثقيلة تجرها الثيران ويحرقون اكواخهم ويرحلون الى الأرض المجهولة الجديدة وكانوا مجتمعاً ينتسبون الى الأب .

٦٢ ـ المرجع السابق ص ٢١٨ (لقد كان اسلوب الحياة في المدن صورة من حياة سكان جنوب غرب آسيا فإن اسلوب الرعي كان صورة من الحياة السامية.

كان السومريون دائماً مهددين بسكان القرى والبدو الذين يتكلمون اللغة السامية والذين كانوا يعيشون على حدودهم واخيراًأخضعوا عام ٢٠٠٠ ق.م لغزو سامي واقتبس الساميون الحضارة السومريـــة ولم تمض اجيال حتى امتزجت هاتان الجماعتان وانتصرت اللغة السامية (من منطلق سهولتها) ولكن الحضارة السومرية التي كانت قد ثبتت أركانها تثبيتاً كاملاً قبل ذلك الغزو استمرت دون ان يطرأ عليها إلا القليل من التغيير، إذا لم يدخل الساميون بعد أن جاؤوا الى تلك البلاد عنصراً واحداً من العناصر التكنولوجية.

٦٣ ـ كتاب شجرة الحضارة سبق ذكره ص ١٨٣: منذ نهاية الزحف الجليدي الأخير وربما كان ذلك منذ عشرة آلاف سنة مضت وكانت بلاد الشرق الأدنى وشمال افريقيا في طريقها المطرد نحو الجفاف .

ملاحظة : معظم خرائط ومصورات هذه الفصول مأخوذة عن أطلس تاريخ العالم وضع جيوفري باراكلوغ ونورمان ستون مكتبة هاموند .
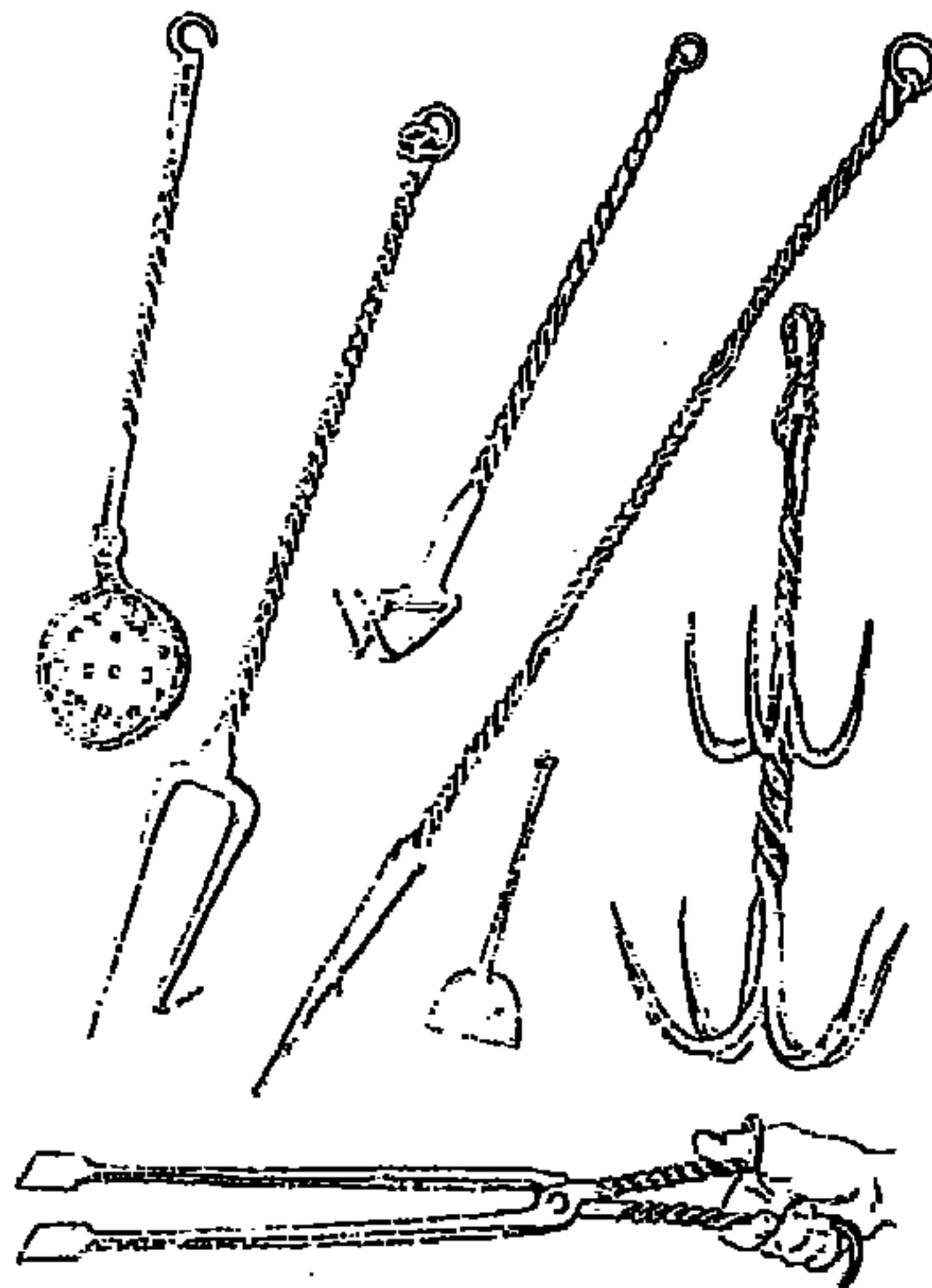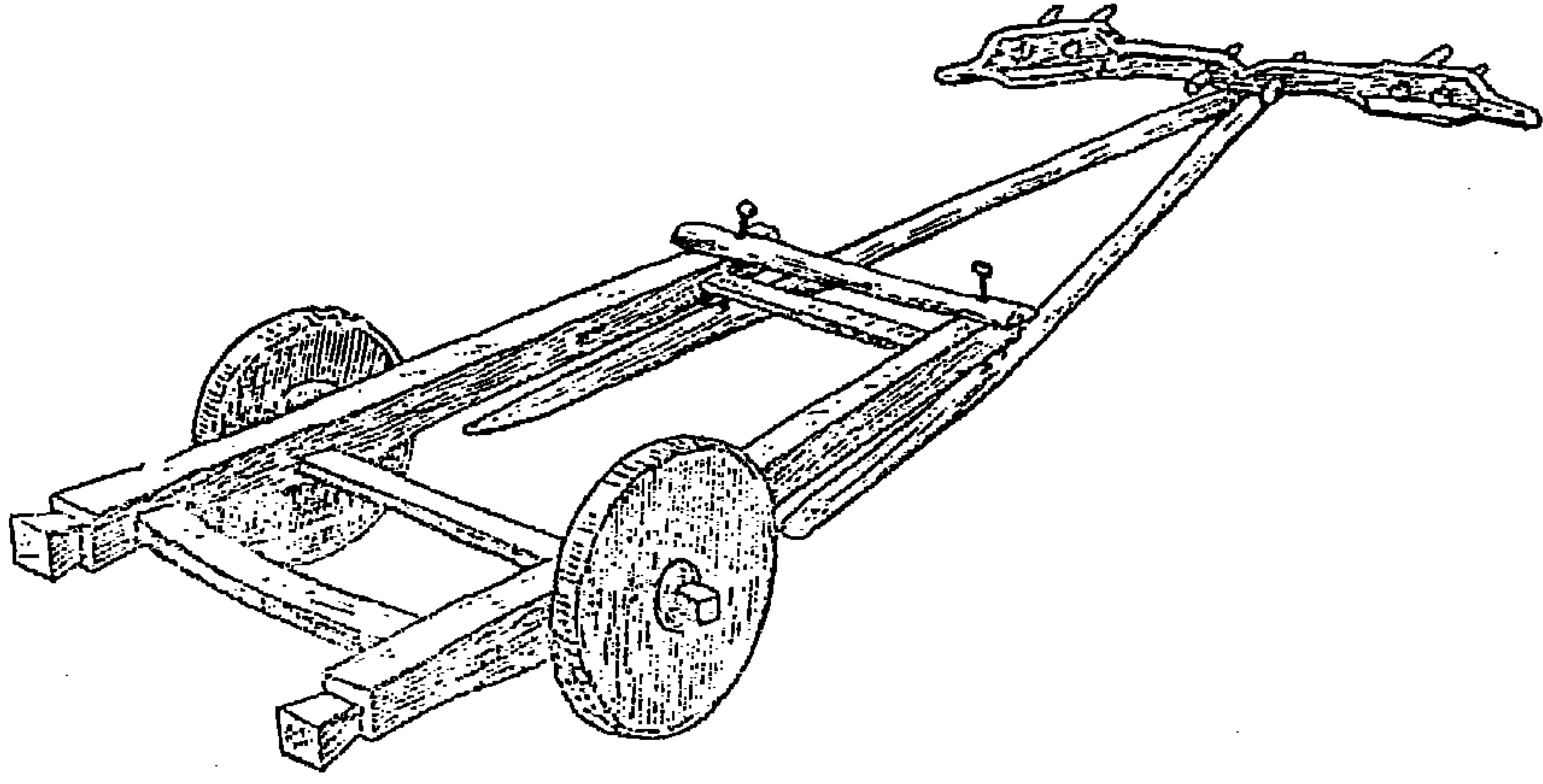
عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

العربة الزراعية الشركسية - أدوات مصنوعة من الحديد
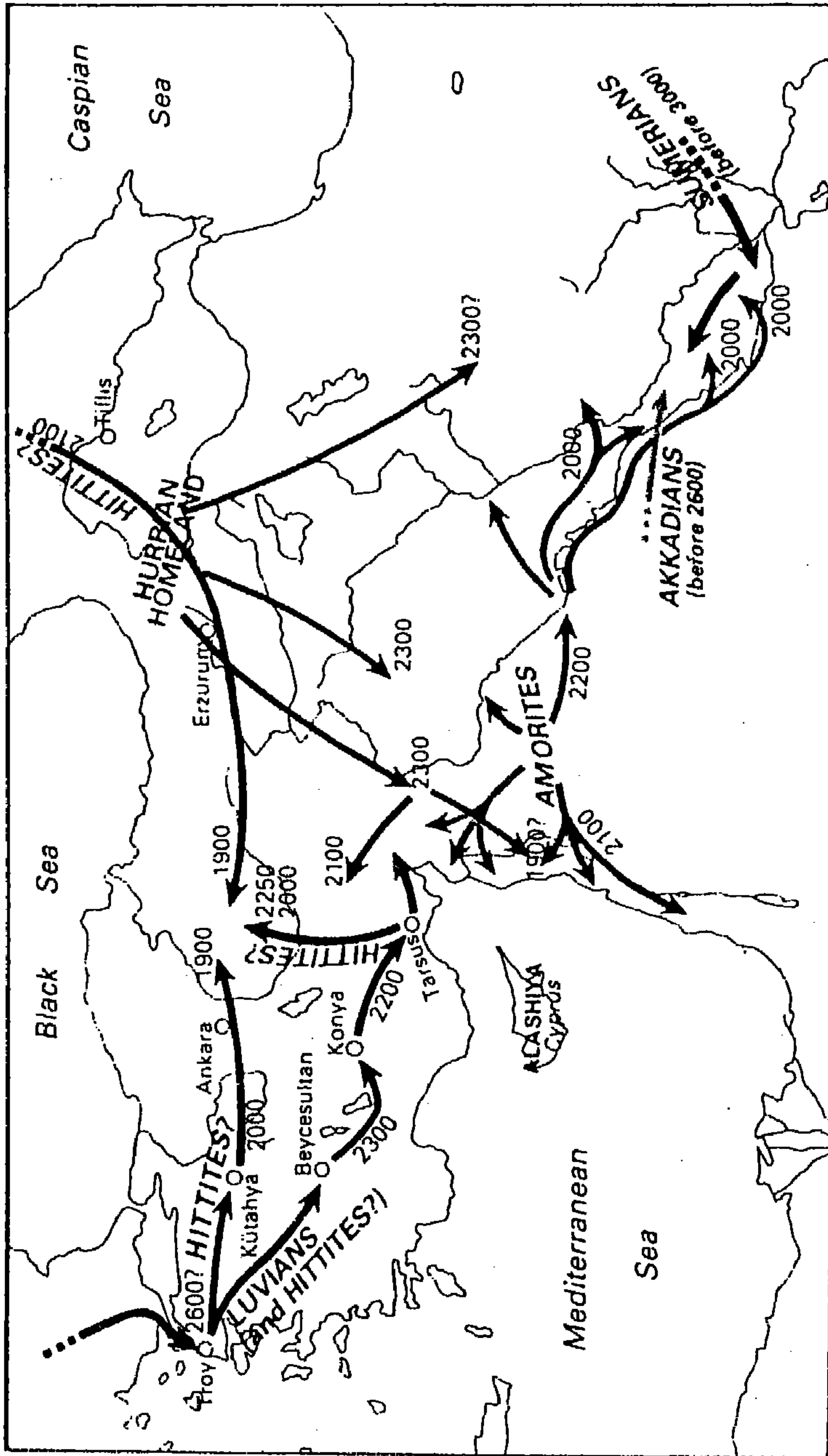
مصور ٨ ـ هجرة الشعوب الهند أوربية والسامية إلى مواطن الحضارات المدنية وشعوبها ذات اللغات المقطعية طوال الألف الثالث ق. م
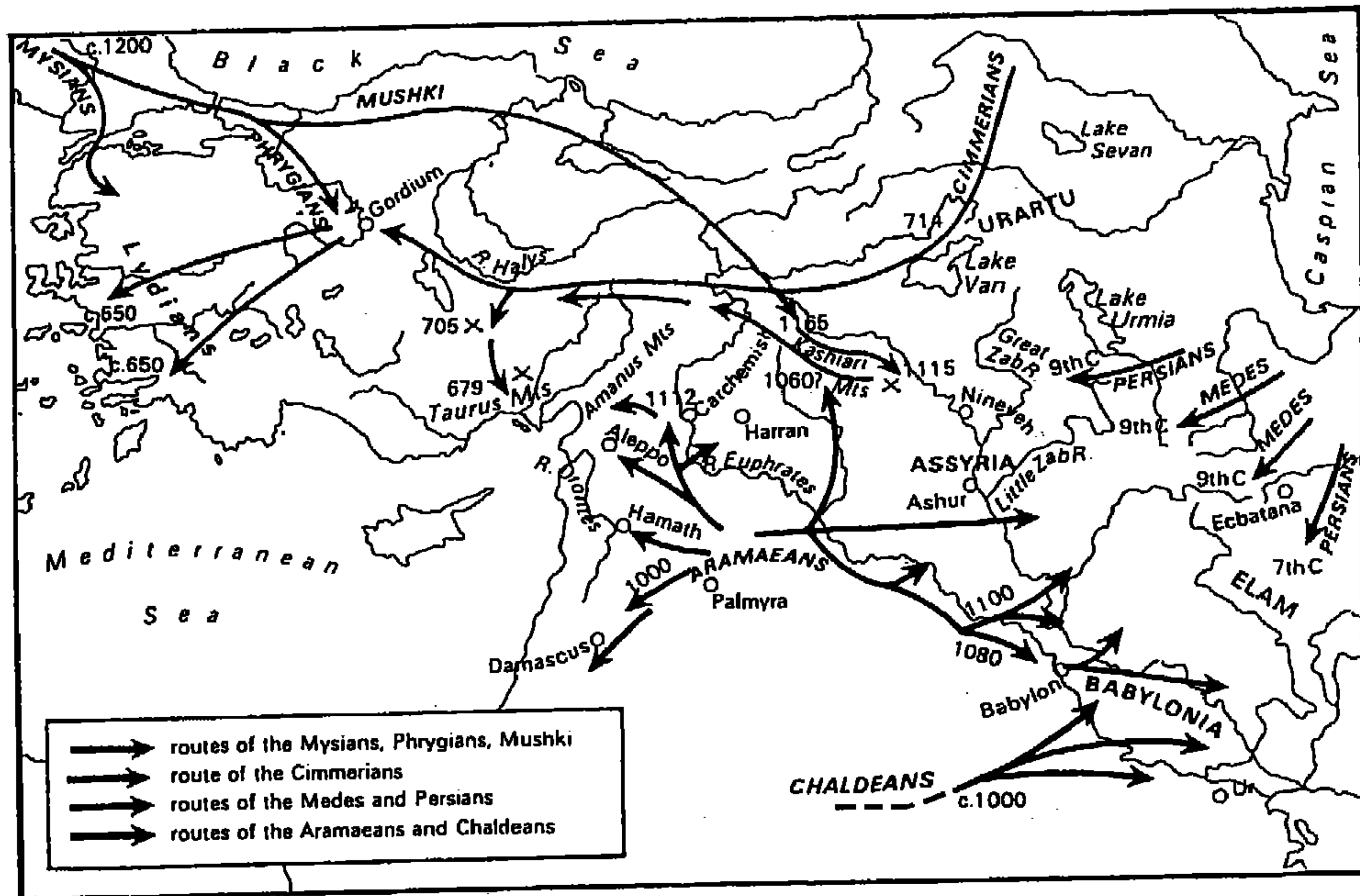
مصور رقم ٩ ـ استمرار تدفق الشعوب الرعوية إلى مواطن الشعوب ذات اللغات المقطعية والحضارات المدنية حتى اقتراب العصور الميلادية واندماج الشعوب ذات اللغات المقطعية وزوال وجودها الديمغرافي وزوال لغاتها المقطعية
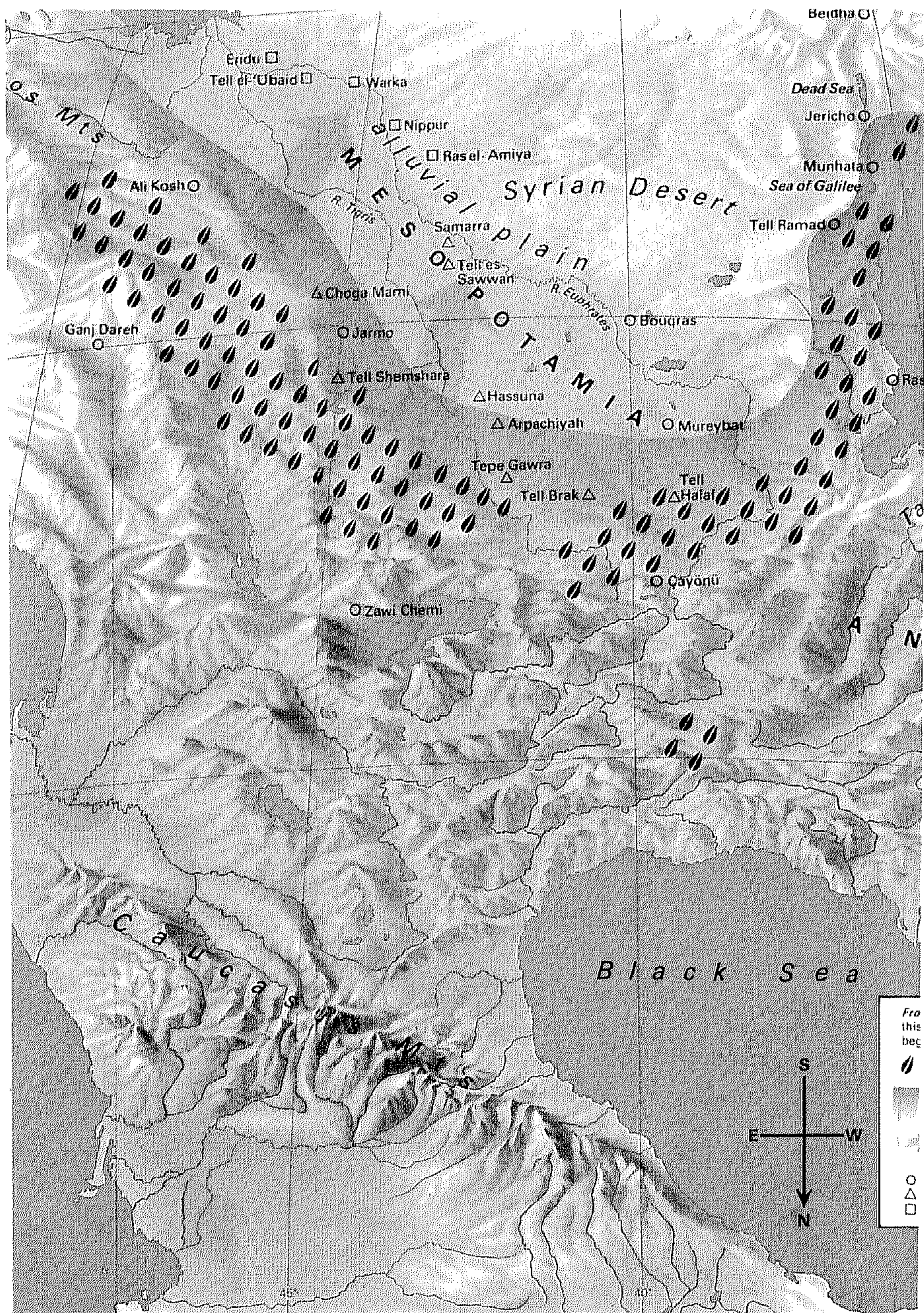
مصور رقم ٤-خارطة تمثل انتقال الاستيطان البشري إلى السهول اللحقية قادماً من الشمال
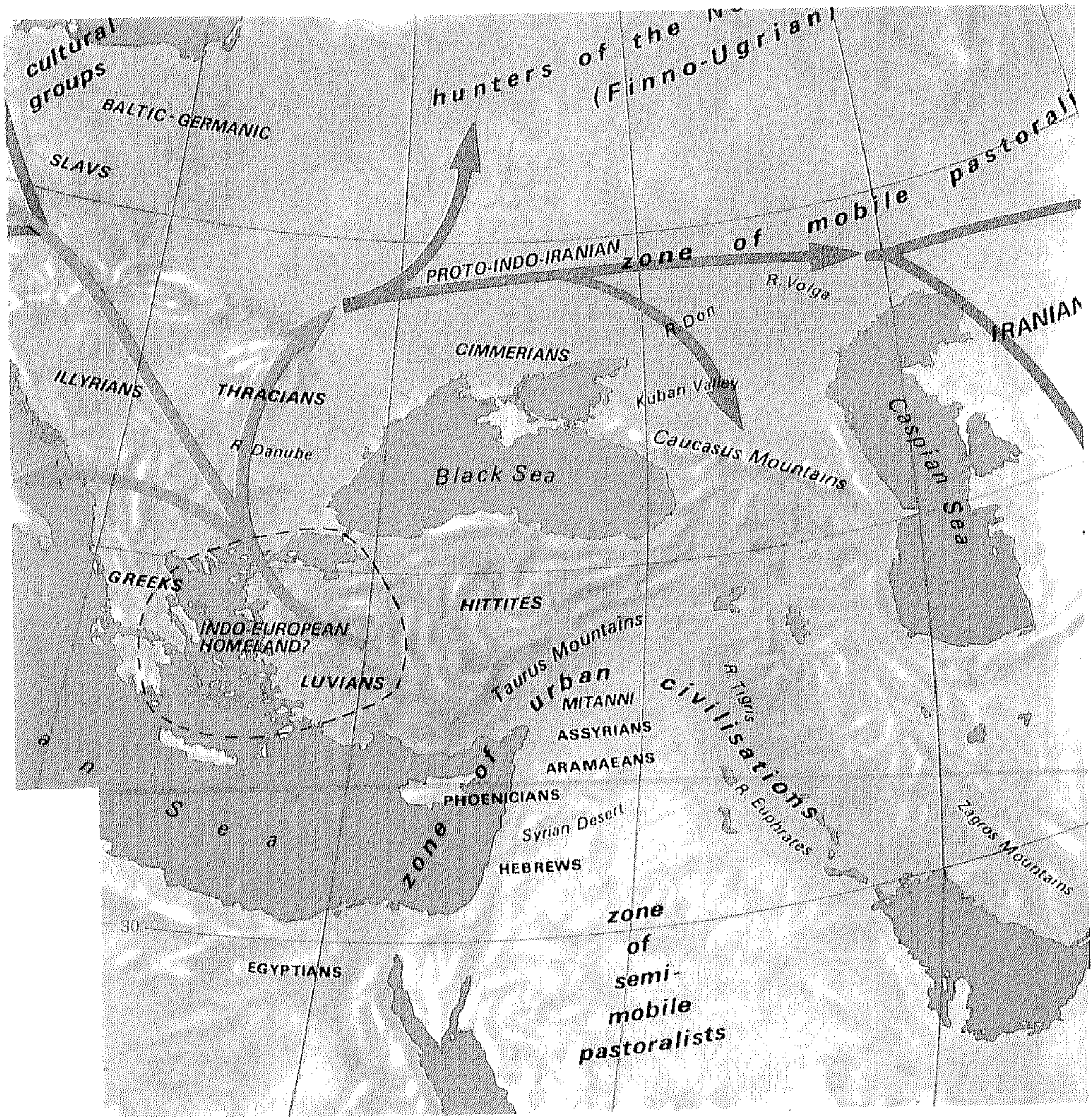
مصور رقم ٥ ـ خارطة تبين مواطن الشعوب الرعوية
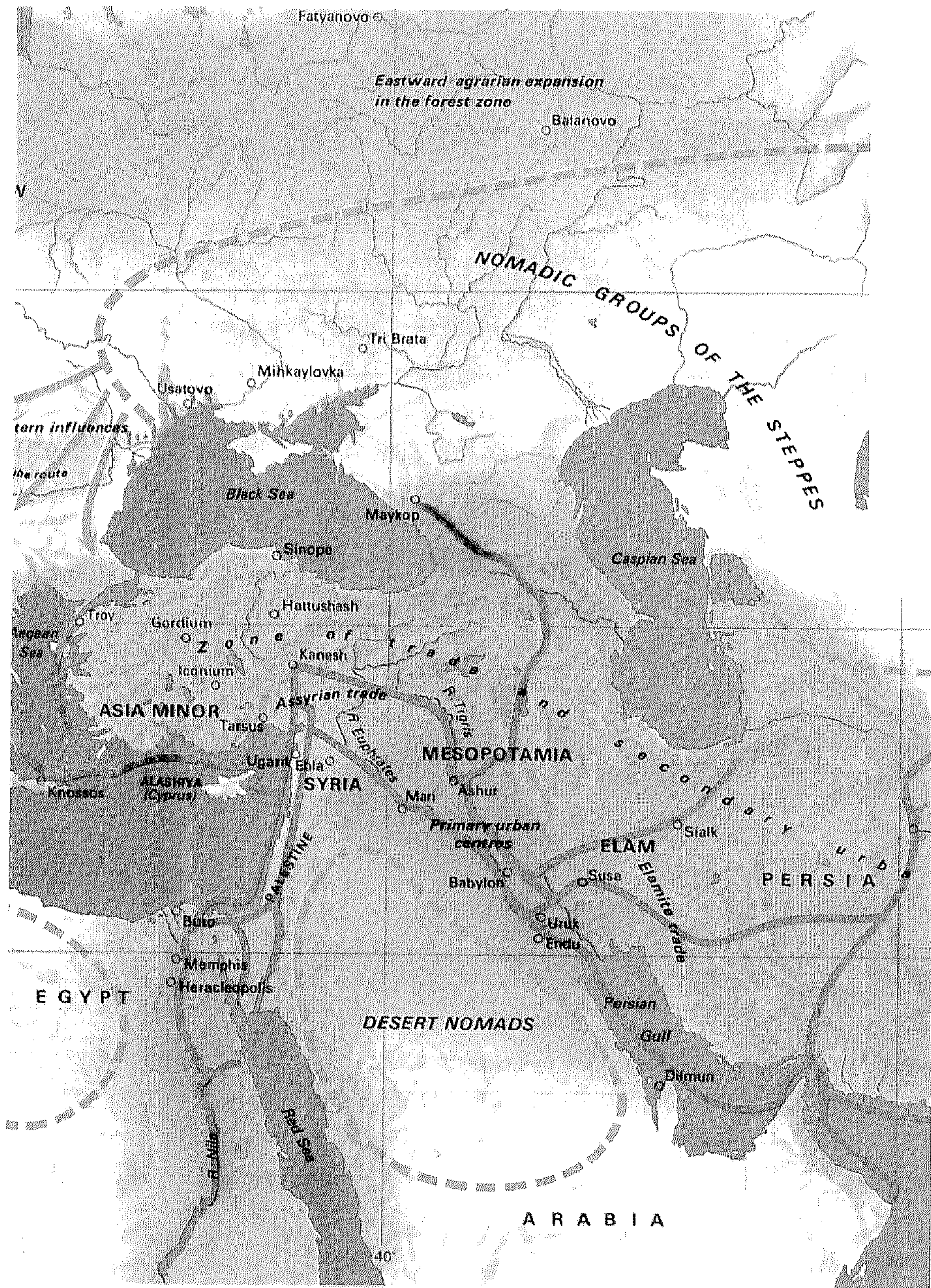
مصور رقم ٦ ـ خارطة تبين مواقع الحضارات المدينية وطرق اتصالها
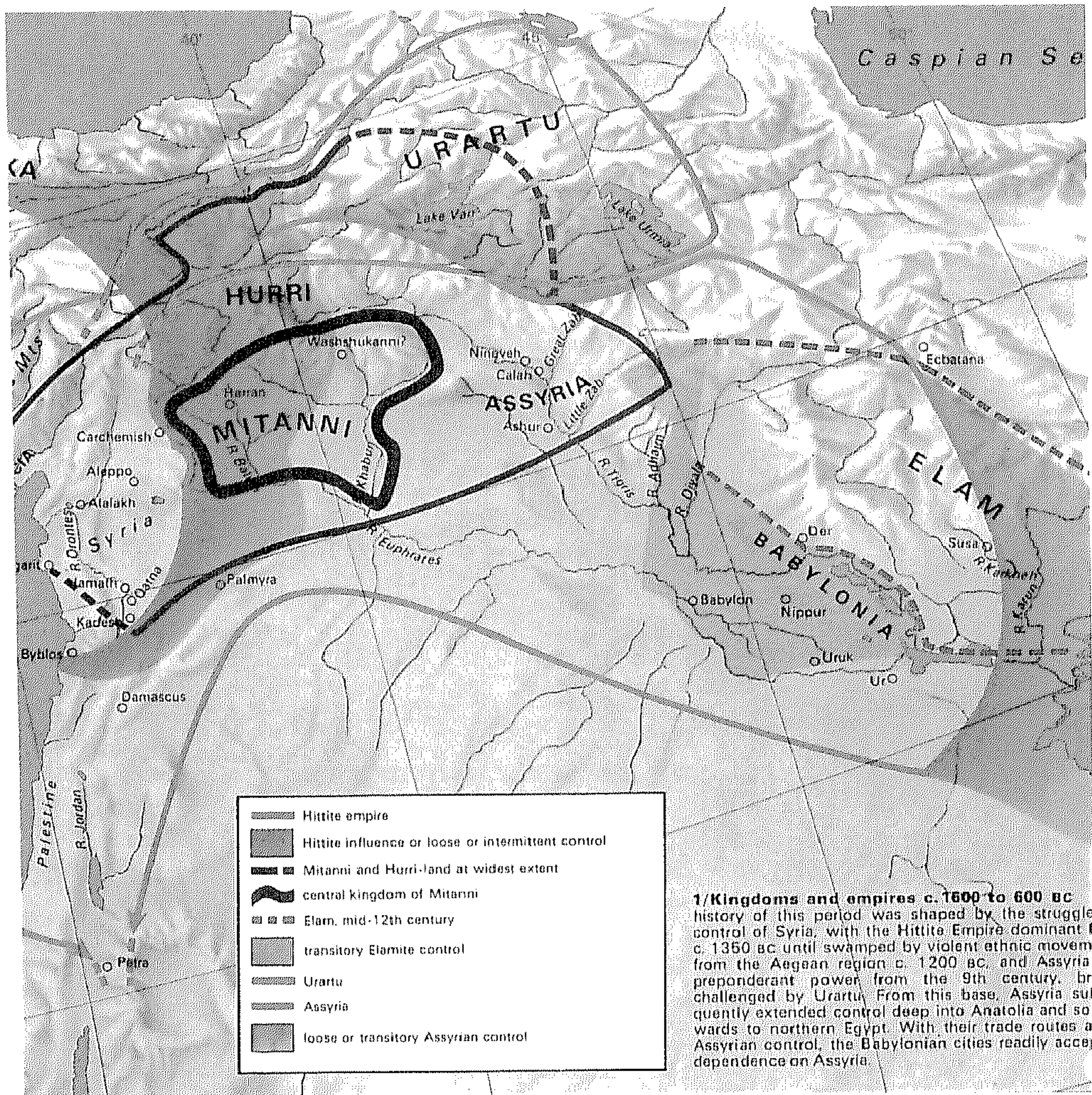
مصور رقم ٧ خارطة تبين مواقع شعوب الشمال القفقاسية في آسيا الغربية ذات اللغات المقطعية وامتداد نفوذها

أسرة الشعوب القفقاسية الأصلية (Paleo Coucasiens)

الحضارة المدينية Urbann Civilisations

اللغات المقطعية

الشــرق: سومر – عيلام – أورارتو – حوريين ميتان – حالين كاسك – ناراتيون انت

الغــــرب: كريت – اتروسك – باسك – سكان أوربا القدماء قبل الآريين
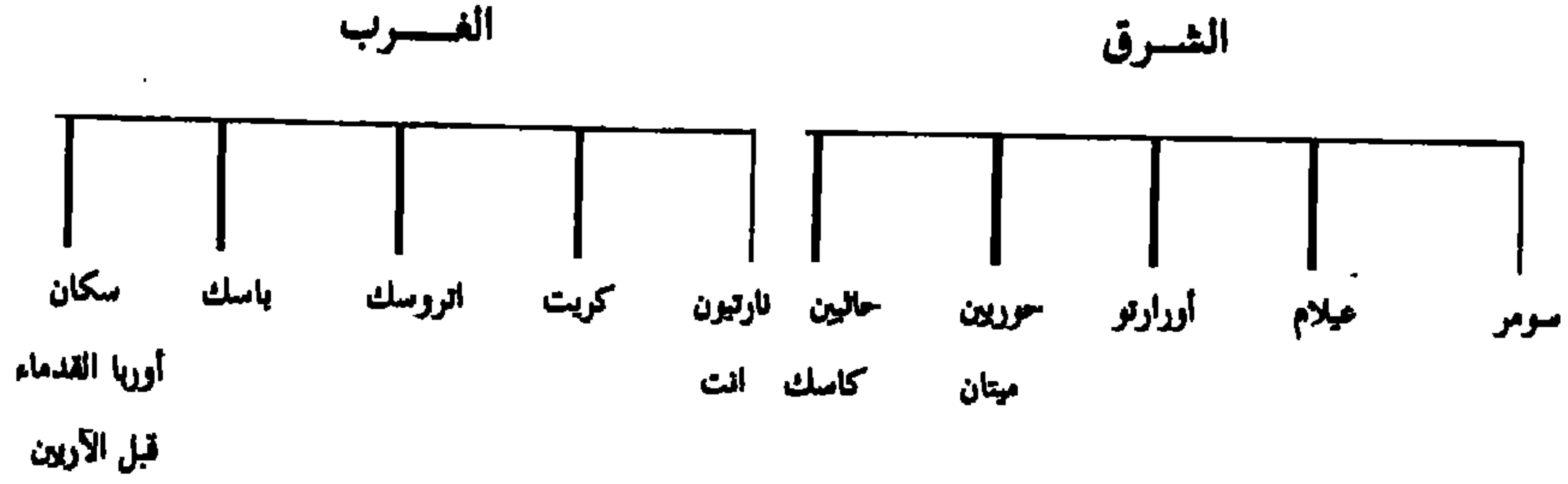
أسرة الشعوب الهند أوربية (المراعي الشمالية)

الحضارة الرعوية Pastoralists

اللغات الاشتقاقية

الشرق: آريو شمال الهند – الفرس – الميديون – الصنف الهند أوربي

الغرب: اليونان – الرومان – الكلت
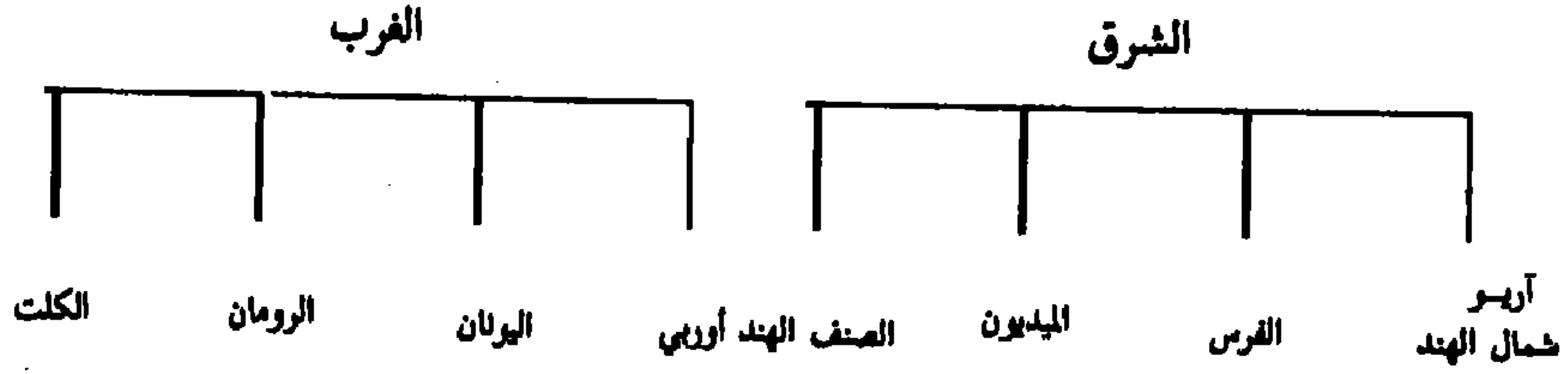
أسرة الشعوب السامية (المراعي الجنوبية)

الحضارة الرعوية Pastoralists

اللغات الاشتقاقية

الشرق: أكاد – بابل – آشور – سورية – فينيقيه – فلسطين – قبرص

الغرب: صقلية – كورسيكه – سردينية – قرطاج – ج اسبانيا
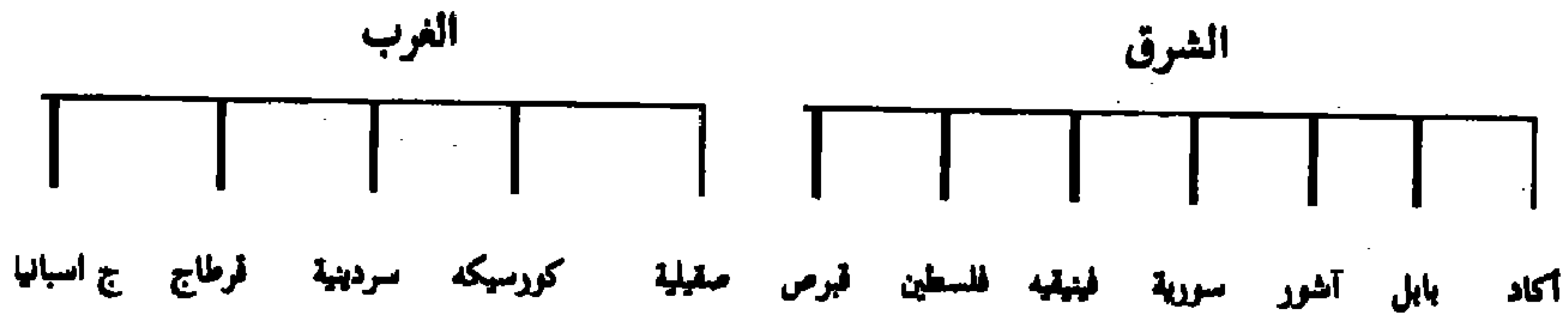
الفصل الثاني

أسرة الشعوب القفقاسية في آسيا الغربية

(الشعوب الجبلية)

١ ـ الدراسة الأولى (المسألة السومرية)

٢ ـ الدراسة الثانية (الحاثيون القدماء)

٣ ـ الشعوب القفقاسية الأخرى: العيلاميون ، الكاشيون ، الأورارتيون ، الحوريون

١ ـ المسألة السومرية

١ ـ ايضاح المسألة السومرية

٢ ـ اقوال بعض المؤرخين

٣ ـ ملاحظات حول المسألة السومرية

١ ـ ملاحظة تاريخية ، ٢ ـ ملاحظة حول اللباس ، ٣ ـ ملاحظة حول الاسطورة

٤ ـ بعض خواص اللغة الشركسية (الآديغة)

١ ـ اللغة الحرفية ، ٢ ـ الحرف جذر مشترك ، ٣ ـ اللغة مقطعية جمعية

٤ ـ اللغة وصفية بنائية ، ٥ ـ اللغة مختصرة ، ٦ ـ موجز خواص

٥ ـ الدراسة المقارنة

١ ـ تحليل اسماء ١٢ إله تبدأ بجذر حرف ن، ٢ ـ تحليل اسماء ١٢ إله ليس فيها الجذر الام

٣ ـ تحليل ١٢ اسم علم لا على التعيين ، ٤ ـ دراسة ٣ اسطر من قانون أورنمو

٥ ـ دراسة أمثال قديمة باللغة الأديغية ، ٦ ـ مقارنة معاني الاحرف الشركسية والسومرية

٧ ـ من هم السومريون ، ٨ ـ متى هاجر السومريون استناداً للمعطيات اللغوية

٦ ـ هوامش ومراجع

أولاً - (المسألة السومرية)

١ ـ ايضاح المسألة السومرية

يبدو من خلال ما نقرأه عن السومريين أننا نعاني لسبب ما من مشكلة تتعلق بأصل السومريين، مع العلم أن كل الشعوب وحضاراتها في فجر التاريخ و مابعده قد تمت نسبتها ووجدت أصولها الهنداوربية أو اصولها السامية، ولكن فيما يتعلق بالسومريين فإننا لانجد أحداً يريد أن ينسبهم الى أحد.(١)

لقد تراوحت مواقف العلماء والمؤرخين من السومريين بين الإنكار التام بمعرفة أصولهم الى التجاوز أواللامبالاة بهذه الأصول، أو محاولات الاقتراب من هؤلاء السومريين لم تصل الى حدالإدعاء، لأن اللغة التي تحدث بها السومريين وكتبوها على الرقم هي (لغة مقطعية جمعية) بعيدة كل البعد عن اللغات الإشتقاقية ولايمكن أن تمت لها بصلة من قريب أوبعيد بسبب البون الواسع بين أسلوب وقواعد وحروف اللغات المقطعية واللغات الاشتقاقية كما سيتضح معنا في الفصل القادم، فنقول أن لغتهم هذه وكتاباتهم التي اخترعوها لم تسمح بأي ادعاء ووضعت حداًسريعاً لمثل هذه المحاولات إن وجدت.(٢)

لم يكن حظ الشعوب القفقاسية الأصلية الأخرى أفضل من حظ السومريين وهم كما مرمعنا (العيلاميون ـ الحاثيون ـ الاورارتيون ـ الكاشيون ـ الحوريون)وغيرهم كثير، وهي الشعوب التي استوطنت في مواطنها وبنت حضاراتها المدينية الزراعية مع الماشية طوال العصور المعدنية على الأقل، وقد تواجدت في مواطنها طوال العصر الحجري الحديث مما أكدته الحفريات الأثرية (٨٠٠٠ ق.م ـ ٢٠٠ق.م)، واستمر بعضها حتى العصور الميلادية والتي سادت كما رأينا في ذلك الزمن على رقاع واسعة من آسيا الغربية وقد تمت نسبتهم الى عبارة مبهمة من قبل المؤرخين الأوربيين ومن أخذ عنهم، وهذه العبارة (الشعوب الجبلية) زادتهم غموضاً عما أريد لهم ولم تحدد لغاتهم وقرابتها وأصولها المشتركة.

إن المعلومة التي يقر بها المؤرخون جميعهم هي أن السومريين شعب عاش في جنوب بلاد الرافدين وأقاموا فيه منذ الألف الرابع ق.م على الأقل، وهو الذي أعلمنا عن اسمه ولايعلم

بالضبط التاريخ الذي جاء به الى هذه المنطقة واستوطن فيها، لأن هذا التاريخ يعود الى ماقبل التاريخ (فجر التاريخ) بالتأكيد، لذلك واستناداً الى النقلة الحضارية التي أصابت المنطقة فيما يتعلق بالصناعة المعدنية (معدن النحاس) يرجح أكثر المؤرخين الألف الرابع ق،م كتاريخ محتمل لقدومهم ومن مناطق تكثر فيها خامات هذا المعدن.[٣]

إن أهمية السومريين في تاريخ الحضارة الإنسانية بالغ الأهمية، فهم أول شعب كان سباقاً لبناء الحضارة المدينية (بناء المدن كان حول معبد المدينة لإلاهها الرئيسي)، وكان أول شعب على ما يبدو حتى الآن خرج قبل غيره من ظلمات العصور الحجرية البكماء بإختراع الكتابة الصورية ثم طورها الى كتابة مقطعية مسمارية بما يناسب لغته هذه، لذلك لايمكن أن أحداً شاركه في هذه المأثره الإنسانية، وبخروجه هذا الى فجر التاريخ تبعته واقتفت أثره وأخذت عنه شعوب أخرى كثيرة.

ومن الملاحظ أن المؤرخين ربطوا سبب استيطان الاتروسك شمال ايطاليا بتوفر حامات النحاس (هامش ٣٧ صفحة ٦٦) ووصفوا لنا مقدار رقي وتطور الصناعة المعدنية ووصفوه بالشعب المتمدن .

وكذلك دأب المؤرخون على الاشارة إلى الطفرة في الصناعة النحاسية التي اعتبرت دليلاً على قدوم السومريين إلى جنوب العراق .

لذلك يبدو لنا أن شعوب الأسرة القفقاسية قد حملت معها أثناء انتشارها واستيطانها غرباً إلى أوربا وجنوباً إلى آسيا الغربية بواكير معرفة صناعة التعدين وخاصة النحاس .

لقد سبقوا كل الجوار في بناء مجتمع المدينة ووضع أسس الديانة الطبيعية وعبادة قوى الطبيعة وغدت مفاهيمهم عن الخلق والطوفان والصراع بين الفلاح والراعي والبطل الأسطوري وآلهة الخصوبة والحساب والدار الآخرة... الخ ومختلف الأساطير التي نسجوها حول معتقداتهم،[٤] إضافة الى قوانينهم المدنية الحقوقية، وحساباتهم الرياضية والفلكية والمعمارية.. الأساس الحضاري والفكري والعلمي الذي نهلت منه كل الحضارات التالية في آسيا الغربية والتي وصلت وانتشرت فيما بعد الى أنحاء العالم، وقد استمرت لغتهم السومرية كلغة علم ودين ولغة أكادمية وكذلك كتابتهم المسمارية في كل حضارات آسيا الغربية التاليـة[٥] حتى بعد زوالهم واندثارهم أو اندماجهم كشعب (١٩٠٠ ق.م) بزمن طويل والى منتصف القرن الأول للميلاد (٥٠ بعد الميلاد)، أي قرابة الفي عام بعد اندثارهم وهكذا تكون حضارتهم قد دامت قرابة الأربعة آلاف عام مما لم يتوفر لأية حضارة أو لغة بما فيها عصرنا الحاضر واقوامه وحضاراته حسبما نعلم.[٦]

يمكننا حسبما قرأنا أن نذكر أربعة أمور أساسية يبدو أنه حصل اتفاق بين العلماء بشأنها وهذه الأمور هي:

أولاً: إن اللغة السومرية لغة مقطعية مثلها مثل لغات أورال ألطاي واللغات القفقاسية

ثانياً: البنية الجسدية أي الهيكل العظمي والجمجمة هي ذات مقاييس قفقاسية

الرؤوس الطويلة(عرق البحر الأسود) Sous Dolychocephale

الرؤوس المرتفعة القصيرة Hyper brachycephale

ثالثاً: التشابه الواضح الذي أشار اليه سائر المؤرخين مع سائر اللغات المقطعية للشعوب القفقاسية الأصلية Paleo Caucasiens التي سميت بالشعوب الجبلية وقد اكتفى المؤرخون بنسبتهم الى عبارة الشعوب الجبلية ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث عن لغاتهم وأصولها.

وبعد هذه المعطيات والدلائل الواضحة والتي لاشك فيها لانعلم السبب في أن العلماء يعطفون قائلين أنهم لايعرفون أصل الشعب السومري لأنهم لم يجدوا لغة تشبه اللغة السومرية فيما هو معروف من لغات العالم اليوم، (واليوم تسود في المنطقة (العالم القديم) اللغات الهنداوربية والسامية) واللغة السومرية ليست كذلك بالتأكيد.

إننا نرى مطلب العثور اليوم وبعد ٦ آلاف عام على لغة تشبه اللغة السومرية مطلب صعب وتعجيزي ودبلوماسي في آن معاً، ومعظم اللغات القديمة لم تعد مستعملة اليوم وهكذا فإننا لايمكن أن نجد اليوم اللغة الأكادية التي استخدمت قبل أربعة آلاف عام، ولكن الممكن هو

إجراء المقارنات والدراسات على مفردات اللغة الأكادية وقواعدها يتبين منها انتسابها الى مجموعة اللغات السامية، وإن ما يجب أن نفعله بالنسبة للغة السومرية هو تحليلها وإجراء المقارنات العلمية التي تثبت الأسرة اللغوية التي تنتسب اليها، وبإعتقادنا أن الصعوبة التي تواجه الباحثين هي عدم معرفة (درجة اللفظ الحقيقي وتصويت حروف اللغة السومرية) لأنها لاتشبه حروف اللغات الاشتقاقية ولاتشبه تصويت حروف اللغة الأكادية التي يستخدمها العلماء من منطلق معرفتهم بها لقراءة وفهم معاني النصوص السومرية،(٧) ومهما حاول الباحثون أن يشبهوا الكاف السومرية بالكاف الفارسية والجيم بالجيم المصرية واعطاء ارقام من - ١ - الى - ٦ (أو أكثر) للحرف الواحد لوروده بـ معاني مختلفة مما يدل على اختلاف لفظة فهذا لن يمكنهم من فهم اللغة السومرية، ونرى أن أي قارىء أو باحث للغة السومرية لابد له أن يعرف إحدى اللغات المقطعية القفقاسية، وعندها سيتمكن من إدراك اللغة السومرية وقراءاتها التي تبدو مختلفة وتنجلي الأمور على حقيقتها ويزول التخمين والإجتهاد الذي لازال يمارس بحق هذه اللغة.

إن معرفة التصويت الحقيقي لحروف اللغة السومرية ومعاني حروفها وأصواتها الحقيقية لن يتم إلا على أساس إحدى اللغات المقطعية القفقاسية، ولأن القراءة والتصويت الحالي تم عن طريق اللغة الأكادية التي عرفها العلماء هي واللغة البابلية ووضعت لها القواميس بالمقارنة مع اللغات السامية الأخرى وإن حروف وأصوات اللغات السامية لاتستطيع أن تصوت الحروف السومرية، لذلك نرى انه جرى في كتابة النصوص السومرية تشويهان صوتيان الأول عند قراءتها بالأكادية والثاني عند كتابتها باللاتينية الاصطلاحية لأن كلتا اللغتين بحروفهما الراهنة غير قادرتين على نطق اللغة السومرية التي يبلغ عدد أصواتها قرابة الخمسين صوتاً تأخذ أكثر من مئات المعاني حسب حركتها وموضع ورودها في الكلمة، إنه برأينا أن مثل هذه الصعوبات وهي أن الصوت الواحد له في غالب الأحيان ثلاث درجات في اللفظ والحركتان هما الكسرة والفتحة و بحيث يرد في كل حاله بمعنى يختلف عن الآخر، كان ذلك هو العائق الذي سبب قراءات متشابكة ومتشابهة غير متطابقة تماماً ويلعب التخمين والإجتهاد و الاستنتاج دوراً في تفسير مختلف بين العلماء لتلك النصوص.(٨)

إن الملاحظة الثانية وننصح بوجوب الاعتماد عليها كلياً عند قراءة النصوص وهذه الملاحظة هي: بما أن اللغة السومرية هي لغة مقطعية فهناك ميزة هامة جداً لهذه اللغات يمكن الاستفادة منها وهي ان الحرف أو الجذر (وهو حرف يدخل قاسماً مشتركاً في العديد من المقاطع والكلمات مما سنراه لاحقاً) هذا الحرف ثابت المعنى وهذا المعنى الذي أخذه الحرف

منذ بدء تشكل هذه اللغات لايتبدل مع الزمن ابداً، ولايجب أن يفهم من ذلك أن هذه اللغات جامدة لاتتطور مع الزمن، إن التطور في هذه اللغات يكون في اسلوب جمع الحروف وجمع معانيها التي تشكل المقاطع والتي بدورها تشكل الكلمات والمعاني النهائية لها، أما معاني الحروف البدائية التي وضعت لها كحروف مفردة فلايمكن تبديلها ولأن تبديل معنى حرف واحد يمكن أن يغير معاني آلاف الكلمات وينسف اللغة من أساسها، والحقيقة إن ثبات معنى الحرف هي الخاصة والميزة الأساسية لهذه اللغات والتي ستمكننا من فهمنا لها فهماً صحيحاًواضحاً بعيداًعن التشويه والتخمين والعناء الشديد الذي يعاني منه قراء اللغة السومرية، ومن هنا كانت إمكانية العمل بمقارنة معاني الجذور (الحروف) ثم المقاطع المكونة من معاني هذه الحروف للغة المقطعية المراد اجراء المقارنة بها، كل ذلك مما سنراه بالإيضاح والشرح اللازمين.

جزء من لوحة حجرية عليها كتابة لـ (بوزور شوشيناق) والمشهد يمثل إلهاً بيده (مسمار بناء) عثر عليه في سوسا الارتفاع ٧٥ سم موجود في متحف اللوفر .

التعليق : ١ ـ سوسا أو شوشا هما لهجتان ومعناها راعي الخيل وشوشيناق تعني ابن الراعي الكبير على فرض المقاطع التالية شوش + ين + قه .

٢ ـ المسمار الذي يحمله الإله هو مسمار بناء يصوت ويقرأ باللغة السومرية : غج + أونه ويكتب باللاتينية الاضطلاحية Cuh Kin (٣٩) وهذه الكلمة تعني إلى يومنا هذا المسمار باللغة الشركسية

٢ - (أقوال بعض المؤرخين)

ومن المفيد قبل الخوض في موضوع الأصل السومري والمقارنة اللغوية أن نستعرض هنا مختلف أقوال المؤرخين ممن تحدثوا عن مشكلة الأصل السومري لنبين أن الموضوع كله برأيهم بقي معلقاً على ناحية واحدة فقط وهي جهلنا للغتهم التي تحدثوا بها، أي أن المسألة بقيت مقتصرة على الناحية اللغوية واثبات أسرة اللغات التي تنتسب اليها اللغة السومرية.

يقول مورتكات: على الأرجح بأن السومريين هم أول شعب ابتكر الكتابة المسمارية وبالتالي بنى أول صرح في حضارة هذا العصر، وهذا يقودنا لأن نقف حائرين مكتوفي الأيدي أمام التساؤلات التالية، متى جاء السومريون الى هذه البلاد ومن أين قدموا؟ وكيف تمت هجرتهم الى هذه البلاد؛ وهل هم السكان الأصليون لجنوب بلاد الرافدين، إننا لانستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة بوضوح، لأن اللغة السومرية بقواعدها ومفرداتها بعيدة عن أن تنتسب الى أية لغة أخرى..!

ويقول بعد ذلك: إن كان السومريون قد استقروا منذ العصر الحجري النحاسي(هذا الرأي هو المرجح الآن) أو قدموا اليها بعد عصر الصيد، فقد ظلت أعمالهم وخاصة خلال النهضة السريعة التي شملت فجر التاريخ المنارة التي سارت على هديها بلدان الشرق الأدنى لعدة قرون بل لآلاف السنين.

ويقول: إن نتائج بحوث علم الأجناس التي أجريت على عدد قليل من الهياكل العظيمة المتفتتة تبين بأن الانسان السومري يتميز بالرأس المتطاول كثيراً،[٩] ثم يعود الى ملاحظة أن تماثيل السومريين تخالف النتيجة السابقة(ويقصد أنهم من ذوي الرؤوس المستديرة والأنف المعقوف قليلاً. ويلاحظ أن هذين العرقين هم انموذجي اسرة الشعوب القفقاسية[١٠].

ويقول طه باقر: (أما اللغة السومرية فهي غريبة في مفرداتها وتراكيبها ولم يتمكن العلماء من تصنيفها وإرجاعها الى صنف من أصناف اللغات البشرية المعروفة) إن هذاالكلام علمي وصحيح فاللغات المقطعية القفقاسية لغات غير معروفة حالياً ومهملة).ولعل أقرب عائلة لغوية تشبهها هي العائلة المسماة (أورال الطاي) ومن الباحثين من يرى أن اللغة السومرية يمكن إرجاعها الى عائلة اللغات اليافثية القفقاسية[١١] التي انتشرت في أطراف القفقاس وفي شمال

الهلال الخصيب القوس الحضاري الأمانوسي الزاغروسي (وهو ما ذهبنا اليه في الفصل الأول من هذا الكتاب وما كان من أمر استيطان وانتشار هذه الشعوب بدءاً من النيوليت إذا لم يكن تالياً لعصور الصيد). ويتابع قائلاً: ومما يقال عن اللغة السومرية انها ليست من عائلة اللغات السامية ولا من عائلة اللغات الهنداوربية وهي من نوع اللغات التي تسمى (اللصقية).

ويقول كنج: إن ثمة علاقة كانت قائمة بين سكان ماوراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريين (استناداً الى انماط ونماذج الصناعة الفخارية) ومن الجائز أن هؤلاء القوم قدموا من الشمال.

ويقول صموئيل نوح كريمر[١٢]: قوم أطلقوا على بلادهم اسم (سومر) كانوا يتكلمون لغة مقطعية لاهي بالسامية ولاهنداوربية الى هؤلاء القوم السومريون يرجع الفضل في تأسيس عهد يعد من أكثر العهود خلقاً وابداعاً في تاريخ الشرق الأدنى القديم ويقول عبد الحكيم الذنون ويبدو أنه ينقل الينا احدث وآخر المعلومات المستجدة في القطر العراقي عن مشكلة الأصل السومري.

هناك ميل حالياً لاعتبار السومريين أصلهم من جهات القفقاس، والسبب في هذا الترجيح هو خصائص السومريين الجسدية، ولأنهم أدخلوا وطوروا الصناعات النحاسية في بلاد الرافدين فمن المعقول أنهم قدموا من أماكن يتوفر فيها هذا المعدن .

(إذن نرى هنا أن العلماء أخيراً وقد أقروا بالأصل القفقاسي مستندين الى الصفات الانتربولوجية والنقلة في الصناعة المعدنية لمعدن النحاس وهو ما سبق وأشرنا اليه في الفصل الأول من أسبقية هذه الشعوب في الصناعة المعدنية طوال عصورها وقد ابتعد العلماء عن الاستناد الى اللغة السومرية ومرد ذلك برأينا هي كون اللغات القفقاسية لغات مجهولة مغمورة وبعيدة جداً في اسلوبها وقواعدها عن اللغات الاشتقاقية مما سبب دائماً في حيرة العلماء والباحثين وأصابهم بشعور من الإحراج والخيبة فيما يتعلق بموضوع اللغة)

يقول **جيمس ميلارت**:[١٤] (إن مدينة شاتل هيوك [١٥] في الأناضول، المعاصرة لأريحا(ب)[١٦] في العصر الحجري الحديث ولقرى جارمو ومرسين قد صنعت حضارة حجرية حديثة تجعلها جديرة بتسميتها عاصمة، إن النشاط المبكر للأناضول في هذا العصر قد انعكس في نشوء حضارة (حلف) [١٧] على حدود الأناضول، هذه الحضارة كان لها تأثير هام وكبير على منطقة جنوب وادي الرافدين [١٨] (يرجى ملاحظة مواقع العصر الحجري الحديث والحجري النحاسي من الشمال نحو الجنوب ونحو الرافدين) ثم يتابع وبحذر شديد: بدون أي ايحاء..! فقد وجد هؤلاء اللاجئون أو لنقل الحرفيون (الصناعة التعدينية للنحاس

المبكر) ملاذاً لهم في الشرق[١٩] ومهما يكن من أمر فإن التقاليد الأناضولية وحضارتها الحجرية الحديثة في حلف شيء لايمكن انكاره

إن الدين وصناعة المعدن والنسيج والفخار النفيس والتقنية العالية بشكل عام حيث أدخلت الأناضول وحضارتها الحجرية الحديثة الى هذه القارة (يقصد الآن القارة الأوربية غرباً) بدايات الزراعة وانتاج وتربية الماشية وديانة الإله، الأم التي تعتبر اساس الحضارة الغربية (انظر المصور

يقول الدكتور جورجي في مؤلفه سومر عند تعرضه لذكر القفقاس:

إن الآثار القفقاسية المكتشفة تمتد بشكل سلسلة تتوالى حتى الجزر البريطانية ثم يقول من المهم ان نتذكر أن الحضارة القفقاسية غير بعيدة عن الحضارة السومرية فالآثار القفقاسية وخاصة الشمالية تتكامل وتتجانس مع الآثار العراقية والمصرية والأناضولية منذ (٣٠٠٠ - ٣٥٠٠) ق.م وترتبط معها بروابط قوية.

أهم مواقع نهاية العصر الحجري النهائي وفجر التاريخ

يقول البرفسور (آيتق ناميتوق)[٢٠] : إن الكورغانات[٢١] وهي التلال الأثرية في القفقاس الشمالي قد قدمت آثاراًعديدة لحضارة متطورة جداً من حضارات ماقبل التاريخ ومن أكثرها قدماً، إن هذه الحضـارة تبـدي تشابهاً واضحاً مع حضـارة السومـريين والحاثيين

يقول أمين سمكوغ:[٢٢] لاتشبه اللغة السومرية اللغات السامية والآرية وهي من فضيلة اللغة العيلامية..، يضيف: يعتبر أكثر العلماء السومريين من أصل قفقاسي وتؤيد هذه النظرية التحريات الواسعة التي قام بها علماء انكليز وامريكان وألمان في العراق، ومنذ عام ١٩١٨ حيث اكتشفوا جماجم عديدة سومرية كلها ذات مقاييس قفقاسية، وثبت علاوة على ذلك ان المدنية السومرية التي قامت في فجر التاريخ والمدنية التي كانت قائمة في منطقة الكوبان من بلاد الشركس هما متشابهان في كل الوجوه من حيث الآثار والصناعات وطراز الابنيـة مستنداً الى (اوتران، كتاب لغات آسية القديمة ص ٢٧٤) الى (الكسندر موريه في كتاب تاريخ الشرق ص ١٢٢).

وبعد هذه الطائفة المتنوعة التي استعرضناها من أقوال الباحثين والعلماء المختصين ومن مختلف الجنسيات نلاحظ صراحة أن الأسهم تشير الى القفقاس الشمالي والى منطقة حوض الكوبان بالذات، ولأن المشكلة برأيهم بقيت معلقة على موضوع واحد فقط وهو ايجاد القرابة اللغوية للغة السومرية التي تحدث بها السومريين قبل خمسة آلاف عام، وقد كان هذا الطلب بحكم المستحيل أو كان صعب التحقيق لولا صفات خاصة تتميز بها اللغات المقطعية القفقاسية وأهم هذه الصفات هي ثبات معاني حروفها مما أشرنا اليه سابقاً ومما سنراه في بحث اللغة الآديغية الشركسية وهي لغة حوض الكوبان ولغة الجزء الغربي من القفقاس الشمالي أو مجموعة (آدغة وبخ أبخار) وما ينطبق عليها ينطبق على كل لغات القفقاس الشمالي الأصلية من منطلق أصلها المشترك.

٣ ـ (ملاحظات حول المسألة السومرية)

وقبل الدخول في تفاصيل البحث والمقارنة اللغوية سنعمد من طرفنا الى إيراد بعض الملاحظات والإشارة الى بعض أوجه الشبه التي تزيد ما يشير اليه العلماء المختصون بين السومريين وشعوب القفقاس الشمالي الأصلية.

أولاً ـ لمحة تاريخية

قامت حضارة السومريين في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين، ومن تتبع تاريخ المنطقة بشكل عام، نلاحظ أنها كانت منطقة جذب وتمازج حضاري وبشري وخاصة في المنحدرات وسفوح القوس الحضاري الجبلي الطوروسي الزاغرسي وصولاً الى أراضي الهلال الخصيب بلاد الرافدين وسورية الغربية والوسطى.

إن هذه الهجرات البشرية جاءت من منطقتين لاثالث لهما ومن أسرتين من الشعوب متمايزتين حضارياً(نمط المعيشة) ولغوياً، وهما أولاً الإستيطان والانتشار البشري من الشمال الجبلي الأناضول وصولاًالى القفقاس وهذه الشعوب هي التي سميت بشعوب الأسرة القفقاسية الأصلية التي تتحدث اللغات المقطعية، وقد اعتبرها كثير من العلماء أنها نشأت في المكان الجغرافي لقدم عهدها ويعتبر العيلاميون أقدم هذه الاستيطانات والذين يعود استيطانهم الى الألف الثامن ق.م حسب مورغان.

الهجرات والاستيطانات الثانية وهي التي جاءت من الجزيرة العربية وسميت بالهجرات السامية التي تتحدث اللغات الإشتقاقية وتحمل الحضارة والثقافة الرعوية وأقدم هجرة معروفة لدينا هي هجرة الأكاديين[٢٣] التي إن كانت قد بدأت بزمن أبكر وأقدم ولكن وجودهم الواضح بدأ عام ٢٥٠٠ ق.م وتمكنوا من استلام السلطة السياسية زمن صارغون عام ٢٣٥٠ ق.م.

ولانعلم تعرض المنطقة لهجرات بشرية استيطانية أخرى تركت آثاراً حضارية ديموغرافية دامت آلاف السنين وأقامت الدول والممالك سوى الإجتياحات التتارية والمغولية التي حدثت في وقت متأخر جداً عما نتحدث عنه وتعود الى عصور ما بعد الميلاد ويحق لنا أن نسأل إذا لم يكن السومريون هجرة سامية ولاهنداوربية بإقرار جميع المؤرخين فلماذا لانركز جهودنا على الاحتمال الوحيد الباقي والذي تشير اليه معظم الدلائل والقرائن وهي أنهم هجرة شمالية جاءت من الأناضول وصولاً الى القفقاس الشمالي سواء بالهجرة المباشرة أو أنهم أقاموا فترة ما

في محطات استراحة في ايران أو حتى في الجنوب من المنطلقات التي تحدث عنها المؤرخون الذين سبقت الإشارة اليهم واستندوا في حكمهم هذا تارة الى الصناعات المعدنية (النحاس) والفخار وتارة الى الهياكل العظيمة أو اسلوب البناء دون الخوض في موضوع اللغة السومرية الذي بدا لهم بغاية الصعوبة.

ثانياً (اللباس ـ السلاح والأدوات الأخرى)

قارن بين الملك السومري جوديا والعجوز الشركسي

إذا دققنا النظر في اللباس السومري (تمثال جوديا) نجد أن غطاء الرأس يتألف من قبعة مستديرة وسميكة ومجعدة والتفسير المقبول لها أنها صنعت من فراء الحملان الصغيرة السوداء، وهي بذلك تشبه وتماثل تماماً لباس الرأس القفقاسي المعروف (القلبق)، وكذلك نجد التفسير الصحيح لعبارة ذوي الرؤوس السود التي أطلقها السومريون على أنفسهم وحيرت العلماء ولم يعرفوا تفسيراً لها في بداية الأمر، إن الذي يدقق في هذه العبارة ذوي الرؤوس السود كما وردت في النصوص السومرية Sag - Gi - Ga وهو لفظ لم يعرف تصويته تماماً واستعيض عن اللفظ الحقيقي للحرف بأرقام ترتيبية نراه يماثل ويصوبت مقطعياً نفس العبارة الشركسية () ومثل هذه التسمية للشعوب والأقوام عادة درج عليها الشركس ويستخدمونها ككناية عن الاسم الحقيقي وهي تتناول الصفة الأكثر بروزاًووضوحاً عند تلك الأقوام فشراكسة سوريا يسمون جيرانهم في جبل العرب بذوي الرؤوس البيض من منطلق المظهر أو الصفة الأكثر وضوحاً وهي ارتداءهم للعمامة البيضاء، وهكذا بالنسبة لباقي المناطق السورية ونقصد من حديثنا هذا أن هذه التسميات وامثالها هي في صلب اللغة الشركسية وعادة درج عليها الشراكسة الى يومنا هذا.

أما الرداء او الثوب في تمثال جوديا فهو أيضاً رداء سميك القماش وربما كان صوفياً وهو لايتجاوز الركبة وهو يشبه في كل التماثيل الأخرى الأكثر وضوحاً ما يسمى اليوم باللغة الدارجة (الخراطة) وبالفرنسية (التايور) وهو لباس الجزء الأسفل للمرأة اليوم وقد سماه السومريون (جه ـ شبن) واسمه اليوم عند الشركس (جَهْ ـ بخن) (   ) ولافرق في اللفظ والكلمات والمعنى بين العبارتين اطلاقاً، فمعنى المقطع (جَهْ) الجزء الأسفل من الجسم، ومعنى (بخن) هو الربط أي ربط الجزء الأسفل أما المقطع (شين) فمعناه اللبس وفعل شبْ يعني إلبس وبلهجات أخرى تأتي شل (   ) بدل شب.

وهكذا نرى الانطباق التام في اللفظ والمعنى لكلتا اللغتين السومرية والشركسية في العبارات السابقة، الذكر (وفي مجال المقارنة لاحظ تمثال جوديا وصورة العجوز الشركسي) ولقد عثر على سلاح القاما الشهير والمعروف لدى شعوب شمال القفقاس في المقابر السومرية كما عثر عليه لدى الحاثيين القدماء، وهذا السلاح خاص بشعوب شمال القفقاس له من الشهرة والمواصفات مما يميزه من النظرة الأولى، إقتبسه عنهم كثير من شعوب الحضارات القديمة ومنها الرومان الذين أخذوا (القاما الرومانية) عن سابقيهم الأتروسك. انظر صفحة ١٢١

وكذلك تلك العربة الزراعية السومرية ذات العجلات الأربع والتي تجرها الثيران والتي دفنت في مقابر ملوكهم لاتختلف عن تلك مثيلتها في شمال القفقاس، ولانعلم تماماً إن كان

نموذج هذه العربة خاص بهذه الشعوب فقط ولكن استخدام الثور فيه إشارة صريحة الى الشمال.

ثالثاً ـ (الكتابة ، الخيال الاسطوري ، الميتولوجيا الدينية ، العادات الاجتماعية ، أنظمة الحكم)

نحن نعلم أن الكتابة السومرية كانت تتم بالحز وجرح سطح الطين الطري وتعليمه برأس قصبة وجد الكثيرمنها، وإذا أردنا التعبير عن فعل خدش أو جرح باللغة الآديغية الشركسية فإننا نستعمل فعل (تخه = أخدش ـ تخن = الخدش) ( )

وكذلك إذا أردنا التعبير عن فعل كتب باللغة الآديغية الشركسية فإننا نجد نفس الفعل السابق (تخه= اكتب . تخن= الكتابة) مع ملاحظة تخفيف حرف الخاء والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كانت الصدفة وحدها هي السبب في تماثل فعلي خدش الطين ـ والكتابة باللغة الشركسية أم أنهم سموا الخدش على الطين كتابة وصارت العبارة اسم علم يدل على الكتابة..؟

إن مقارنة بسيطة للملاحم والأساطير الأساسية في كل من الحضارة السومرية والحاثية القديمة والشركسية في شمال القفقاس وخاصة فيما يتعلق بولادة الأبطال[٢٤] الإسطوريين حيث تشترك كلها في الرموز الأساسية (النهر ـ المرأة ـ الراعي ـ الولادة الصندوقية[٢٥] ..الخ) إلا أنه في الأساطير الحاثية والكوبانية الشركسية جرى تعديل تلك الولادة بعد الألف الثانية ق.م بالـولادة المعدنية من باطن الصخر متوهجاً كالجمر حيث يمسكه الحداد (تلبش) بالملقط من ركبتيه ويسقيه سبع مرات في الماء وهي سقاية الحديد عند تحويله الى فولاذ وكذلك يبقى المكان الذي امسكـه الحـداد به من ركبتيه هي نقطة ضعفه القاتلة (وهي نفس نقطة ضعف آخيل في طرواده) ولكنها هنا في الكوبان (٢٠٠٠ق.م) أقدم بألف عام[٢٦] من مثيلتها اليونانية (١٢٠٠ ق.م) وتلاحظ بقاء العديد من الأساطير القديمة والروايات على أصلها وبدون تعديل وتتضمن الولادة الصندوقية والنهر في كثير من الروايات) .

ومما يلاحظ أن الآديغية (الشركس) وحتى اليوم يعبرون عن فعل الموت بطريقه وصفية وهي اسلوب خاص باللغات المقطعية فيقولون(نزل فلان عن ظهر الدنيا)[٢٧] أي مات وهذا يوافق معتقدات السومريين والشعوب القفقاسية الشمالية من نزول الميت إلى باطن الأرض حيث الحساب هناك.[٢٨]

كما تتحدث أساطير السومريين (أن جلجامش) استشار مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين الشبان ويسمى المؤرخين المجتمعات السومرية (بدويلات المدن الديمقراطية) ونحن

نعلم أن ملـــوكهم وموظفيهم كانـوا ينتخبون وكان الملك يلقب نفسه خـادم الشعب (تفسير خاطيء من قراء السومريات لكلمة Lugal وهي لاتعني خادم الشعب وانما رجل الشعب) انظر تحليل هذه الكلمة في حينه.

إن هذه الديمقراطية والانتخاب في المجتمعات السومرية عرفتها الحضارات المدينية ولم تعرفها الامبراطوريات ذات الحكم المطلق التي جاءت فيما بعد بمفاهيم ألوهية ملوكها، حتى أن الأورارتيون اضطروا لإستعارة الإله هالدي من الفرس (٣٠) ليستطيعوا تأليه ملوكهم وتوحيد ممالك مدنهم ومع ذلك فإن الشعب الاورارتي لم يكن ليعترف بهذا الإله وهذا الإسلوب في تأليه الملوك وكثيراً ما اضطر ملوكهم لمسايرة الشعب في آلهته، وهكذا كانت الدويلات والمدن الحاثية(٣١) لكل مدينة ملكها وأميرها وكانوا ينتخبون الأمير الكبير بالانتخاب الديمقراطي، وكذلك كانت عيلام حتى أن المؤرخين سموهم بدول وممالك الطوائف العيلامية .

إن مفاهيم الديمقراطية ومجالس الشيوخ ومجالس الشبان ومبادىء الانتخاب والحرية مفاهيم باقية بوضوح شديد عند شعوب القفقاس الشمالي، وتفسر لنا النزعة الاستقلالية وشدة التمسك بالحرية الفردية، ولم يتمكن المؤرخون من فهم طبيعة هذه الشعوب مما جعلهم يصفونها بكثرة المنازعات على السلطة في دويلات المدن الديمقراطية، وحتى العصور الحديثة لدى سلاطين الشراكسة في مصر(٣٢) وكل مافي الأمر أنهم كانوا كانوا يأنفون من تولية ولي عهد صغير السن فيبقونه فترة احتراماً لذكرى والده ويعزلونه بعد ذلك ليولوا من بينهم من هو جدير بالرئاسة، ويلعب عامل السن دوراً كبيراً في هذه المجتمعات بحسب عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة، ولقد كانت الديمقراطية والتعلق الشديد بالحرية الشخصية من نقاط ضعفهم في تاريخهم السياسي حيث لم يتمكن الشركس وخلال حروبهم الطويلة ضد الإحتلال الروسي من توحيد جهودهم وتوحيد جبهات القتال، وحاربت كل قبيلة لوحدها حتى آخر رجل قادر على حمل السلاح فيها،(٣٣) وربما كانت هذه الخصال من أهم الأسباب لإندثارهم السياسي والديمغرافي الذي ابتدأ منذ الألف الثاني ق.م أمام هجرات الشعوب السامية والهندواوربية التي استطاعت دائماً أن تحظى بالسلطة السياسية الموحدة وأن تنشيء الامبراطوريات الكبرى.

إن هذه الشعوب تعتبر أفرادها جميعاً متساوون في القيمة الإجتماعية (مجتمع الطبقة الواحدة) بغض النظر عن المعايير المادية أو الوظيفية أو الوراثية، مما هو متعارف عليه في المجتمعات اليوم وقد بقي الشراكسة على عاداتهم تلك حتى في المهاجر، كما عاشت قبائلهم بدون سلطات تنفيذية وإنما يتقيدون بعاداتهم وتقاليدهم بدافع ذاتي (٣٤) وشعور بالمسؤولية فطروا عليهما ويشعر بها كل فرد منهم، وهم لذلك لايأتمرون إلا بأمر المجالس وخاصة مجالس

كبار السن الذي يمثل في نظرهم السلطة الوحيدة التي يعتبرون قراراتها واجبة التنفيذ ولايتأخر أحدهم عن تنفيذها تلقائياً وقد قادت الحرب الروسية الشركسية مجالس من هذا النوع.
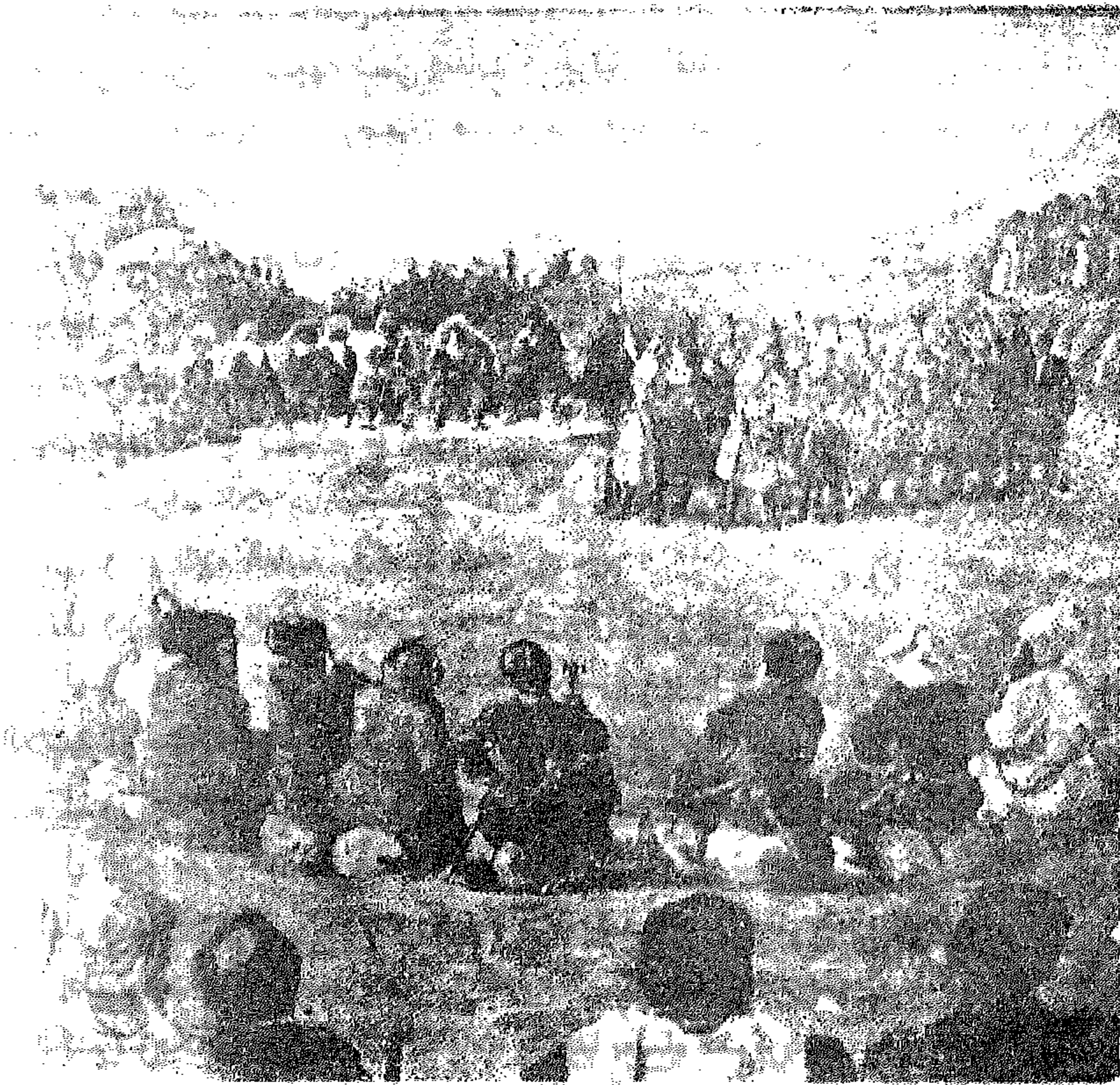
مشهد يمثل اجتماع مجلس حرب (الرسم عن لوجان محاربي)

٤ ـ بعض خواص اللغة الشركسية (الآديغة)

وهكذا استعرضنا في الفقرة السابقة بعض الدلالات التاريخية والإجتماعية والثقافية وقبل أن ندخل في موضوع المقارنة بين اللغتين، لابد لنا من استعراض بعض خواص اللغة الشركسية مما له علاقة مباشرة بالتحليل والمقارنة اللغوية، وهذه الخواص انما هي ناجمة عن طبيعة هذه اللغة التي يمكن أن نصنفها ضمن اللغات (الحرفية ـ المقطعية ـ البنائية (بمعنى جمعية أو لصقية ويفضل كلمة بنائية) ـ وصفية) فلنستعرض هذه الخواص كل منها على حده وبالشرح والتوضيح اللازمين.

أولاً ـ اللغة الحرفية: ومعنى ذلك أن هذه اللغات تبدأ من حروفها وكل حرف من حروفها له معنى قائم بذاته، ويأخذ الحرف الواحد عدة معاني حسب درجة لفظه وحسب حركته وكذلك يدخل هذا الحرف في مجموعة من الكلمات فيكون جذراً مشتركاً لمعانيها واليك هذه الأمثلة لإيضاح ما نقول.

١ ـ حرف اللام ويأخذ معاني عديدة قد تصل الى ٦ معاني مختلفة تماماً

لِ ( ) اللام العادية بالكسرة معناها = لحم

لَ ( ) اللام العادية بالفتحة معناها = فعل أمر (إدهن)

لِ ( ) اللام مقربة للتاء في اللفظ بالكسرة معناها = رجل وقد كتبت بالأحرف اللاتينية الإصطلاحية للغة السومرية على النحو التالي Lu

لَ ( ) اللام مقربة للتاء في اللفظ بالفتحة معناها = فعل أمر (مُتْ)

لِ اللام مقربة للثاء في اللفظ بالكسرة معناها = دم

لَ ( ) اللام مقربة للثاء في اللفظ بالفتحة معناها = فعل أمر (إقفز)

إذن توجد ثلاث لامات تختلف لفظاًومعنى كل منها تأخذ معنيين حسب الحركة الفتحة أو الكسرة وهكذا يصبح لدينا ٦ لامات مما حدا بعلماء السومريات لترقيم هذه الحروف لأنهم لم يتمكنوا من تصويتها استناداً الى اللغة الأكادية التي لاتعرف إلا لاماً واحدة والحرف في اللغات السامية ليس له معنى وتبدأ اللغة فيها بالكلمة وليس الحرف.

سبق أن ذكرنا أن كل حرف يأخذ أو أخذ معنى أولياً منذ بداية تشكل اللغة لايمكن أن يتبدل مع الزمن لأنه دخل جذراً مشتركاً في مجموعة من الكلمات تتضمن بشكل أو بآخر

في قوامها معنى ذلك الحرف الجذر والرابطة هنا في مجموعة الكلمات هو معنى ذلك الحرف ولنأخذ المثال:

ثانياً: الحرف جذر مشترك

١ ـ حرف بَ =P̄= ( ) ومعناه الأنف أو مقدمة كل جسم بارز الى الأمام (المقدمة)
آبَ (   ) قبل المقدمة ـ قبل الأول ـ أي البدء ـ بداية الشيء
باقة = (   ) تعني الأنف الأفطس أو أي جسم مقدمته مقطوعة
بامسة = (   ) تعني الجسم الرفيع المروس لأداة كالسكين أوالمسمار..
باسة = (   ) الماضي وربما تكون قد دخلت كثيراً من اللغات للدلالة على الزمن الماضي Passer
بَ+ رت = (   ) الواقف أمام الجميع بمعنى انها صارت اسم علم (القائد)
بَ+ وُت = (   ) الواقف أمامه وصارت اسم علم (للحارس)
با نه = (   ) وتعني الشوك

ونلاحظ أن لافرق بين بَ بالفتحة با بالألف ، لأن الحروف الصوتية الألف الواو الياء إذا جاءت وسط الكلمة ليس لها معنى أما إذا جاءت في أول أو آخر الكلمة فتأخذ معنى خاص بها مثل باقي الحروف.

٢ ـ حرف نَ = N̄ (   ) وتعني العين بالفتحة والأم بالكسرة (نِ)
نا غه= (   ) وتعني العين العسلية (غ) هو الشيء اليابس ولونه الأصفر
نا زه = (   ) العين الحولاء
نا شخه = (   ) العين الزرقاء
نا به = (   ) الجفون من منطلق أن (بَ) هو الفراش أي فراش العين وب هنا مقربة للهمزة وليست ب بمعنى المقدمة.
نا بسه+ (   ) الرموش من منطلق أن حرف (تس) هو الشعر أي شعر فراش العين

٣ ـ حرف الواو وَ(   )
يعني الضربة۔ يعني دفقة الماء الكثير ـ السيل الكثير

وهو من الحروف الهامة جداً في الموضوع السومري الذي نحن بصدده لأنه يدخل جذراً في كل الأسماء المتعلقة بالكون والطقس وهذا التداخل يقودنا الى أنه يمكن أن تكون قد اطلقت في البداية دلالة على الكون وكذلك اطلقت على الماء الكثير من منطلق أن السومريين

اعتقدوا بالولادة المائية للكون وأن الكون كله كان ماءً كثيراً كالماء الذي يسبح فيه الجنين في بطن أمه عند الولادة تحدث أولاً دفعة الماء وينفجر ماء الجنين وبعدها تحدث الولادة .. فلا غرابة أن يأخذ هذا الحرف المعنيين فهو يعني الماء الكثير ويعني الكون وهو من أهم الحروف والدلالات

وَ ش (   ) البردْوبلهجة أخرى (وَف) (   )

وَ ش (   ) الصحو وبلهجة أخرى (وَ ف) (   ) الشين هنا تختلف لفظاً عن سابقتها.

لاحظ أن الشين في المثال الثاني مقربة للصاد وهي غير الشين الأولى لذلك فالمعنى تغير من البـرد الىالصحو (الجو الصاحي) مع تماثل الحروف تماماً فيما يتعلق بالكتابة العربية أو اللاتينية لذلك يضطر العلماء لترقيمها عندما يرون أن المعنى يتغير مع بقاء الكتابة كما هي، وكذلك تغير حرف الفاء من المثال الأول الى المثال الثاني في اللهجة الثانية

وَشكة (   ) المطر

وَ ي (   ) المطر الكثير والطقس الرديء

واشه (   ) السماء وبلهجة أخرى وافه

وَ لبانة(   ) العاصفة الطقس العاصف

وَ غ (   ) الجفاف

وسبس (   ) الندى

وس (   ) الثلج

وَ شابشة (   ) الضباب وبلهجة أخرى وَفابشة

وشفاغة (   ) الرعد وبلهجة أخرى وَ ففاغة

وشخبسك (   ) البرق وبلهجة أخرى وفخبسك

وهكذا ما كان من أمر حرف الواو ودخولها جذراً في مجموعة من الكلمات التي تتعلق بالكون والماء تأكيد للولادة المائية للكون كما ورد في الأساطير السومرية واعتقد أنه في الأمثله الثلاثة أوضحنا ما نقصد به من الحرف الجذر الذي لايتغير معناه وسنعتمد على هذه الخاصة أثناء دراستنا للغة السومرية

ثالثاً ـ (اللغة المقطعية اللصقية الجمعية) أو (المقطعية البنائية):

١ ـ لنأخذ كلمة مثل مَشك = (مَ+ شُ+ ك) (   ) وتعني القطار فكيف تم

تركيب هذه الكلمة وما هي مقاطعها وما هي حروفها

مَ= مَه= حرف أولي ومعناه الرائحة

شُ+ (   ) حرف أولي ومعناه الشيء الجيد أو الشيء الطيب

مه + شُ= (مَش) (   )= تعني مجموع معاني حروفها الرائحة الطيبة ولكنها صارت مقطعاً كاملاً اسم علم للنار فالنار اسمه بهذه اللغة (ماشه) (   ) ولكنه بتحليله إلى حرفيه المكونين له يعطي المعنى (الرائحة الطيبة) وقد اطلقت هذه التسمية على النار من منطلق أن أهم صفة للنار رائحته الطيبة وهكذا فهذه اللغات لغات وصفية، تعتمد على الوصف في كلماتها قاطبة.

إذن هذا ما كان من أمر المقطع (مَش) أو (ماشه) أو (مه شه)

أما الحرف الأخير في الكلمة وهو حرف الكاف= كُ ،فهو حرف يعني العربة وإذا أضفنا معنى المقطع النار + معنى الحرف ك وهو العربة صار يفهم من الكلمة عربة النار وهكذا صارت هذه الكلمة اسم علم للقطار من منطلق صفه هذه الآله وهي كونها عربة تسير بالنار

إننا يجب أن ننتبه الى أن كلمة (مشك) عند نطقها فإنها تعني القطار وهي اسمه ولاتظهر المعاني التركيبية إلا بالتحليل الى الحروف والمقاطع الأولية،

٢ ـ نأخذ مثالاً آخر كلمة مرت معنا في حرف الواو وهي (ولبانة) (

وَ: تعني الكون والطقس وكذلك تعني الماء الكثير

لِ:الرجل بانه؛تعني المصارعة والمصارع

فيصبح معنى الحروف والمقاطع الطقس + المصارع والطقس الذي يصارع الانسان هو الطقس العاصف أو العاصفة (ولبانة)

رابعاً ـ اللغة الوصفية البنائية وهي سجل أمين لتاريخ حضارة الانسان

إن هذه اللغات سجل أمين للتاريخ البشري لأن كل كلمة عندما سميت فإنها تضمنت من خلال حروفها وصفاً كاملاً للحالة والحادثة والوضع الذي كان سائداً ومثالنا على ذلك كلمة حلغ (   ) وهي اسم علم معناه الخبز وإذا حللناه الى حروفه ومقاطعه فيكون حرف الحاء (حه) يعني الشعير ومقطع (لغ) يعني المشوي والكلمة وصفية معناها الشعير المشوي وهذا يدلنا على أنهم عرفوا خبز الشعير قبل معرفة خبز القمح وإلا لسمو الخبز (كسلغ) القمح المشوي بدلاً من (حلغ) الشعير المشوي ولنأخذ مثالاً ثانياً وهي عبارة الرؤوس السود الذي هو لقب السومريين وتدلنا هذه التسمية أنهم كانوا يرتدون على رؤوسهم قبعات

سوداء (وإن كنا نرجع انها اطلقت للدلالة على الأكاديين من منطلق لونهم ربما الذي كان اميل الى السمرة من السومريين وحسبما درجت عليه هذه الشعوب من تسمية الشعوب المجاورة)

إن هذا ماقصدناه من أننا يمكن أن نستقرىء هذه اللغات بتحليل كلماتها الى معاني حروفها ومقاطعها المشكلة لها فتخبرنا عن أحداث التاريخ وباعتقادنا ان هذه الميزة هامة جداً ويمكن الاستناد اليها، وإن مايمكن أن نستقرئه من كلمات هذه اللغات لايقل أهمية عن الآثار واللقيات وحتى الرقم والوثائق المكتوبة. لقد استعرضنا حتى الآن بعض الخواص الهامة لهذه اللغات التي استخدمنا في عملية مقارنة اللغة الشركسية الآديغية باللغة السومرية وهذه الخواص هي أربعة= ١ - حرفية ٢ - حروفها جذور في مجموعة الكلمات ٣ - مقطعية لصقية ٤ - وصفية بنائية وبإعتقادنا ان لاشيء من هذه الخواص موجود في اللغات الإشتقاقية، لذلك كانت اللغات المقطعية بعيدة جداً في تركيبها وتكوينها عن اللغات الاشتقاقية.

ونتيجة لما سبق يمكننا الإستنتاج أن هذه اللغات قد شكلت في البدء عندما اطلقت كل الحروف على كل المعاني وعندما أرادوا التعبير عن معاني جديدة جمعوا للحرف حرفاًآخربحيث يكون مجموع معنى الحرفين هو معنى الكلمة الجديدة ثم جمعوا حرفاً ثالثاً وهكذا فالسلسلة هنا سلسلة هندسية لاحدود لاتساع امكانياتها في صياغة مفردات ومعاني جديدة ويمكن كشف الكلمات الدخيلة على هذه اللغة التي ترفضها بموجب لفظ الكلمة عندما لاتكون مقطعية او حرفية ومن هذا المنطلق فهذه اللغات لاتقبل الكلمات الأجنبية ولاتندمج بها إطلاقاً كما يحدث مع اللغات الإشتقاقية ولو بعد مضي زمن طويل.

٥ - إنها لغات تختصر كثيراً من الكلام فهي شديدة الاختزال والحرف يقوم مقام الكلمة والكلمة تقوم مقام الجملة من لغات أخرى لاحظ كما في المثال التالي: الفعل (إرم : دز)، إرم الى أعلى: دزي - إرم الى أسفل: يدزه - إرم بعده: بلدز - ارم خلفه: لدز عد الى رميه مرة ثانية: قد زج - ارم أكثر منه: تيدز وهكذا يمكن ان يعطى الحرف عندما يلحق بالفعل معاني طويلة .

خامساً - موجز بعض خواص اللغة الشركسية (الآديغية)

إننا إذ نوجز مواصفات هذه اللغة (الحرفية المقطعية اللصقية الوصفية) اللغة الشركسية الأديغية، إنها لغة تبنى درجة فوق درجة تتبع في تركيبها التفكير العقلي المنطقي في بناء الكلمة التي تحتوي على معاني حروفها ومعاني مقاطعها، التي إذا جمعت يفهم منها المعنى الإجمالي

للكلمـــة ، وهي بذلك وصفيـــة تصف الحالـــة تماماً والكلمـــة وصفاً دقيقـــاً ، وهذه أهم ميزة لهذه اللغة، لاتوجد في اللغات الاشتقاقية الاصطلاحية،ويمكن اعتبارها من هذا المنطلق من أقدم السجلات التاريخية الأمينة لحضارة الانسان بحيث يمكن استقراؤها لتخبرنا كيف جرت الأمور في تلك الأزمنة الموغلة في القدم، وخاصة أن معاني هذه الحروف ثابتة لا تتبدل مع الزمن لأنها الأساس الذي بنيت اللغة كلها فوقه.

فحرف الألف بالفتحة ـ أَ ـ (   ) تعني اليد منذ أن بدأت اللغة بالتشكل وقد بنيت سائر الكلمات المتعلقة باليد على أساس معنى هذا الحرف ـ أ ـ كالكلمات:

أ غ (   ) أ = يد غ = وسط والمعنى وسط اليد ولكنها اسم علم لراحة اليد

أ ب (   ) أ= يد بَ = طرف والمعنى طرف اليد ولكنها اسم علم يعني أطراف الأصابع

أ بشه (   ) أ = يد ـ بشه = رقبة ـ والمعنى رقبة اليد ولكنها اسم علم للرسغ

أ شحه (   ) أ = يد ـ شحه = رأس ـ والمعنى رأس اليد ولكنها اسم علم للكم وهكذا أبشخ = اسواره أبلى = محرمه.. الخ وهكذا نجد عشرات ومئات الكلمات التي يدخل فيها الحرف ـ أ ـ جذراً وهذا ماسيتوجب ثباتها، يقول البرفسور تورتشيانينوف حول الموضوع نفسه (كان العامل الأساس للنجاح في فك رموز الكتابة المايكوبيه (الآشوية) هو ثبات بنيان اللغة خلال آلاف السنين، وعن هذا الثبات اللغوي خلال القرون وبغض النظر عن قدمها فهي ليست بعيدة عن اللغة الحالية بحيث لايمكن فهمها مع بذل جهد بسيط، إن هذا الثبات في الشكل اللغوي لمدة طويلة يعود إلى بنيان الجذور اللغوية الأبخازيه .. لقد استطعت أن استند إلى لهجات أبخاز ويخ الحية حتى الآن .

٥ ـ الدراسة المقارنة

إننا لسنا من قراء الكتابة المسمارية، لذلك سنأخذ الكلمات كما وردتنا بكتابتها اللاتينية الإصطلاحية وبالعربية، وسنأخذ المعنى حسبما ترجمه العلماء وغالباً عن اللغة الأكادية وإن هذا المعنى هو الذي سيساعدنا على ضبط التصويت الحقيقي للحروف اللاتينية الاصطلاحية.

إننا نرى أنه إذا كان هناك تطابق في لفظ الكلمة وفي معناها باللغتين فإن هذا التطابق في المبنى والمعنى يخرج عن كونه تشابهاً لفظياً ويؤكد وحدة اللغتين أو وحدة أصولها،

إن التوافق اللفظي إذا ترافق بتوافق في المعاني لايعود هناك شك في وحدة اللغة ووحدة الأصول.

سنعمد في عملنا هذا الى تحليل الكلمة الى حروفها ومقاطعها المشكلة لها وسنعمد الى مقارنتها في اللغتين لنرى.إن كان هناك تطابق في المعنى، واننا نعتمد في هذه الدراسة على معرفتنا اللغة الآديغية الشركسية للشمال الغربي من القفقاس الشمالي.

إننا نرى أن اسم (الإلهه الأم الكبرى) عند السومريين لم يصلنا اسمها لقدم عهدها، تلك المعبودة الوحيدة التي عبدها الانسان فترة طويلة من عمر البشرية وربما كانت تعود الى عصور الصيد والى العصور الحجرية الوسيطة، زمن سيادة الأم ونظام الأسرة الأمومية، وقد كانت عبادتها في العصر الحجري الحديث راسخة الجذور عندما صرنا نعثر على تماثيلها في مواقع الحضارات القديمة، ويجب أن لانخلط بينها وبين أسماء آلهة نسائية وصلتنا أسماؤها فيما بعد فجر التاريخ، ضمن جملة وقائمة طويلة من آلهة قوى الطبيعة (بانثيون الآلهة لدى الحضارات القديمة) إن اسم (الإلهه الأم الكبرى) لم يصلنا في رقم الحضارة السومرية لبعد عهدها عن فجر التاريخ وبدء الكتابات، ولانعرف ماذا كان اسمها في ذلك الوقت الموغل في القدم، وربما كانت مع بدء تشكل اللغات القديمة، ولم يكن الإنسان يعرف الكتابة فترك لنا عشرات بل مئات التماثيل دلالة على عبادته لها، وسنحاول استرجاع ذلك الإسم من خلال اللغة السومرية المقطعية، وقد سبق أن اسسهبنا في شرح كيف تسجل هذه اللغات أحداث التاريخ، وإن اسم (الإلهة الأم الكبرى) لابد أنه دخل في اللغة السومرية المقطعية، تلك اللغات السجل العفوي الأمين لتاريخ الانسان وتاريخ الحضارة قبل التاريخ.

وعندما بدأ السومريون الكتابة كانوا قد بلغوا عصر البرونز وكانت حياتهم المدينية وميزاتها

الحضارية قد ترسخت، وقد رافق هذا التنوع في حضارة الانسان تنوع في أعداد الآلهة ووظائفها، اخبرنا بأسمائها، وربما كان قد نسي أنه بدأ بعبادة إلهة واحدة وبقي اسمها مثبتاً كجذر حرفي في لغته طالما أنها لغة مقطعية، وأسماء الآلهة التي وصلتنا هي بدون شك قد ركبت بالطريقة التي سبق شرحها، فلنتناول أولى تلك الأسماء في مجمع الآلهة السومري ولنستعرض بعضها على سبيل المثال:

نمو ( ) - آن (AN) - نانا (NaNNa) - إنكي (Enki) - إنليل (Enlil) - أنشار (Anchar)

نَ + مْ + وَ   آ + ن   نِ + نَ   إن + كي   إن + ليل   أن + شار

نِ
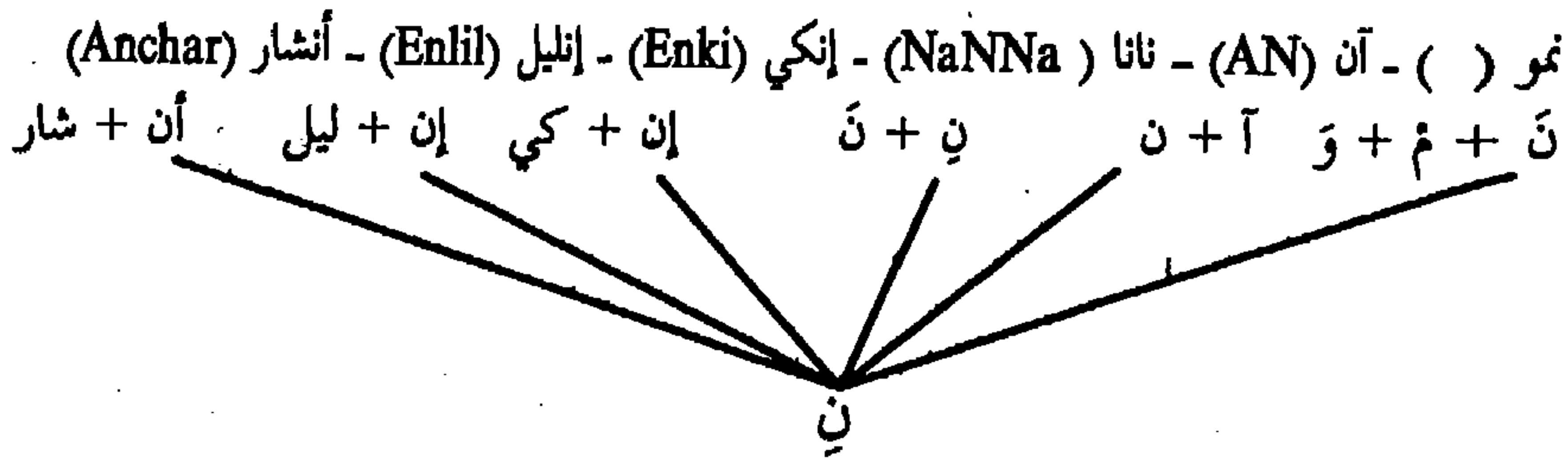
اسم (الإله الأم الكبرى) حرف النون - نِ - وهو الحرف والجذر المشترك في مئات من اسماء الآلهة السومرية، فهو الجذر والمعنى الأول الذي جمعت اليه حروف ومقاطع أخرى لتدل على الكلمات الجديدة التي ركبت بالطريقة المقطعية.

والآن نتساءل عن معنى حرف النون باللغة الشركسية الآديغية (يرجى الرجوع الى قائمة الحروف ومعانيها) نجد أنه يعني الأم بالكسرة(نِ) والعين بالفتحة (نَ) وربما كان ذلك من منطلق تساوي الأم وعين الانسان أغلى وأهم الحواس عنده، إن هذه التسمية الشركسية موغلة في القدم مع بدايات تشكل هذه اللغة كما وردت في كل أساطيرهم للأسماء التاريخية الموغلةفي القدم (نارت - أنت - ستناي)

وسنعتمد في هذه العجالة تحليل ٣٦ اسماً من اسماء الآلهة[٣٦] واسماء الاعلام منها(١٢) اسماً لآلهة فيها الجذر حرف النون ثم (١٢) اسم إله لا على التعيين ثم (١٢) كلمة كأسماء اعلام شهيرة، ونرى موافقتها التامة في حروفها ولفظها ومعناها بين اللغتين السومرية والشركسية الآديغية، ثم ننتقل بعد ذلك لترجمة بعض النصوص من قانون أورنمو السومري، ثم نقوم في النهاية بإحصاء ما مر معنا من حروف جذور ومقاطع ونبين موافقتها وتطابقها في اللفظ والمعنى.

ملاحظة هامة: إن دلالة حرف النون على (الإله الأم الكبرى) والأم بشكل عام هو اقدم في اللغة الشركسية ربما من أي لغة أخرى في العالم مما جعلها تدخل الى العديد من لغات الحضارات الأكثر حداثة وكذلك مقطع (أن) إله السماء ومقطع (نان) أم الأم الجدة، تلك

الشعوب واللغات التي قد تدعى القرابة اللغوية استناداً الى مثل هذه المقاطع الشائعة، ومنعاً للتقول فإننا لانعتمد عليها في هذه الدراسة بقدر مانعتمد على المقاطع الملحقة بها والموافقة تماماً للغة الآديغية الشركسية.

١ ـ تحليل كلمة نمو (نِ ـ مْ ـ وَ) (   )

وهي تعني كما فسرها العلماء بالسومرية (إسم إله المياه الأولى) في بدء تشكل الكـون، هـذه المياه أسمـاها السومـريون (أب +سو) Apsou والتي سـادت الكـون كله (العماء) قبل تشكل السماء والأرض وانفصالهما بالهواء.

التحليل الحرفي والمقطعي حسب اللغة الآديغية

نِ: اسم (الالهة الأم الكبرى) واسم الأم وقد غدا هذا الحرف جذراً دخل العديد من اسماء الآلهة كما رأينا، لذلك غدا جذراً دليل الألوهية ويعني إله مجازاً .

مْ: هو في هذه الحالة حرف جر ويلحق آخر الأسماء ساكناً فيعرفها كالام الجارة في اللغة العربية ويفيد الملكية والتخصص مثال(للولد ـ للبنت)

وَ: حرف هام جداً من حروف اللغة الأديغية[٣٧] ونحن نعلم انه يستخدم للدلالة على الماء الكثير المتلاطم ويدخل جذراً وحرفاً بهذا المعنىفي كل الكلمات المتعلقة بالطقس ويأخذ معنى الكون، وهكذا تماثلت تسمية الماء الكثير وتسمية الكون بحرف واحد هو (وَ) وتفسير ذلك يكمن في اعتقاد السومريين بخلق الكون من الماء الكثير أو أن الكون في البدء كان ماءً كثير العماء وقد اطلقوا عليه اسم أبسو (Apsou) راجع تحليل هذه الكلمة لاحقاً وهكذا يتجمع لدينا معني نمو (ماء الأم) . (الماء الذي هو ماء الأم) وفي هذا تشبيه صريح لولادة الكون بالولادة البشرية .

٢ ـ تحليل كلمة آن (آ + ن) (AN) وهي تعني إله السماء باللغة السومرية وهو كبير الهتهم وله اسم آخر دخل فيه الحرف (وَ) مثل نمو (أنوَ) (ANU) وهو أول عناصر الكون وكانت ولادته من الماء وهو يتخصص في شؤون الكون والآلهة، ويلاحظ أن اسم (AN) دخل جذراً في سلسلة طويلة من الآلهة وصار مثل حرف النون فقد غدا جذراً دليل الألوهية وصار فيها يعني إله فقط (أنشار ـ انوناكي ـ أنين ـ أنونا ـ الخ..)

التحليل المقطعي حسب اللغة (الآديغية)

آ : هي أداة النداء بهذه اللغة

ن: اسم الإلهة الأم الكبرى، ويبدو أنه تحول الى إله السماء الذي هو أول الآلهة وزعيمها

واكتفى بإضافة أداة النداء لها لبعدها في السماء وهذا المقطع لازال موجوداً في الأسماء التاريخية للشركس (أنت) واسماء العائلات القديمة أبجوق - أنزور -

٣ - تحليل كلمة نانا - أو نِ نٌ - (Nanna) وهو اسم إله القمر عند السومريين

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

نا- نِ بإعتقادنا أن هذا الحرف يعني كما سبق دائماً الأم

أنَ: وهو إسم إله السماء

ويصبح لدينا المعنى المتجمع هو عين إله السماء أوعين السماء اليست هذه الطريقة الوصفية لتركيب اسماء الاعلام كما سبق واسهبنا في شرحه ثم اليست القمر هي العين التي تنظر فيها السماء للأرض، كما يمكن لِ (نانا) أن تأخذ معنى أم الأم كما سيرد معنا (ارجع الى تحليل كلمة نان تي = حواء)

وقد صار نان مقطعاً دخل العديد جداً من اسماء الآلهة كجذر يدل على الألوهية (نينا - نينازو - ننغال - ننغرسو - نفر شريدا - ننهورساج - نينب - ننكي - ننليل - ننسون - ننتود - نينورتا .. الخ)

ونؤكد أننا قد أتينا بالأمثلة الأولى فيها مقطع أو حرف (ن) - (آن) - (نان) لتبيان دلالة معانيها وموافقتها التامة وأننا لا نعتمد عليها في اثبات القرابة اللغوية لشيوعها في لغات كثيرة إنما نعتمد على المقاطع الملحقة بها وهذا ما أكدنا عليه في ملاحظتنا السابقة.

٤ - تحليل كلمة (إنكي) (Enki) وهو اسم المياه العذبة والعميقة في الأرض وصارت مع الزمن اسماً يعني(إله الأرض) حسبما ورد في أساطير السومريين وعلماء التاريخ السومري

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية

إن:EN مقطع يتكرر كثيراً في أسماء الآلهة ويعني باللغة الآديغية (الكبير) بمعنى الكبير في قدره ومنزلته ولذا فإنه يأخذ المعاني المجازية السيد -الزعيم - الإله.

كي : أولِكِ : Ki وتعني الأرض بلهجة الشابسغ وتلفظ مقربة للشين بلهجة القبرطاي ( ) ومقربة للجيم بلهجة الكوبان .. الخ

وهكذا فالكلمة تعني (سيد الأرض) أي (إله الأرض) باللغة الشركسية.

٥ - تحليل كلمة (إنليل) (ENLIL) وتقرأ في كثير من الأحيان (ليل) (LIL) وهي تعني باللغة السومرية (إله الهواء) الذي تمدد ودخل بين الأرض والسماء وفصل بينهما في بدء خلق الكون وتشكله.

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية)

إن EN رأينا معنى هذا المقطع وكيف يدخل في أسماء كثيرة بمعنى (الكبير ـ السيد ـ الزعيم ـ الإله)

ليل: LIL اللام هنا من النوع الثالث المقربة للثاء (   ) والمقطع ليل على هذا النحو يعني باللغة الشركسية الشيء الخفيف المتناثر وهو صفة الهواء، ويصبح معنى الكلمة على هذا سيد الهواء أي إله الهواء،

٦ ـ تحليل كلمة (أنونا) (ANUNNA) اسم أطلقه السومريون على مجمع الآلهة أو بيوت الآلهة٣٩

تحليل الكلمة المقطعي حسب اللغة الآديغية

آن: AN رأينا كيف يأتي هذا المقطع بمعنى إله

ونا: UNNA بيوت مساكن مجمع

ويصبح المعنى على هذا النحو مساكن الإلهة

٧ ـ تحلل كلمة (أنوناكي (Anunnaki) اسم سومري يمثل (آلهة البانثيون السومري) انهم عادةأر بابـ الأرض ويقررون مصائر البشرية

تحليل الكلمة المقطعي حسب اللغة الآديغية

آن:AN رأينا كيف يعني هذا المقطع (إله)

ونا:Unha - Wnna رأينا معناها الصريح باللغة الآديغية (بيوت ـ مساكن ـ مجمع)

كي: Ki رأينا معناها: الأرض

وهكذا يصبح المعنى حسب اللغة الشركسية (مجمع آلهة الأرض)

٨ ـ تحليل كلمة (أنين) (Annien) وهي تعني باللغة السومرية كبيراً وكبيرة الكهنة في المعبد والتي تنوب عن كبير الآلهة،وقد وردت صورتها في المنحوتات مع كتابة اسمها.

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية

أن:AN رأينا كيف أنها اسم إله السماء كبير الآلهة وغدت مقطعاً يعني إله

إين: EN رأينا كيف أنها تعني (الكبير ـ السيد ـ الضخم..)

ويصبح المعنى على هذا النحو (كبير الآلهة) أو من ينوب عنه (كبير أو كبيرة الكهنة) لعدم وجود التذكير والتأنيث في هذه اللغة.

٩ ـ تحليل الكلمة(نان شيه) (Nanshe) كلمة أطلقها السومريون على إله الأحلام حسبما قال لنا علماء اللغة السومرية

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية

نان:NAN رأينا هذا المقطع عندما يأتي لوحده (نانا) (Nanna) يعني إله القمر وعندما يأتي (NAN) (نان) فهو يعني أم الأم أي الجدة وصار يعني إله لدخوله مقطعاً في أسرة كبيرة من الآلهة التي عددنا بعضها .

شيه: SHE إنها تعني باللغة الآديغية النوم وليس الأحلام فهل التبس الأمر على قراء اللغة السومرية بين النوم والحلم أم أنها كلمة أطلقت مجازاً على إله الأحلام لأنها انما تحدث مع النوم والمعنى يكون على هذا الأساس (إله النوم) ومجازاً (إله الأحلام)

١٠ ـ تحليل كلمة (نان تي) (Nanti) كلمة أطلقها السومريون على جدتنا حواء.

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

نانNAN رأينا معنى نان أم الأم اي الجدة

تي Ti وتعني لنا وهي بمثابة الضمير (نا) باللغة العربية المتصل بالأسماء وهكذا يكون معنى الكلمة (جدتنا) ثم اليست حواء هي جدتنا وهي الطريقة الوصفية لهذه اللغات في ايجاد واشتقاق اسماء الأعلام.

١١ ـ تحليل كلمة (نان شيه بور) (Nanchieper) اسم أطلقه السومريون على الإلهة التي تساعد (إنانا) على تهيئة فراش الزواج المقدس.

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية

نان شيه:Nanche: رأينا أنها تعني إلهة النوم

بورPer: وتعني باللغة الآديغية p: فراش R: ال التعريف فهي تعني الفراش وهكذا غدت الكلمة تعني (إله فراش النوم) أو (إلهة فراش الأحلام مجازاً)

١٢ ـ تحليل كلمة أنشار وأخته كشار (Anchar) - (Kichar) وهما رب السماء وربة الأرض أخوان تزوجا وانجبا العديد من الآلهة

أن: AN مقطع يعني إله وهو يعني أصلاً السماء

شار:Char تعني باللغة الآديغية الجلد والجلد في اللغة الشركسية ليست كما في اللغة العربية فهي تعني (الجلد والقشرة والسطح الخارجي الوجه الخارجي لكل الأشياء) والكلمة (

أنشـار) تعني إله السماء ووجه السماء) وليس كما نراها في بعض القواميس السومرية (إله الجلد) وهنا (شار) تأخـذ المعنى وجه الشيء وليست مقصورة على الجلد فقط أي ليست (جلد السماء) بل (وجه السماء) إن هذا ماسبب بعض المغالطة في تفسير هذه الكلمة أو هذا المقطع من قبل علماء السومريات، واليوم يستعمل الشراكسة المقطع (وَ) حرف الواو دليل الكون بدلاً من أن فيقولون عن السماء (وَ اش) بدلاً من (أن شر) وحرف الشين في هذا المقطع ليست الشين العربية وانما هي مقربة للفاء

Ki: رأينا سابقاً أن معناها الأرض (Char - Ki) فهذه الكلمة تعني وجه الأرض وليس جلد الأرض وهكذا فالكلمتان اطلقتا على إله السماء وإله الأرض.

نقوم الأن بدراسة وتحليل ١٢ كلمة لاتحتوي على الجذور (ن ـ أن ـ نان) وهي مكونة من جذور ومقاطع أخرى لا على التعيين.

١ ـ تحليل كلمة (جبيل) (Gibil)كلمة أطلقها السومريون للدلالة على (إله النار)

تحليل الكلمة حسب اللغة الآديغية

جَ: G ـ وهي مقربة لحرف الكاف (   ) وتعني الذيل أو اللذنب

بيل: Ibil بله: تعني الساخن المتوهج من شدة الحرارة

فيصبح المعنى حسب اللغة الآديغية (الذنب الساخن المتوهج) وهي في حقيقة الأمر اسم علم أطلقه الشراكسة الأديغية على المذنبات بالطريقة الوصفية الواضحة فهل اعتبر السومريون المذنب الذي يمر في السماء إلاهاً للنار..!

٢ ـ تحليل كلمة (كلاب) Kilap وهي تعني باللغة السومرية المكان المقدس وهي مكان في المعبد.

تحليل الكلمة حسب اللغة الآديغية

Ki رأينا معنى هذه الكلمة (الأرض)

لاب: Lap اللام هنا مقربـة للشـــاء (   ) وهذا المقطع يعني باللغـــة الآديغيـــة (الغالي المقدس) وبالتالي فالمعنى هو الأرض أو المكان القدس

٣ ـ تحليل كلمة (لوجال) (gal - Lu) وهو لقب تلقب به ملوك سومر وتعني رجل الشعب

تحليل الكلمة حسب اللغة الآديغية

لِ: Lu وهذا حرف اللام مقرباً للتاء (   ) ويعني بالكسرة رجل

جال: gal مقطع (   ) يعني الناس والشعب

وهكذا فإن هذه الكلمة تعني باللغة الآديغية رجل الشعب والجماهير

٤ - تحليل كلمة (أرشسكيجال) (Ereshikigal) وهي إلهة الدار الآخرة عند السومريين وكانت تسكن تحت الأرض حيث ينزل الموتى، وهذه الكلمة مؤلفة من خمس مقاطع فانظر موافقتها التامة .

تحليل الكلمة حسب اللغة الآديغية

آر: Er- Ar وتعني هو أو هي

شِ: Shi :Si حرف يعني النوم مرت معنا سابقاً

كي :Ki حرف يعني الأرض مرت معنا سابقاً

GAL جال (   ) وهي ليست بنفس لفظ GaL في Lugal وهي تعني الموجود تحته (تحت الطاولة - تحت اللحاف - تحت الأرض) وهذه هي أرشيكيجال المقيمة في الدار الآخرة وتحاسب الأموات تحت الأرض، وقد بحثنا في اللغة الشركسية عن عبارة واحدة تدل على صعود الروح الى السماء فلم نجد فالميت يقال له (نزل عن ظهر الدنيا) أي مات حسب الطريقة الوصفية لهذه اللغة في إيجاد اسماء الأعلام مات = نزل عن ظهر الدنيا

٥ - تحليل كلمة (أفن) (Afin) وقد أطلقها السومريون اسم علم وتعني (المحراث)

تحليل الكلمة باللغة الآديغية

أ: A حرف يعني اليد وهو كما رأينا جذر يدخل مجموعات كبيرة من الكلمات

فن:Fin: وهي تعني باللغة الآديغية (السياقة - القيادة) والنون هنا مصدرية .

ويصبح المعنى(الشيء الذي يساق باليد) (الأداة أو الآلة التي نسوقها ونقودها باليد) اليس المحراث هو الآلة التي نسوقها وندفعها باليد (الاسلوب الوصفي للغات المقطعية في ايجاد وتركيب اسماء العلم). ٣٩

٦ - تحليل (أثيتر) (Aeeter) اسم أطلقه السومريون على الإله الذي رفع بالأيدي (رفع الى عرش السماء عالياً بعد وفاته)

التحليل المقطعي للكلمة حسب اللغة الآديغية

أَ: A حرف يدل على اليد واسم علمه له

ثيتر: Eter (يرفعه من الأسفل) (يسنده من الأسفل) ويصبح المعنى على هذا النحو: (الذي ترفعه وتسنده الأيدي نحو الأعلى) وقد اطلقت هذه الكلمة في الكولخيد من بلاد

الشركس (شمال القفقاس) Aeeter اسم ملك الكولخيد الشركسية ووالد (مدّه - وبسرتس) وكان حارس الجرة الذهبية التي يبحث عنها جيسون وبحارة الأرغنوت.

٧ - تحليل كلمــة (غج ونه) (Guhkin) وهـو اسم اطلقـه السومريون على اسطوانـه او وتـد معدني كان يوضع في أسـاس البنـاء كالمسمار ليمسك قطع الآجر ويمنع انقلابها (تمتين الأساس)

تحليل الكلمة بموجب اللغة الآديغية

غج: Guhk إن حرف الغين غُ يمثل الشيء اليابس والجاف وهو اسم علم يدخل جذراً وحرفاً اولياً يدل على المعادن(غج - غوبل - غواف) بالترتيب (حديد - نحاس - قصدير)

- In : أون : ومعناه الشيء الذي يعلق ولايمر من الثقب: أون: علق يعلق وهكذا يصبح المعنى المعدن الذي يدخل في الجدار ولايمر بل يعلق لأن له رأس عريض وهو الى اليوم يطلق باللغة الشركسية على المسمار انظر الرسم رقم ( ) صفحة ( ) ٣٩

٨ - تحليل كلمة (أبسو) (Ab Sou) اسم أطلقه السومريون على الماء الأولي المياه البدائيــة التي خلــق منها الكون والباء هنا حرفي P ادغما وانقلبا إلى باء واصل اللفظ Ap - Psou

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

أ ب: AP إن حرف ب يدخل على المقدمة أو رأس الشيء أو الأنف كما رأينا والمقطع أ ب: يعني (قبل الشيء) (قبل البدء)

سو:Psou وهي تعني الماء وبلهجات أخرى بسه

وهكذا يصبح المعنى من الكلمة (مياه قبل البدء) (المياه البدائية)

٩ - تحليل كلمة (بليل) (بله+ يل) (Belili) اسم أطلقه السومريون على إله التجأ الى دموزي فحوله الى ثعبان وخبأه تحت الأرض

التحليل المقطعي حسب اللغة الأديغية

بله:(Beli) هو اسم الأفعى باللغة الآديغية

يل (Ili) وتقرأ اللام قريبة من الثاء ( ) ويعني هذا المقطع (موجود في داخله ويصبح المعنى (أفعى موجودة داخله ( )

١٠ - تحليل كلمة (أتوكو Utukku اسم اطلقه السومريون على (الجن) وهم برأيهم ارواح الموتى الذين لم تتوفر لهم الشعائر الجنائزية وطقوس الدفن فبقيت أرواحهم هائمة لايسمح لهم بدخول الدار الآخرة وهم يسعون للإنتقام من الأحياء ومن الصعب ارضاؤهم

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

أ ت: أوت:Ut هو الواقف خارجاً الواقف بباب الدار دائماً

كوا: KKU مقطع يلحق آخر الأسماء فيحيلها الى صيغة المبالغة (كثير الوقوف) واقف دائماً، وهكذا صار المعنى (الواقف دائماً ولايسمح له بالدخول)

١١ ـ تحليل كلمة (كاركورنا) Kur Gurena وتعني الكلمة باللغة السومرية (الرصيف الذي ترسو إليه السفن وتترك مشدودة اليه.

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

كار: Kur وتعني العربة وقد دخلت الى اللغات الأوربية Car

كورنا Gurena (المتروك في الخلاء) (المهجور) (الذي يترك وحيداً) ويصبح المعنى العربات (وسائط النقل السفن مجازاً) الراسية وهو على الطريقة الوصفية لهذه اللغات ويدل على الرصيف الذي تترك فيه السفن (المرسى)

١٢ ـ تحليل كلمتي(مكوّ) (بكو) (PAKO - MAKO) وهما آلتان موسيقيتان لم يعرف شكلهما وقد تكهن البعض بمختلف الآلات الموسيقية

التحليل المقطعي حسب اللغة الآديغية

ب: حرف يدل على المقدمة والتقدم

كوّ: الصائح ويصبح المعنى على هذا النحو (الذي يصبح قبالته)

مكو: وتعني الصائح

إذن هما آلتان تعزفان سوية إحدهما ترد وتناغم الأخرى.

نكتفي بهذا الشكل عما ورد من الكلمات وتحليلها الحرفي المقطعي حسب اللغة الآديغية الشركسية وبيان تطابقها في اللفظ والمعنى السومري، ونسرد أيضاً اثني عشر كلمة لا على التعيين ونبين توافقها في اللفظ والمعنى مع اللغة السومرية بدون اللجوء الى التحليل:

١ ـ أنزو: اسم طائر باللغة السومرية لم يعرف نوعه، وعلى الأرجح هو إله الطيور وليس نوعاً من أنواع الطيور لأن أن باللغة الشركسية إله وبزو عصفور فالمعنى إله الطيور والعصافير

٢ ـ أيرا: اسم مرض الطاعون باللغة السومرية، وهي كلمة لاتزال مستعملة في اللغة الآديغية الشركسية للدلالة على كل مرض لاشفاء منه (المرض المميت)

٣ ـ أنتن:[٣٨] هو إله المزروعات السومري الشركسي ومعناها باللغة الآديغية أن إله السماء تن العطاء فهو (عطاء اله السماء) (عطاء الإله) لاحظ كلمة أنت الاسم القديم للشركس (

ويرد ذكره كإله للمزروعات في اساطير وميثولوجيا شمال القفقاس الغربي)

٤ ـ سيليكيش(٣٨) : إله تأنيس الحيوان وهو مشترك بين السومريين والآديغة الشركس أيضاً

٥ ـ وشكه(٣٨) ايشكور: واشوكاني: اسم اله المطر وهو مشترك ايضاً بين السومريين والحاثيين والحوريين والآديغية الشركس

٦ ـ **غواف:** هو الاسم المعدن القصدير ومعناه معدن السماء، وباللغة الشركسية غُ. غو هو المعدن وواف هي السماء فهو معدن السماء ويطلق حتى الآن على القصدير باللغة الآديغية الشركسية

٧ ـ يرد في الأساطير السومرية أن إنانا غضبت من جلجامش وطلبت الانتقام ومساعدة أبيها فأرسل (ثور السماء) الذي لاقاه أنكيدو صديق جلجامش وصرعه وانقذ صديقه ولازال الاسم موجوداً في أسماء العائلات الشركسية (أبجوق) أن: السماء ج: الثور ق: ابن فالاسم والحال هذه ابن ثور السماء ٣٩

٨ ـ أور اسم العاصمة السومرية تعني بلغة الشركس (الحلق أو المضيق) فهي كانت تقع على خانق على نهر الفرات، ومعنى مدينة (اوروك) الطريق الى اور، ومعنى مدينة(سيبار) أي المدينة الواقعة على الطرف وهذا هو حال هذه المدينة المتطرفة ومعنى أقدم مدن السومريين(نيبور) مهد الإلهة الأم الكبرى وربما كانت كناية عن أنها مهد السومريين وموطنهم الأول وإذا ما أخذنا هذا بعين الاعتبار فإن قدوم السومريين الى جنوب العراق يرقى الى بداية النيوليت ..الخ

٩ ـ انكي يدو وهو صديق جلجامش ذلك الإنسان البدائي الذي خلقه انكي بمشورة نمو من حفنة طين ومعنى الكلمة باللغة الآديغية يدو تعني القبول والرضا أي أنه خلق برغبة وإرادة من أنكي.

١٠ ـ **تحليل كلمة ينيج.** Engi وهي لقب حاكم او محافظ ومعنى هذه الكلمة المؤلفة من مقطعين EN الكبير السيد Si القديم او العريق ومعنى الكلمة التحليلي السيد العريق

١١ ـ **تحليل كلمتي ادجللات وبورانوم :** وهما نهري دجلة والفرات فمعنى ادجللات الذي يخرج سريعاً قافزاً، ومعنى بورانوم الذي يسير كثيراً دائماًوهذا ما يتفق مع مواصفات نهر دجلة السريع الجريان والإنحدار الفرات الذي يمتاز بطول فترة فيضانه ودوامها.

١٢ ـ أوتوUtu إله الشمس ويعني باللغة الآديغية العالي وقد انتقلت هذه العبادة الى مصر زمن الفرعون أخن اتون ومعنى أخن إله لازال موجوداً حتى اليوم في اللغة الشركسية وأتون معناها البيت العالي وزوجته نفرتيتي ومعناها الضوء لنا او ضياؤها ..الخ يرجى الرجوع الى

الهامش ٣٢ ص .

ننتقل الآن وبعد هذه الدراسة لـ ٣٦ كلمة مختلفة وتبيان توافقها التام في الشكل والمعنى مع اللغة الشركسية الآديغية الى دراسة ومقارنة ثلاثة اسطر من قانون اورنمو كما وردت للدكتور طه باقر عن صموئيل نوح كريمر الذي يقول:

ولكن المواد الثلاث الأخرى رغم إنخرامها ونقصانها، فهي على قدر كبير من الأهمية في تاريخ نمو الإنسان الروحي والإجتماعي لأنها تبين بوضوح أن قانون العين بالعين والسن بالسن، وهي الأحكام الشائعة في شريعة التوراة المتأخرة العهد وفي قانون حمورابي، قد كان قبله حتى قبل عام (٢٠٠٠) ق.م، قانون أكثر انسانية، عوض بموجبه دفع الدية بالمال بدلاً من عقوبة القصاص، وبالنظر الى الأهمية التاريخية لهذه المواد الثلاث نقدمها هنا وهي مقتبسة بنص لغتها السومرية منقولة (بالحروف اللاتينية) مع ترجمتها الحرفية:

١ ـ النص بالحروف اللاتينية (١)- Tukum - bilu - Lura - gish - ta ... (a nigrin

Kud - 10 - gin - Ku - babbari - La - e

الترجمة السومرية لصموئيل نوح كريمر إذا رجل ضد رجل بآلة قطع القدم (...) فعليه أن يودي ١٠ شيقلات من الفضة .

الترجمة الآديغية كلمة بكلمة Tuku : غلب ـ m : لاحقة بمعنى إذا ـ bilu : عدو لإدراك ضعف الترجمة السابقة رجل ـ ta..tla : رجل ، قدم - nigrin : يتخلى - Kud : يدفع ـ 10 - gin : عشر شيقلات ـ la - e : مقطع لتمييز الفضة عن الشمس ـ babbair : الفضة . الفضة اسم علم وتعني طائر في السماء صفة أطلقت على الفضة بسبب لونه الأبيض اللماع المتوهج وصارت اسم علم له

الترجمة الآديغية الشركسية كلمة كلمة إذا غلب ـ عـدو الرجـل الرجل - وقطع قدمه فهذا يؤدي (يدفع يخسر) ١٠ شيقلات من الفضة .

نـلاحظ أن ترجمة صموئيـل نوح كريمر انقصت كلمة (Tuku) : غلب وأضافت كلمة آله لم نجد لها أثراً في النص . !

٢ ـ الـنـص بـالحـروف اللاتينية (٢)

Tukum - bilu - Lu - Lura - gish - tukuL - Tagir - Pad - dula - mura - mi im - zir 1 - maku - babbari - la - e

الترجمة السومرية لصموئيل نوح كريمر إذا كسر رجل عظام رجل آخر بالسلاح فسوف يؤدي مناً واحداً من الفضة.

الترجمة الآديغية كلمة بكلمة: إذا غلب عدو رجل رجلاً فالرجل الذي خلع **Tukum - bilu - lu - Luragish**

Tukul : tagir: pad : du la :

mura : هو ذا mi im zir : واحد

1 - ma - Ku - مناً واحداً يدفع (يعطي) فضة babbari - La - e

٣ ـ النص بالحروف اللاتينية

Tuku m - bilu - lura - gish pu - ta ka im kud 2/3 me - na - Ku babbari - La - e

ترجمة صموئيل نوح كريمر

إذا قطع رجل أنف رجل بآله ـ جيشبو – فسوف يؤدي ٢/٣ مناً من الفضة .

يلاحظ الغلط الذي يقع فيه المترجم بالخلط بين معاني الكلمات لأنه كما سبق وقلنا فالقواميس السومرية وضعت استناداً الى الأكادية والبابلية وجدت فيها بعض الخطأ بين كلمة واخرى، وفي هذا النص لايوجد ذكر آلة قطع الأنف التي أسماها(جيشبو) وهذه الكلمة مؤلفة من مقطعين جيش وهي فعل قطع يقطع وكلمة (ب) هي الأنف، وكل الكلمات الأخرى

الواردة في النص سبق شرحها لذلك يكون المعنى حسب اللغة الآديغية ٢ إذا غلب، عدو رجل الرجل، وقطع أنفه،... يدفع ـ مناً من الفضة

ملاحظة: يلاحظ تكرار كلمة tuku - m في أول الجمل الثلاث وهي تعني (إذا غلب) وقد ترجمها صموئيل نوح كريمر ثلاث اشكال مختلفة (إذا قطع ثم إذا كسر ثم إذا قطع) ومع أنها عبارة واحدة، إن هذا يدلنا على فهم وتمكن علماء السومريات من الترجمة ولكنها دائماً ضعيفة ومشوشة لإعتمادهم على اللغة الأكادية كواسطة لترجمة السومرية، إن معرفة اللغة الشركسية الآديغية يحسم الموضوع ويوضح معاني الكلمات بحيث لايعود هناك تخمين واستنتاج يشوش الترجمة. ونخلص في النهاية الى ذكر المقاطع والكلمات والحروف التي تطابقت في اللفظ والمعنى بشكل واضح لاليس فيه وهي تبلغ أكثر من ٩٥٪ من مجموعها

ال التعريف Ra ـ رجل :Lu ـ عدو: bi ـ إذا:m ـ غلب:Tuku ـ الأنف:Pu ـ ترك التخلي الدفع :nigrin ـ بمعنى القدم: lat أو ta ـ الكسر والخلع: gish الخ... هوذا -mura معدن الفضة: Ku babbari واحد: Zir

نقوم الأن بمقارنة بعض الجمل والعبارات القديمة لاتزال في اللغة الآديغية وهي من رواسب الماضي البعيد مثل

(آ ـ دد ـ غش) تعبيراً عن الخوف الشديد

(آ ـ وو ـ غش) تعبيراً عن الألم الشديد

(آ ـ نانا ـ غش) تعبيراً عن حالة عامة (حزن مثلاً)

وبتحليل هذه العبارات نجد أن آ: هي أداة نداء واستجارة ، و(دد ـ وو ـ نانا) وهي أسماء آلهة مشتركة موجودة لدى السومريين، كما هي موجودة لدى شعوب شمال القفقاس، بدليل أنها ما زالت موجودة في عبارات لغوية عفوية لاينتبه لها الكثيرون، أما كلمة غش فالأصل فيها غشت، وهي مؤلفة من مقطعين غُ= القلب، شت: الخوف والرعب، وهكذا يصبح معنى الجمل استجارة بالآلهة بمعنى ياإله (الرعد ـ البرق القمر) المرعب.

اننا أنهينا هذه الدراسة السريعة والمقارنة اللغوية المبسطة، ووجدنا التشابه الأكيد في اللفظ والمعنى، لطائفة من الكلمات والمقاطع والحروف الجذور تربو على المئات ولا يسعنا موضوع هذا الكتاب للتوسع في هذا البحث أكثر من ذلك، ويكفي أن تأكدنا ووجدنا التشابه في اللفظ والمعنى بحيث تفهم اللغة اللغة الأخرى بما يؤكد وحدة الاصول اللغوية والأثنية، ونحيل القارىء الكريم الذي يود الاستزادة من مثل هذه الدراسة المقارنة الى دراسات أوسع. ٣٩

ورب قائل أن الحضارة السومرية انتشرت، وكانت مفاهيمها الأساس الذي بنت عليه كل الحضارات التي جاءت بعدها ووصلت مفاهيمها أرجاء المعمورة.

إننا نجيب على هذه الملاحظة أن هذا الرأي صحيح تماماً، وهو مثبت، وان جميع الحضارات أخذت مفاهيم الحضارة السومرية دون شك، ولكنها صاغتها بلغاتها الخاصة بها البابلية الآشورية ـ المصرية ـ اليونانية.. الخ

فإنانا السومرية صار اسمها عشتار البابلية وايزيس المصرية وارتميس اليونانية، وفيما بعد غدت ستناي القفقاسية الشمالية الغربية حسب لغات الأقوام التي تأثرت بالفكر السومري، وهكذا فمن غير المقبول. ومن غير المحتمل، أن السومريين ذهبوا الى القفقاس الشمالي الغربي، وعلموا آديغية حوض القوبان وباقي القبائل المجاورة اللغة السومرية.

إن ما نود التأكيد عليه هنا، إن مفاهيم الحضارة السومرية وإن كانت قد انتقلت الى الشعوب المجاورة لأسبقيتها التاريخية الزمنية، فإن اللغة السومرية لم تنتقل، ونحن هنا نؤكد على ماسبق وشرحناه من رؤية تاريخية شاملة بدأت بإنتشار مبكر استيطان بشري حثيث لأسرة الشعوب القفقاسية التي لقبت بالشعوب الجبلية قادمة ومتقدمة من الشمال الى الجنوب وصولاً الى مصاطب الأنهار والسهول الخصيبة التي غدت هدفاً لاستيطان وهجرات الشعوب من مواطن الرعي الجنوبية الشمالية الصحارى والبوادي والسهوب كما سبق شرحه في الفصل الأول، ونحن هنا أمام تشابه انتربولوجي أركولوجي ليتولوجي متكامل الصورة أي تشابه البنية الجسدية مقاييس الجمجمة، وتشابه الآثار واللقيات والصناعة الفخارية والتعدينية المبكرة، وكذلك الفكر الديني والميتولوجيا إضافة الى ما بحثناه من نمط لغوي واحده (لغات حرفية مقطعية ووصفية) ووحدة لغوية كاملة في حروف واصوات ومعاني اللغة السومرية ولغات شمال القفقاس الغربي (يرجى الرجوع الى ابجدية وحروف اللغة الشركسية الآديغية ومعانيها ورؤية موافقتها التامة للمعاني الواردة في الترجمات السومرية انظر الهامش رقم) ٤ .

من هم السومريون

يبدو لنا أن اللغة السومرية يمكن تشبه أكثر ما تشبه تلك اللغة الشركسية الأم القديمة لشعوب شمال القفقاس قبل تمايزها اللهجوي واللغوي، وذلك بإجراء القليل من التحليل الى الجذور (الحروف) والمقاطع التي تتركب منها الكلمات، ويمكن أن نذكر هنا أنه يمكن لباقي لغات القفقاس الشمالي (الشنانية ـ الأبخازية ـ الأوبخ) وغيرها أن تعطي نفس النتائج من منطلق أصلها القديم المشترك، كما يمكن لمقطع لم نجده بإحدى هذه اللغات أو اللهجات أن نجده في الأخرى.

اعتقد أن ماسبق يبرر لنا القول أن السومريين شعب معروف جيداً كما رأيناه في إشارات المؤرخين، ولايجوز لنا إدعاء انكاره وعدم الإهتمام بإنتمائه الإثني لمجرد أن لغته مقطعية وليست في عداد اللغات الإشتقاقية المعروفة والمنتشرة اليوم ، وإنه جاء من القفقاس ومن أسرة الشعوب القفقاسية الأصلية، ويمتون بصلة اثنية قوية لايشوبها ادنى شك الى الآديغة الذين تمت المقارنة بلغتهم، ولا اعتقد أن عدم انتشار وعدم شهرة وسيادة اللغات القفقاسية وانحسارها الحاصل في عصرنا الحاضر يبرر إهمال أو إنكار بعض كبار المؤرخين لأرومة وأصل الشعب السومري.

إنهم بالتالي هجرة جاءت من القفقاس، سواء جاؤوا بلاد الرافدين مباشرة أو عن طريق محطات استراحة في الأناضول أو شمال ايران أو مع بدء انتشار هذه الشعوب منذ بداية النيوليت طالت المدة او قصرت حتى وصولهم وظهورهم كشعب راسخ البنيان عريق الحضارة في فجر التاريخ وماقبل ذلك في جنوب العراق وإننا نعيد التأكيد بأن هذه الحركة كانت استيطاناً بشرياً بطيئاً أكثر منها هجرات بالمعنى المعروف للهجرة والتي قامت بها الشعوب الرعوية بعد ذلك بزمن طويل.

متى استوطن السومريون جنوب العراق

لاشك في أن هذا الاستيطان قد حدث، ولكن لايمكننا معرفة فيما إذا كانت هجرة مباشرة، أم أنها بدأت مع الانتشار والاستيطان لشعوب الاسرة القفقاسية، والتي تظهر بوادره منذ النيوليت وربما قبل ذلك، وفي جميع الأحوال وإذا ما اعتمدنا على المعطيات اللغوية والميتولوجيا الدينية واسماء الآلهة وغيرها، بحيث نعتمد عليها في تحديد زمن محتمل لتلك الهجرة بدءاً من هجرة الأسماء المشتركة للآلهة القدامى الأوائل والتي يمكن الاستنتاج بأنها جاءت معهم من القفقاس الشمالي وأهم هذه الأسماء التي اشترك بها السومريون والشركس الآديغة هي حرف النون اسم الإله الأم الكبرى، كما اشتركوا في الانقلاب الى عبادة إله السماء بدليل اسمهم الذي غدا (الأنت) وبدليل إشتراك الشعبين بتسمية إله المزروعات (انتن) وإله تربية الماشية (إيميش)، وكذلك اشتركا في بعض التسميات الأخرى من آلهة الطبيعة ش (نانا ـ وَوَ ـ دد ـ وشكه ـ ت اشيكور .. الخ) وبعد هذه التسميات التي تؤرخ لنا مابعد تربية الماشية والزراعة والانقلاب الى الأسرة الابوية وعبادة اله السماء المذكر (آن) وانتشار الدفن المثني مع رفع اليدين الى الوجه بإتجاه الشمس والمفرة الحمراء، أي العصر (الحجري النحاسي) وهذا التاريخ يتوافق على مايؤكده المؤرخون الذين يستندون الى النقلة النوعية في صناعة النحاس التي حدثت في جنوب الرافدين ليحددوا زمن قدوم السومريين إنه وبعد هذا

التاريخ ينعدم التشابه في أسماء الآلهة وباقي التسميات فكل طرف وبعد أن حدث التباعد يركب اسماء مختلفة في مقاطعها وفي ترتيبها عن الطرف الآخر، ومثالنا على ذلك أن شراكسة الكوبان الآديغة يستعملون للسماء كلمة (وَ + شار) في حيث يستعمل السومريون (أن + شار)، أي أن المقطع الأول غدا مختلفاً فالأديغية استخدموا حرف وَ: دلالة الكون (سبق شرحها) بينما حافظ السومريون على مقطع أن: إله السماء وكلتا الكلمتين مفهومتين، وإن هذا ناجم عن التباعد الجغرافي وقد بدأ يتوضح بشكل تباعد لهجوي يؤدي في النهاية الى نشوء اللغات مع بقاء الفهم المشترك بشيء بسيط من التحليل، وبإعتقادنا أن هذا المؤشر اللغوي الذي لم يشر اليه المؤرخون يتوافق زمنياً مع الفترة التي حددوها استناداً الى النقلة النوعية التي حدثت اثر قدومهم وهي لا تقل أهمية عنها، وإن الفترة مابين اواخر العصر الحجري النحاسي وعصر البرونز المبكر هي الفترة الأكثر احتمالاً لوصول السومريين الى جنوب بلاد الرافدين.

وفي جميع الأحوال فإننا نعتقد أن سدة الشرف التي يتبواها السومريون في سلم حضارة الانسان ستبقى عصية بسبب من خصوصية لغتهم، ثم إنه لايعيب الأمم أن لاتكون سومرية الأصول، ولايعيبها إذا لم تشارك في احدى مراحل عصور ما قبل تاريخ حضارة الانسان والتي هي ثوب عظيم شـاركت في صنعه كل الشعـوب والامم في مرحلـة ما وحسب ظروفها البيئوية وتركت بصماتها عليه والتي هي ثوب مشترك للجميع يجب أن يدرس بعناية ويعطى لكل ذي حق حقه.

١ ـ هناك ثلاث أراء حولالأصل السومري بعض العلماء لايستطيعون نسبتهم الى اية اسرة بشرية من الشعوب السائدة المعروفة لغاتها اليوم ورأي آخر ينسب لغتهم الى مجموعة لغات اورال الطاي ورأي ثالث ينسبهم الى القفقاس استناداً الى التعدين كما شرحنا دون التطرق الى اللغة هذه هي آراء العلماء حول الموضوع

٢ ـ في اللغات المقطعية الجمعية تبدأ الكلمة فيها من الحرف الذي يكون له معنى لوحده ولكل حرف عدة معاني حسب درجة لفظه وحركته وقد تبلغ ٦ معاني (وهي الصعوبة التي يعاني منها قراء السومريات) وإن جمع حرفين لبعضهما يعطي معنـى وصفيـاً لكلمة جديدة (مقطع) وهكذا تجمع الحروف والمقاطع لتشكل معاني وصفية جديدة سبق شرحها.

٣ ـ تكثر المعادن في مناطق الجبال حيث الالتواءات والكسور والفوالق وتكشفات الصخور القديمة فقد عرف النحاس في الأناضول منذ الألف الثامن وفي القفقاس في منتصف الألف السادس .

٤ ـ يرجى الرجوع الى كتاب المفكر السوري فراس السواح الذي اسماه مغامرة العقل الاولى) الذي يبحث في أثر سومر في ميتولوجيا الحضارات التالية وأساطيرها (الآكادية - البابلية ـ الكنعانية ـ التوراتية ـ وانحاء سورية والعالم .

٥ ـ يقول الاستاذ فراس السواح:لم تمض فترة طويلة على ترسيخ مجتمع المدينة في سومر حتى أخذ هذا النموذج بالانتشار بأسرع من سابقيه وكانت مصر من تبنى هذاالنموذجلم سورية ثم آسيا الصغرى ثم كريت ثم وادي السند ٢٥٠٠ ق.م ومن كريت انتقلت ثقافة المدينة إلى البر اليوناني إننا إذ نوافق المفكر السوري فيما ذهب اليه نتساءل فيما يتعلق بحضارة الحاليين القدماء في آسيا الصغرى وعيلام والاورارتيين القدماء الذين بنوا حضاراتهم الخاصة شديدة الشبه بالحضارة السومرية من منطلق الأصل والمفاهيم الواحدة لدى هذه الشعوب منذ بداية العصر الحجري الحديث بدون ان نذكر السبق والظهور السومري.

٦ ـ يقول الاستاذ محمد وحيد خياطة عن مدينة ايبلا أخيراً استقر الرأي على نسبة هذه اللغة الى المدينة (ولم يذكرلنا مختلف الأراء حول هذا الاتفاق) فصارت تعرف باللغة الايبلائية وقد استعار سكان ايبلا الكتابة المسمارية من السومريين وكثيراًمن الفاظهم حتى باتت لغة التدوين الرسمية وتشكل ٨٠٪ من مفرداتها في حين اقتصرت اللغة المحلية على ٢٠٪..

وإنني أرى أنه لا توجد في العالم لغة تحتوي أكثر من ٨٠٪ من أصولها ومن هذا المنطلق نتساءل لماذا لم تسمى تلك اللغة باللغة السومرية وماهو المبرر الحقيقي لتسميتها بالإيبلائية؟

٧ ـ حروف اللغات السامية واللغات الهندواوربية تتجاوز العشرين حرفاً بقليل اما حروف اللغات المقطعية فتتجاوز الخمسين حرفاً. ويبقى السؤال كيف يمكن كتابة اللغات المقطعية بالحروف اللاتينية او العربية؟

٨ ـ يرجى الرجوع الى كتاب (كنوز الاعماق) قراءة في ملحمة جلجامش تأليف المفكر السوري فراس السواح حيث يورد ٧ قراءات لنص واحد في الملحمة واننا لم نجد أية قراءة تشبه

الأخرى بنسبة أكثر من ٥٠٪ وهي قراءات السادة (طه باقر ـ سبنسر ـ جاكوبسن ـ دياكونوف ـ غاردنر ـ سامي سعيد الأحمد ـ فراس السواح لاشك ان هذا يعود الى تشوهات في الرقيم ولكن فيه كثير من الإجتهاد هذا في النص فكيف كان سيكون الحال في النص السومري وماذا يمكن ان نستنتج من اختلاف القراءات بهذه الدرجة

٩ ـ الرأس المتطاول هو نموذج شعوب شمال القفقاس (رأس طويل شمالي) أما مايرى في التماثيل الموصوف بالرأس العريض المستدير والأنف المعقوف وهو النموذج الجبلي ايضاًالشمال قفقاسي.

١٠ ـ إن آخر المعلومات تفيد أن السومريين كانت لديهم عدة لهجات وبالتالي يمكن الافتراض انهم كانوا عدة قبائل كما هي حال قبائل وشعوب شمال القفقاس التي بدأ تشكلها منذ الحجري الحديث ارجع الى مباحث العصور الحجرية في هذا الكتاب.

١١ـ كتاب اللغات القفقاسية تأليف نهادبرزج:اللغات القفقاسية هي التي يتحدث بها أبناء شعوب القفقاس الأصليين وهي لغات غير مرتبطة بأي مجموعة أخرى لقد استخدمت اللغات القفقاسية قراءة وكتابة منذ أربعة آلاف عام وحتى ميلاد المسيح في مناطق آسيا الصغرى و شرق البحر الابيض المتوسط ومنها اللغات (الحاثيـــة ـ السومريـــــة ـ الفامية ـ العيلامية ـ لغة الخالدي (اورارتو) لغة الكاريا ـ لغة الألاشيا ـ للغة اليبرية ولغة هاجوانا المستخدمة في منطقة هونزا على سفوح جبال هيمالايا ولغة الباسك في جبال البيرنة وتنقسم هذه اللغات الى مجموعتين ١ ـ لغات شمال القفقاس ، ٢ ـ لغات جنوب القفقاس

١٢ ـ كتاب طقوس الزواج المقدس ترجمة فراس السواح ص١٤

١٣ ـ كتاب الذاكرة الأولى

١٤ ـ كتاب اقدم الحضارات في الشرق الأدنى ترجمة محمد طلب

١٥ ـ اضخم موقع الري يعود الى العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى مستوطنة بلغت مساحتها ٣٢ فدان وتعود الى ٦٥٠٠ ـ ٦٦٥٠ ق.م وقد اعتبرت منطقة الأناضول انها موطن الحاثيين القدماء والكاسك إلى زمن يعود إلى العصر الحجري النحاسي ولا يعلم إلى زمن اقدم من ذلك لذلك اعتبرهم العلماء انهم نشأووا في المكان الجغرافي الأناضول مع امتداد على الساحل الشرقي للبحر الأسود وصولاًالى شمال القفقاس وحوض القوبان وربما ابعد من ذلك شمالاًولا يخفى على ا لقارىء الكريم العلاقة الاثنية بين الحاثيين والكاسك وسكان الجزء الشمالي الغربي مجموعة (آدغه اتجازويخ).

١٦ ـ اريحه ب حضارة حوالي الألف السابعة ق.م لم تعرف الفخار وهي من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار وشمال وادي الأردن ويمكن أن نجد أن زمن وصول القادمين الجدد من الشمال موافقاً لانقطاع التقاليد التطوفية وتقاليد بناء الغرف فيما وراء هـ الأناضول.

١٧ ـ تل حلف تقع شمال سورية قرب رأس العين وجدت فيه البعثة الاعلامية الالمانية فخاراً مميزاً يعود إلى (٤٩٠٠ ـ ٤٣٠٠) ووجدت بعثة بريطانية في العربية قرب الموصل آثاراً كثيرة وفخاراً

يعود إلى دور حلف وكذلك وجدت بعثة أمريكية في تبة كوره في الموصل آثاراً مماثلة.

١٨ ـ دور جرمو قرب كركوك وقد نقبت فيه بعثة من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ١٩٤٨ وهي مستوطنة قديمة للعصر الحجري الحديث يعود تاريخها إلى ٦٢٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م وقد دجن سكانها الحيوان ومارسوا الزراعة البدائية وكانت لديهم معتقدات كعبادة للأم.

١٩ ـ إن هذا يوافق ما ذهبنا إليه في الفصل الأول من أمر انتشار الشعوب القفقاسية الأصلية حتى فجر التاريخ باتجاه الجنوب والقوس الحضاري وجنوب الرافدين ومواقع في ساحل وداخل بلاد الشام .

٢٠ ـ كتاب أصل الشركس ترجمة فؤاد دوغوظ

٢١ ـ الكورغان هو بناء قبري تحت الأرض ويقسم إلى غرف دفنت فيه الجثث وفوقها كومة عالية من التراب تصل أحياناً أكثر من ١٠م

٢٢ ـ مدخل تاريخ الشركس

٢٣ ـ كتاب قواعد اللغة السومرية دكتور فوزي الرشيد صفحة ٢٧ : الشعب السومري إن أقدم الأقوام التي سكنت أرض الرافدين وورد ذكرها في الكتابات القديمة هم السومريون وما يخص حقيقة وأصل هذا الشعب فإن عدداً من الباحثين يعتقدون أن السومريين هاجروا إلى العراق من منطقة غير معروفة إلا أننا نعتقد بأنهم سكان الأقسام الشمالية من العراق جاؤوا إلى القسم الجنوبي على شكل جماعات مهاجرة (حلف ــسمراء) ومهما يكن من أمر فإن ما يمكن قوله هو أن السومريين مهما يكن أصلهم فهم الذين شادوا حضارة العراق القديم وهم الذين ابتكروا الكتابة (٣٠٠٠ ـ ٣١٠٠ ق.م) وفي حدود عام ٢٦٠٠ بدأنا نلمس هجرة الأكاديين وأدت هجرتهم هذه إلى تراجع وتمركز السومريين في الأقسام الجنوبية وبعض الأقسام الوسطى من العراق واقتصرت سكناهم على المدن أما بقية أنحاء العراق فقد خضعت للتأثيرات السامية الأكادية وفي عام ١٩٠٠ ق.م انتهى السومريون كشعب في العراق واضمحل بسبب تزايد الساميين كما أن لغتهم لم تعد بعد هذا التاريخ لغة تخاطب يومية ولكنها اقتصرت على الاستعمالات الدينية والفلكية حتى ميلاد المسيح.

٢٤ ـ أسماء مثل جلجامش السومري أوليكومي الحاثي وساوسرقه الشركسي .

٢٥ ـ يرجى الرجوع إلى مقدمة ودراسة بقلم ممدوح قوموق كتاب ملاحم نارت الشركسية

٢٦ ـ الحداد (غ ـ جه) أما إله الحديد الشركسي فاسمه (تلبش) وهو أقدم بألف عام من مثيله اليوناني (يرجع إلى كتاب تاريخ القفقاس الشمالي ب ب بتروفسكي ـ كتاب اليونان وول ديورانت

٢٧ ـ إرجع إلى الأساطير السومرية التي تتحدث عن النزول تحت الأرض حيث عالم الأموات لنزول (إنانا ـ موت انكيدو...)

٢٨ ـ يرجى الرجوع إلى كتاب العصور القديمة ـ تأليف جيمس هنري برستد ــتعريب داوود قربان صفحة ٧٨ أما كيفية بناء هذه القبور فكانوا يحفرون حفرة عميقة ثم يشيدون في قعرها غرفة

من الآجر يدفنون فيها جثمان الملك وجثث حرسه الخاص وكشف الاثريون خارج الغرفة جثث ستين شخصاً مابين رجال ونساء ضحي بهم يوم وفاة الملك لكي يرافقوه إلى العالم الثاني ووجد الأثريون مركبتين من الخشب مشدود إلى كل منها ثلاثة ثيران وعند رؤوسها سواسها وسائقها وكان مطروحاً هناك أيضاً عدد من جثث حرم الملك بحليهن الكاملة وعلى مقربة منهن جماعة من الخدم ووجد في تلك القبور أشياء مدهشة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة وفيها جميعها اتقان الصنعـــة وسمو الذوق وقـــد فتحت مدينة أور فصلاً جديداً من تاريخ عمران آسيا الغربية لم يخطر على بال أحد . (قارن هذا بكورغان مايكوب) .

٢٩ ـ دراسات في حضارات غرب آسيا سبق ذكره صفحة ٦٣ : حول ديمقراطية هذه المجتمعات (أما المواد الاستهلاكية الأخرى المستوردة فكانت توزع بالمساواة على أفراد المجتمع ورافق هذه المساواة الاقتصادية قيام السلطة الموجهة على أسس ديمقراطية وكان الموظفون ينتخبون من بين أفراد الشعب وكان شن الحرب خاضعاً أيضاً لاتخاذ قرار جماعي ديمقراطي (نص في ملحمة جلجامش).

٣٠ ـ يرجى الرجوع إلى كتاب أورارتو ، تأليف ريمي شنايدر ، ترجمة الاستاذ محمد وحيد خياطة .

٣١ ـ يرجى الرجوع إلى كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا سبق ذكره

٣٢ ـ يرجى الرجوع إلى كتاب المماليك ـ تأليف الباز العريني

٣٣ ـ يرجى الرجوع إلى الكتاب احتلال القفقاس سبق ذكره

٣٤ ـ يمكن أن نسوق أمثلة عظيمة ورائعة على قوة الدافع الذاتي والشعور بالمسؤولية لدى هذه الشعوب بأن نروي قصة البطل (سلطان قلج كراي) والذي يجب أن يلقى التكريم الذي يستحقه والتي حالت الظروف السياسية : كان سلطان قائداً للقوات الشركسية التي حاربت البلاشفة عن قضائهم على الجمهورية الأولى وإعادة احتلال القفقاس للمرة الثانية ، وقد تمكن من مغادرة البلاد وكان يعيش في ألمانيا وقد حصل على الجنسية الألمانية ، وفي الحرب العالمية الثانية عاد إلى القفقاس وتولي النضال ضد روسيا ، ثم غادر مرة ثانية إلى ألمانيا بعد انتصار روسيا والحلفاء ، وعنـــدما تم تسليم القفقاسيين الذين حـــــاربوا مع الألمان لتحرير بلادهم من روسيا لاعدامهم ، صـــدر عفو عن سلـطان باعتباره يحمل الجنسية الألمانية منذ عام ١٩٢١ ويمكن اعتباره بموجب هذه الجنسية خارج نطـــــاق التابعية الروسية المطلوب من الحلفاء تسليمهم للروس ، وعندما عرض عليه الحلفاء أمر الاستثناء رفض قائلاً : (إنه يفضل الموت مع جنوده الذين حاربوا معه) فجرى تسليمه وقد أعدمه الروس ، ونحن لم نسمع في التاريخ العسكري لشعوب العالم ما يوازي هذه الحادثـــة نبـــلاً ووفـــاء من رئيس تجاه مرؤوسيه ومما قاله جواباً على أمر الاستثناء : (لقد استشهد آبائي وأجدادي في ميادين الكرامة القومية ، أما رفاقي هؤلاء فقد شاركو في السراء والضراء لنفس الغاية التي هدفت إليها ، فتقاسمنا شرف الحفاظ على محارم وطننا المقدس ، والآن لست بمنفرد عنهم ، ساشاركهم مصيرهم المحتوم ، واشترك معهم في فاجعتهم الأخيرة ، بل سأكون في مقدمتهم إلى جلادينا الذين

تريدون أن تسوقونا إليهم ، إنني لن أترك شرف قيادتهم إلى المصير النهائي لغيري...)

٣٥ ـ نؤكد على الطبيعة الوصفية لهذه اللغة وجميع كلماتها عند تحليلها إلى مقاطعها نجدها تصف الكلمة وصفاً دقيقاً ، وكل كلمة مخالفة لهذه القاعدة تكون دخيلة على اللغة . لذلك لا تمتزج الكلمات الدخيلة بمثل هذه اللغات مهما مر عليها من زمن بعكس اللغات الاشتقاقية

٣٦ ـ كل أسماء الآلهة السومرية جرت مراجعتها بموجب معجم الأساطير تأليف ماكس شوبيرو وروذا هندريكس.

٣٧ ـ (و) حرف في معناه المياه الأولى للكون والكلمة (نمو) حرفياً تعني (ماء الأم الدافق) (انفجار ماء الولادة وكأن ولادة الكون تمت بضربة مفاجئة (وَ) تعني كفعل الضرب المفاجىء .

٣٨ ـ ورد إسم (أبيش وانتن) في كتاب مغامرة العقل الأولى سبق ذكره صفحة ٢٦٣ وكذلك ورد في كتاب ملاحم نارت الشركسية سبق ذكره صفحة ٧٨ وكذلك ورد اسمها في كتاب معجم الاساطير أما (وشكه ـ إشيكور ـ واشوكاني) فكان مشتركاً أيضاً لدى كل شعوب الأسرة القفقاسية وكذلك (نان بسخة ـ) حورية الماء والبحر والتي ما زال اسمها على هذه الصورة في حكايا الأطفال باللغة الشركسية إلى يومنا هذا.

٣٩ ـ نحيل القارىء الكريم إلى دراسات متخصصة للباحث (منذر بج) وكتابه القيم الذي صدر مؤخراً بعنوان (الأصول الشركسية في اللغة السومرية) .

إن جميع العبارات والجمل التي اشير إليها بالهامش ٣٩ أخذت كتابتها اللاتينية ومعانيها السومرية من الكتاب القيم السابق الذكر حصراً .
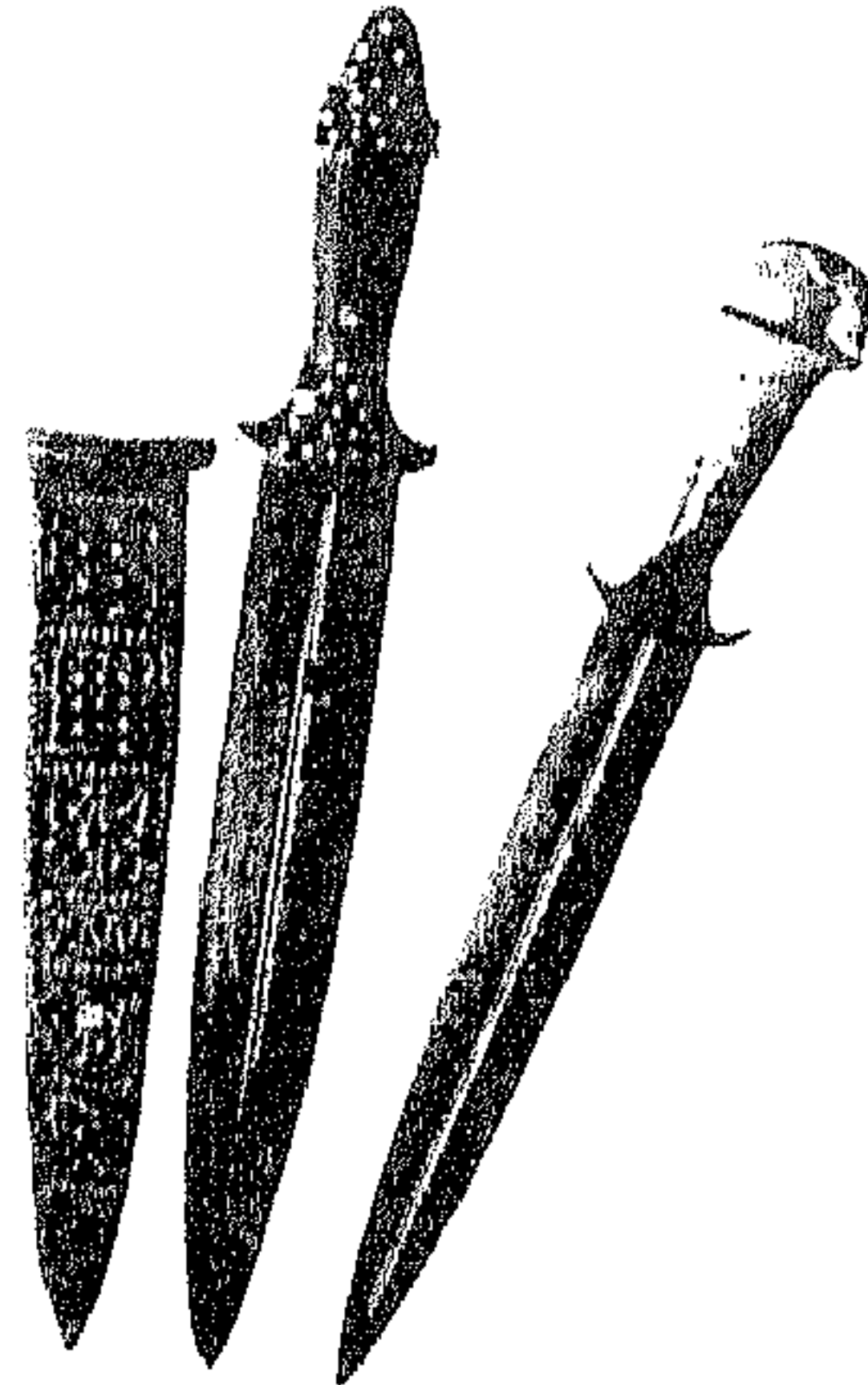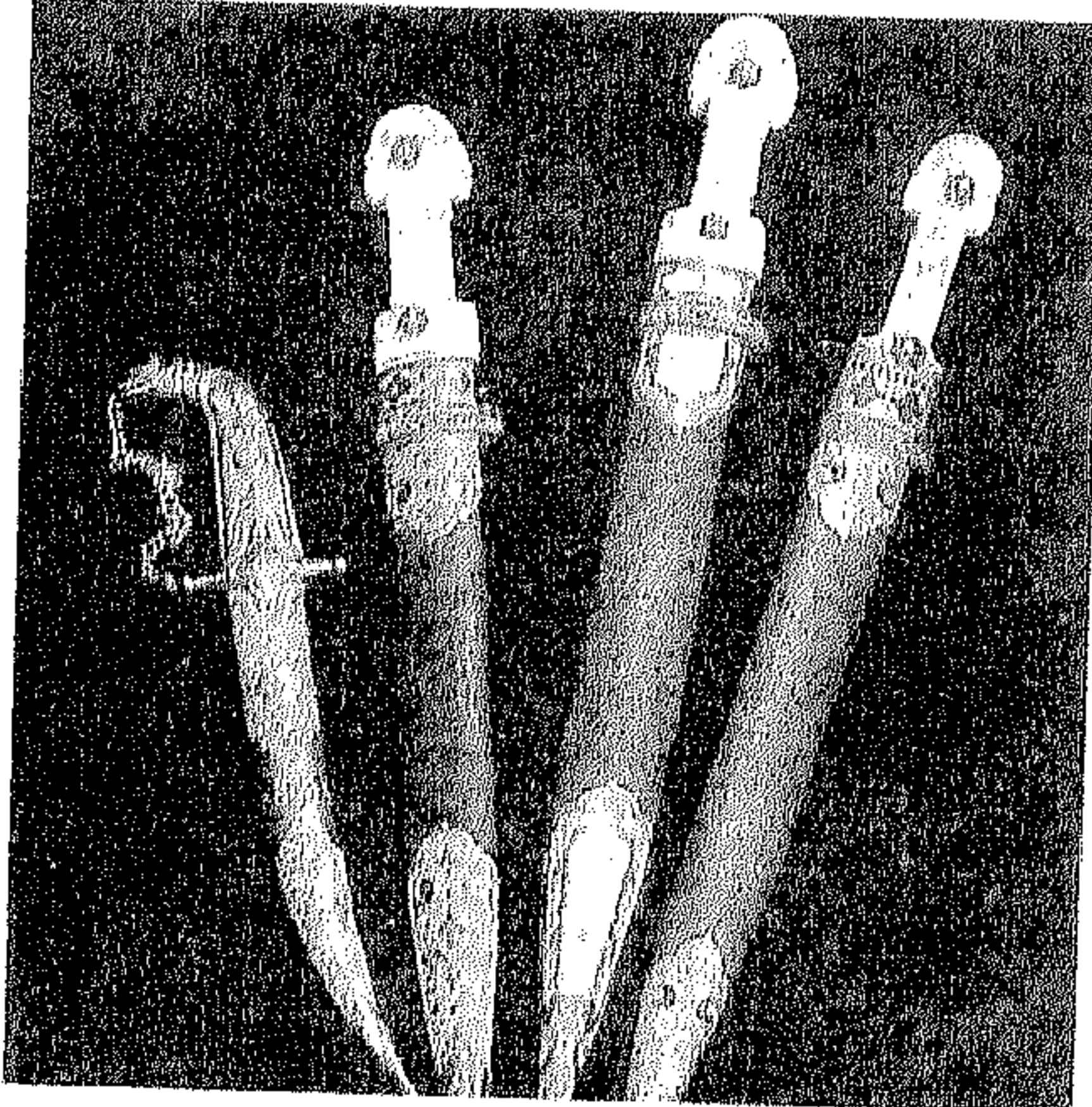
(شكل ١٢٤) خناجر ذهبية بعضها مشغول والآخر مرصع. عثر عليها في مقابر ملوك مدينة «أور» النصف الأول من الألف الثالث ق . م . « متحف بغداد »

قارن بين سلاح القاما السومري وسلاح القاما الشركسي

معاني الحروف الشركسية

تسلسل	الحروف الشركسية	لاتيني	عربي	دراسة معاني حروف اللغة الشركسية ـ أديغه ـ ومقارنتها بمعاني الحروف السومرية كما وردت في ترجمات وأعمال علماء السومريات
١	A	A	آ	حرف صوتي يلفظ ـ آ ـ هو ألف بدون همزة ويأخذ معاني عديدة جداً في اللغة الشركسية وتفهم من سياق العبارة حسب ورودها . ومن هذه المعاني ورودها بمعنى أداة النداء ـ يا ـ أمام الاسم النكرة ،وبمعنى اسم إشارة ـ ذلك تلك ـ أمام الإسم المعرفة . وبمعنى واو الجماعة ، وبمعنى الجار والمجرور ـ معهم ـ لهم ـ عندهم ..، وبمعنى أداة استفهام ـ هل ـ ماذا وغير ذلك مما يفهم من سياق العبارة ورد هذا الحرف بمعنى أداة النداء ـ يا ـ في اسم إله السماء عند السومريين آن ـ AN ، A بمعنى يا N بمعنى الأم (التحول من عبادة الأم إلى آلهة الطبيعة .

	Б	B	بَ	حرف يعني ـ كثير ـ
			بِ	حرف لم يتوضح لي معناه منفرداً لذلك تلجأ إلى استنتاج معناه من العبارات الكثيرة التي وردت فيهما بمعنى ـ الانحناء ـ الاعوجاج الشديد لدرجة السقوط
	В	V	فَ	هذا الحرف موجود في لهجة القبرطاي ويعني فعل الأمر ـ أحرث ـ كما يعني فعل الأمر ـ إنسلق ـ إغلِ ـ . ويقابله بلهجة الكوبان حرف أو صوت ـ ـ
			فِ	يعني ـ ثور ـ بلهجة القبرطاي ويقابله حرف وصوت ـ ـ بلهجة الكوبان . وقد جاءت بهذا المعنى في العديد من النصوص السومرية وكتبت بالحروف اللاتينية على النحو التالي ـ GU4 ـ بمعنى ثور . و GU4 ـ Ab بمعنى الثور الأولي البدئي . وهي تأخذ نفس المعنى باللغة الشركسية GU4 ثور و Ab أو Ap بمعنى الأول والبدء . ولا زال الاسم موجوداً في اسماء بعض العائلات الشركسية مثل عائلة . بج ـ بمعنى / الثور الأول البدئي / وعائلة ـ أنجوق ـ بمعنى ابن ثور السماء باللغة الشركسية مما يتوافق مع الأسطورة السومرية وغضب / انانا / من / جلجامش / فطلبت من أبيها إرسال الثور فأرسل لها ثور السماء لينتقم لها ولكن أنكيدو صرعه . لاحظ معاني المقاطع والحروف باللغة الشركسية انجوق أن + ج + ق . آن اسم إله السماء والسماء . ج بمعنى الثور . ق بمعنى إبن ومعنى الكلمة ـ ابن ثور السماء .
	Г	G	غَ	يصوت هذا الحرف ما بين حرف الغين العربية والجيم باللهجة المصرية ويعني الخصية
			غِ	لم يتوضح معناه منفرداً ويمكن أن يستنتج من العبارات التي وردت فيها ـ البارود ـ الخصر ..
	Гу	G	جَ	جيم مصرية مع ضمه ثم فتحه على النحو التالي غوَ وتعني ـ إهرس

٣٩

٣٩

جيم مصرية مع ضمه ثم كسره على النحو التالي غوِ وتعني ـ القلب ـ وقد وردت بهذا المعنى في الكثير من العبارات السومرية التي تستخدم بنفس اللفظ والمعنى باللغة الشركسية ومنها عبارة Sa - G وقد فهمها علماء السومريات بمعنى الأرض . ومعناها كذلك الأرض باللغة الشركسية ويمكن تحليلها على النحو التالي إن المقطع الأول Sa يعني الأرض و G تعني القلب ومجاز الوسط فالعبارة تعني بعد تحليلها قلب الأرض أو وسطها وصارت اسم علم يطلق على الأرض ويفهم منها معنى الأرض باللغة الشركسية وهذا الأسلوب الوصفي هو اسلوب هذه اللغات في اشتقاق اسماء العلم .				
الغين العربية مفتوحة وتعني ـ عام ، سنة	غَ	G	Гъ	
الغين العربية مكسورة وتعني فعل الأمر ـ إبكِ ـ	غِ			
الغين العربية مضموم بفتحة وتعني اليباس والجفاف فهي كل شيء جاف يابس ولونه أصفر لذلك دخلت جذراً في اسماء المعادن النحاس القصدير الحديد	غوَ	G	Гъу	
فعل أمر بمعنى ـ إيبس ـ	غوِ			
فعل أمر بمعنى ـ إقبل وافق إرض . كما تأتي كإسم علم بمعنى الجوز وتأتي بمعنى جار ومجرور ـ معه ـ في أول الفعل مثل ـ لعب معه ـ	دَ	D	Д	
فعل أمر بمعنى ـ خاط يخيط خط الثوب ـ كما تأتي بمعنى جار ومجرور ـ معه ـ خرج معه ـ	دِ			
حرف مدغم بين حرفي الدال والجيم ويعني فعل الأمر إصرخ ـ ناد	دجَ	DJ	Дж	
حرف مدغم بين حرفي الدال والجيم ويعني فعل الأمر ـ إقرأ ـ واغزل الصوف	دجِ			

حرف مدغم بين حرفي الدال والزاي وهو اسم علم بمعنى ـ الجيش	دزَ	DZ	Дз	
حرف مدغم بين حرفي الدال والزاي وهو فعل أمر بمعنى ـ إرم ـ	دزِ			
حرف الياء بالفتحة وتأتي علامة الفعل المضارع يكتب يقرأ ـ وكذلك تأتي بمعنى ـ إما ـ أو ـ مثل إما أن تفعل كذا أو كذا ـ	يَ		E	
الياء بالكسرة تكتب حرفاً آخر وبصورة أخرى أنظر N الحرف التالي ملاحظة :	يِ			
تلفظ ياء تحتها كسرة ، تأتي أول الكلمة وتفيد ضمير الملكية ـ ورد ذكرها في النصوص والكلمات السومرية على النحو التالي e - gal بمعنى بيته الكبير ، قصره الكبير وكذلك - e - a baku ذهب إلى مقره الكبير ـ معبده ـ وقد ترجم العلماء e بمعنى الكبير علماً أن gal هي القصر وتتضمن معنى الكبير وأما e فهو ضمير الملكية وسبب الخطأ هو عدم فهم دقائق اللغة السومرية والاكتفاء بترجمة عن الأكادية . إنها في هذه الأمثلة ضمير متصل يفيد معنى الملك .	يِ	I	И	
الياء المشددة بالكسرة تعني العدد ـ ٨ ـ	يِّ	I	Й	
الياء المشددة بالفتحة تعني الكارثة المصيبة الشر	يَّ			
حرف الجيم مخففة وتعني اسم علم ـ الفم ـ كما تعني عملية ـ الشوي أو القلي ـ	جَ	J	Ж	
حرف الجيم مخففة وتعني اسم علم ـ الريح ـ الوقت الباكر ـ	جِ			
حرف الجيم المفخمة وتعني ـ القيء من الفم ـ	جَ	J	Жь	

٣٩

حرف الجيم المفخمة بالكسرة تعني ـ القديم ، العتيق ـ وقد ورد ذكرها بنفس اللفظ والمعنى في العديد من العبارات السومرية نذكر منها . SUL - Gi اسم ملك سومري مؤلف من مقطعين SUL بمعنى شاب و Gi بمعنى العتيق القديم ويأخذ هنا المعنى المجازي الشاب العظيم وكما يقال شيخ الشباب . وجاءت بلهجة أخرى بنفس المعنى السابق Kala - G كما جاءت بمعنى العجوز المسنة وهي عبارة عن اسم علم تعني العجوز باللغة الشركسية واللغة السومرية وهي عبارة NU - es وتحلل على النحو التالي : NU تعني المرأة العجوز و es تعني العتيق والقديم وهي اسم علم للمرأة العجوز	جِ		
حرف الزاي العربية وتعني فعل الأمر ـ انتظر ـ حرف الزاي العربية المكسورة وتعني الرقم ـ واحد ـ وقد وردت في قانون أورنمو على النحو التالي ZIR - 1 - MENA بمعنى مناً واحداً والراء للتعريف .	زَ زِ	Z	3
هذا الحرف بلهجة القبرطاي فعل أمر بمعنى ـ إنكسر ـ يقابله بلهجة الكوبان ـ حرف بين التاء والشين هذا الحرف بلهجة القبرطاي بمعنى ـ غصن ـ يقابله بلهجة الكوبان حرف بين التاء والشين وقد ورد بهذا اللفظ والمعنى في العبارات السومرية التي تدل على البيوت والأكواخ المصنوعة من الأغصان	كَ كِ	K	K
الكاف المضمومة بفتحة وتعني اسم علم ـ الفخذ ـ اسم علم بمعنى ـ العربة ـ وتأتي بمعنى ـ الوسط ـ وردت في النصوص السومرية على النحو التالي - KUR GURENA كلمة أطلقت على المرفأ والمرسىء وهي تعني باللغة الشركسية المكان الذي ترسو فيه السفن (KUR عربات سفن) (Gurena المهجورة المتروكة)	كوَ كوِ	K	Ky

٣٩

حرف الكاف مقرباً للهمزة وتعني بلهجة القبرطاي - الذنب أو الذيل - وتلفظ بلهجة الكوبان جة بين الجيم والهمزة وتعني أيضاً - الذنب والذيل - وتأخذ معاني أخرى مثل - الجديد . البذرة - وقد وردت بمعنى الذنب في إسم إله النار عند السومريين GI - bil وتفهم باللغة الشركسية Gi : الذنب ، bil ملتصق به ومعنى العبارة ذو الذنب أي المذنب وقد اعتقد السومريون أن المذنب هو إله النار	كـَ	K	Kl	
فعل أمر بمعنى - إنم - وتلفظ بلهجة الكوبان جِءِ	كِءِ			
الحرف السابق الكاف المدغمة بالهمزة مضمومة بفتحة وتعني فعل الأمر - إذهب - وقد وردت في النصوص السومرية بهذا المعنى (الملك ذهب إلى قصره) - Lu - GEL - E - Galla - Ku4 - Ra وذلك حسب ترجمة علماء اللغة السومرية ولها نفس المعنى باللغة الشركسية على النحو التالي Lu - Gel : رجل الشعب وهو لقب ملوك سومر E - Galla وتعني قصره . Ku4 - Ra وتعني ذهب على أن تلفظ الراء غيناً لعدم وجود الغين في اللاتينية وإلا فتكون مصدرية بمعنى الذاهب	كوَ	K	Kly	
فعل أمر بمعنى إمشه تمشء به .	كوِ			
حرف القاف العربية بالفتحة وهي تعني إسم علم - القبر - وفعل أمر بمعنى ايبس اجمد أي أن تصبح جامداً بدون حركة	قَ	K	Kb	
حرف القاف العربية بالكسرة وهي تتضمن المعنى السابق فعل الأمر ايبس إجمد ...	قِ			
حرف القاف مضمومة بالفتحة وهي إسم علم يعني الابن - وإذا لفظت القاف مقربة لحرف الخاء فتعني - الخنزير -	قوَ	K	Kby	
فعل أمر بمعنى - إضرط - واسم بمعنى - مقبض -	قوِ			
حرف القاف قَ أو قه تلحق اسماء ملوك وآلهة شعوب الأسرة القفقاسية مثل الحوريين الأوورارتيين العيلاميين والهكسوس وكذلك				

٣٩

	Cyrillic	Latin	Arabic	
	Кхъ Кхъу	K K	قخ قخو	ترد في ميثولوجيا شمال القفقاس ـ ساو سرقه ـ وهذا الحرف يعني ابن فلان وهي تلحق أسماء العديد من العائلات الشركسية مثل أنجوق ـ تمروق ـ بردوق ـ نوغموق ـ صبجوق ـ كشوق ... هما الحرفان السابقان مدغمان بحرف الخاء في لهجة القبرطاي فقط .
	Л	L	لَ لِ	حرف اللام العربية بالفتحة تعني فعل أمر بمعنى ـ إدهن حرف اللام العربية بالكسرة تعني اسم علم ـ اللحم ـ
	Лl	L	لَ لِ	حرف اللام مفخمة: وربما هي مدغمة بالتاء فعل أمر بمعنى ـ مت ـ حرف اللام المفخمة بالكسرة اسم علم بمعنى ـ رجل ـ وقد وردت بهذا المعنى في كل النصوص السومرية Lu - GEL تعني رجل الشعب وهو لقب الملوك
	Лъ	L	لَ لِ	حرف اللام مهموزة بالفتحة بمعنى ـ القدم الخطوة القوة وفعل أمر إقفز حرف اللام مهموزة بالكسرة بمعنى ـ الدم ـ
	Mj	M	مَ مِ	حرف الميم العربية بالفتحة وهي اسم علم ـ الرائحة ـ حرف الميم مكسورة تأتي أول الأسماء بمعنى اسم اشارة ـ هذا ـ هذه ـ وحرف الميم بشكل عام يأخذ معاني كثيرة حسب وروده في العبارة وهي إذا جاءت ساكنة بعد الأسم تكون حرف جر بمعنى اللام ـ للبيت ـ ....
	Н	N	نَ نِ	حرف النون اسم بمعنى ـ العين ـ حرف النون بالكسرة بمعنى ـ الأم ـ وهي الحرف الذي دخل جذراً في تسميات آلهة الطبيعة التي تلت: عبادة الأم الكبرى عند السومريين ومن هذه التسميات (نم وَ) (آن) (أنانا) (آن ين) ... الخ.

حرف الواو العربية بالفتحة وتعني ـ الماء الكثير الدافق ـ وهو لذلك يأتي بمعنى الضربة واللطمة من صفة الماء الكثير ـ ويأتي بمعنى الضمير ـ أنت ـ إن معنى الماء الكثير لهذا الحرف هام جداً لدخوله جذراً في اسماء كل أنواع التهطال المطر الثلج البرد الندى الجفاف والسماء والرعد والبرق ويمكن استنتاج أنه اطلق على ماء لكون أو الكون وقد ورد ذكره بهذا المعنى في التسميات السومرية ـ (أن وَ) إله السماء ـ (نم وَ) اسم إله المياه الأولى والتي اسماها السومريون (آ ب س وَ) .... الخ آبه بسه وَ	وَ	O		
تأتي في أول الأفعال بمثابة تاء الفاعل الضمير المتصل ـ أكلت ـ لعبت ـ	وِ			
حرف بمعنى ـ الأنف ـ وهي تدل على مقدمة الشيء وبدايته وقد جاءت بهذا المعنى البداية في كلمة Ap - Sou الماء الأولي Ap - Gu4 الثور الأولي وفي عبارات ونصوص سومرية أخرى	بَ			
كثيرة كما في قوانين اورنمو قطع الانف : (gish - Pu) Tukum - bi - Lu - Lura	بِ			
حرف الـ P مدغوماً بالهمزة وهو اسم علم يعني ـ الفراش المهد ويأخذ معنى مجازياً مثل الموطن الأول وقد ورد هذا الحرف لدى السومريين بهذا المعنى في اسم مدينة ـ نيبور ـ المؤلفة من مقطعي N بمعنى الأم ، وبئو بمعنى المهد الموطن ، والراء R هي ال التعريف ويصبح معنى نيبور على هذا النحو الموطن الأول للأم أي موطن السومريين الأول الذين عبدو الأم الكبرى كما وردت بهذا المعنى في كثير من النصوص ومنها . ٣٩ Mu dNaNNa Nibour Kie - a - ba - KU4 بمعنى ـ السنة الإلهة نانا جلبت (السرير والفراش كتبت b لعدالإمكانية كتابة الصوت السومري الحقيقي بئه	بئ	P		
فعل أمر من (ربيء - يربي - رب)	بِ			
هذا الحرف هو ال التعريف عندما يلحق آخر الأسماء ساكناً وقد ورد بهذا المعنى في النصوص السومرية LU بمعنى رجل و LU	رَ	R		

R - بمعنى الرجل ويفيد معنى الجار والمجرور (به ـ عليه) إذا جاء بالفتحة في أول الفعل الماضي والمضارع ويأتي مكسوراً بهذا المعنى في أول فعل الامر	رِ			
هذا الحرف هو ضمير المتكلم ـ أنا ـ ، وتأتي بمعنى السكين	سَ	C	C	
هذا الحرف يعني فعل الأمر من (احترق يحترق احترق)	سِ			
هذا الحرف هو اسم علم بمعنى ـ الأب ـ وهو ضمير المتكلم الجمع ـ نحن ـ	تَ	T	T	
هذا الحرف هو فعل أمر من (أعطى يعطي أعط) وقد وردت بهذا المعنى في التسميات السومرية الشركسية المشتركة مثل إله الزراعة .. أنتن ـ آن : إله السماء . ت العطاء . ن النون مصدرية بمعنى عطاء إله السماء	تِ			
هذا الحرف بين التاء والطاء وهو اسم علم يعني ـ التيس ـ الكبش ـ ويعني أيضاً فعل الأمر ـ إحفر ـ واخذت في كثير من الأحيان معاني مجازية في العبارات السومرية احفر الأساس والبناء مثل MU - UNE - DU : بمعنى بني هذا البيت .	طتَ طتِ	T	TI	
هذا حرف الفاء بالفتحة بلهجة القبرطاي ويماثله حرف ch : شو بلهجة حوض الكوبان وهو اسم علم يعني الجلد باللغة الشركسية وقد ترجمه علماء اللغة السومرية بمعنى الجلد ولكن المعنى الدقيق للكلمة باللغة الشركسية لا تقتصر على معنى الجلد وإنما هي غلاف وسطح كل شيء وقد ورد إسماً للإلهين أخين من أبناء الإله آن وهما ANCHAR و KICHAR وهما إلهي السماء والأرض وإليك تحليل معاني الاسمين AN : إله السماء . Ki : الأرض . CHAR : تعني الجد وحرف الراء للتعريف	فَ	F	Ф	
الفاء بالكسرة أو CH بالكسرة تعني فعل أمر من (تعفن ـ يتعفن ـ تعفن) واسم علم من أنواع الحبوب بلهجة الكوبان .	فِ			

٣٩

الشرح	الحرف		الرمز
هو حرف الفاء مهموزاً وكذلك الشين شئة بلهجة الكوبان بمعنى - تدلل -	فـ	F	ФI
اسم بمعنى جيد - حسن	فـ		
الخاء العربية مخففة مقربة للهاء وهي فعل أمر بمعنى - إحصد -	خـ	X	X
الخاء مخففة بالكسرة وهي اسم علم بمعنى - البحر - والعدد - ٦ -	خِ		
الحرف السابق مضموماً بالفتحة خو وهي فعل أمر بمعنى ادحل واعجن	خـ	X	Xy
مضموماً بالكسرة خو بمعنى فعل أمر من (ساق - يسوق - سق أو قد)	خـ		
الحاء العربية بالفتحة وتعني - الكلب - الشعير - لماذا -	حـ	H	Xb
الحاء العربية بالكسرة فعل أمر بمعنى (أخذ - يأخذ - خذ)	حِ		
الخاء العربية بالفتحة بمعنى النسج	خَ	H	Xb
فعل أمر أنسج	خِ		
حرف الخاء مضموم مفتوحة وتعني فعل أمر - بدل - إرع	خوَ	H	Xby
حرف الخاء مضمومة مكسورة وتعني اسم بمعنى - الذكر -	خوِ		
هذا حرف السين مدغماً بالتاء ويعني - السن - بالفتحة ويعني الصوف بالكسرة	تسَ تسِ	TS	[illegible]
حرف السين مدغماً بالتاء والهمزة وتعني - الإسم -	تسئَ	SZ	[illegible]
حرف السين مدغماً بالتاء والهمزة وتعني فعل أمر - تغوط -	تسئِ		

	Ч	TCH	تشَ	حرف مدغم بين الشين والتاء بالفتحة ويعني فعل أمر (انكسر ينكسر انكسر)
			تشِ	حرف مدغم بين الشين والتاء بالكسرة وتعني اسم علم بلهجة الكوبان - الغصن -
	Ш	CH	شَ	حرف الشين العربية بالفتحة وتعني الحليب - وفعل (باع - يبيع - بع)
			شِ	كما تعني فعل الأمر (صاد - يصيد - صد) و (ساق - يسوق - سق) كما تعني الرقم مئة ١٠٠ - وتعني أيضاً الرصاصة والشين بالكسرة تعني - الحصان - وتعني الرقم ٣ وبمعنى أخ
	Щ	CH	شَ	حرف بين الشين والصاد بالفتحة تعني - جديد ... وتعني فعل أمر إعمل
			شِ	حرف بين الشين والصاد بالكسرة وتعني الأرض
	Ы			الكسرة
	Ъ			حرف تضخيم
	Ь			حرف تخفيف
	Є			الفتحة
	I		عَ	همزة بالفتحة وهي اسم علم يعني - اليد - وردت بهذا المعنى في العبارات والنصوص السومرية .
	Iу		عُ	همزة مضمومة وهي اسم علم يعني - الحلق -
	Ю		يو	حرف دخيل You بمعنى ضمير الغائب ضمير الغائب المفرد هو - هي
	Я		يا	بمعنى ضمير الغائب الجمع هم لغير العاقل .

تحليل إسم ١٢ إله تبدأ جذر (نِ : الالهة الأم الكبرى ـــ أن إله السماء ـــ تانا الإله الجده أو إله القمر ا و ١٢ إله لا على التعيين و ١٢ إسم علم لا على التعيين

التحليل إلى مقاطع ومعنى الكلمة السومرية باللغة الآديغية الشركسية ومطابقتها لفظاً ومعنى

م	الكلمة السومرية	مقطعياً	معنى الكلمة السومرية	الجذر	معنى الجذر	المقطع الثاني	معنى المقطع	معنى الكلمة باللغة الآديغية
١	نِمّوَ	نِ + مّ +وَ	إله الماء الكثير البدئي	نِ	الالهة الام الكبرى	وَ	الماء الغزير ـ الكون	إله للماء البدئي الكثير + إله الكون = إله العماء الأزلي
٢	آن	آ + ن	إله السماء	نِ	= = =	آ	أداة نداء	إله السماء للذكر ويبدو أنه كبير الآلهة أخذ اسم ن + أداة نداء
٣	تانا	نِ + نَ	إله القمر	نِ	= = =	نَ	العين	عين السماء أو عين إله السماء = أي القمر
٤	إنكي	إن + كي	إله المياه العذبة ـ الأرض	إن / ين	الكبير العظيم ـ الاله	كي ـ كِ	الأرض	إله الأرض
٥	إنليل	إن + ليل	إله الهواء	إن /ين	= = =	ليل	الخفيف المتناثر	الإله الخفيف المتناثر = أي إله الهواء
٦	أنونا	أن + ونا	مجمع بيوت الآلهة	أن	إله السماء ـ إله	ونا	مجمع ـ بيوت	بيوت أو مساكن أو مجمع الآلهة
٧	أنوناكي	أنونا + كي	آلهة المجمع السومري	انونا	بيوت مجمع الآلهة	كي ـ كِ	الأرض	آلهة المجمع (البانثيون السومري الذين يهتمون بشؤون الأرض
٨	أنين	آن + ين	كبيرة الكهنة في المعبد	آن	إله	ين ـ إن	كبير عظيم	كبيرة الكهنة التي تمثل كبير أو كبيرة الآلهة (لا تذكير ولا تأنيث في هذه اللغة)
٩	نانشيه	نان + شيه	إلهة الأحلام	نان	إلهة	شيه	النوم	إله النوم ربما كناية عن إلهة الاحلام
١٠	نانتي	نان + تي	حواء	نان	أم الأم أصلاً	تي	لنا ـ ملكنا	للتي جدتنا وهي بالتالي حواء
١١	نانشيبور	نان + شي + بور	إلهة فراش النوم	نان شي	إله + النوم	شي +بور	نوم + فراش	إله فراش النوم
١٢	أنشار	إن + شار	إله السماء	أن	إله السماء	شار	جلدوجه	إله وجه السماء أي إله السماء
١٢	كيشار	كي + شار	إله الأرض	كي كِ	أرض	شار	جلد وجه	وجه الأرض أي إله الأرض

١	جبيل	ج + بل	إله النار	ج	ذنب	بل	مشتعل ساخن	الذنب الساخن اسم علم أطلق على المذنبات التي ظنوها إله النار
٢	كلاب	ك + لاب	الأرض المقدسة	ك - كي	أرض	لاب	غالي ثمين مقدس	الأرض المقدسة
٣	لو جال	ل + جال	لقب الملوك - رجل الشعب	ل	رجل	جال - جيل	الشعب	رجل الشعب لقب تلقب به ملوك سومر دليل الديمقراطية
٤	ارشيكيجال ،	آر - شي - كي - جال	اسم الهة الدار الآخرة	آر - شي	هذه النائمة المقيمة	كي - جال	تحت الأرض	النائمة - المقيمة تحت الأرض وهناك كانت تقيم حسب الأساطير
٥	أفن	أ - فن	المحراث	أ	اليد	فن	السواقة القيادة	بمعنى الآلة التي تدفع وتساق باليد المحراث
٦	أثر	أ - ثيتر	الاله الذي رفع بالايدي إلى السماء	أ	يد وأيدي	إيتر	الواقفة تحته	الذي تسنده الأيدي من تحت - الذي ترفعه
٧	غجؤن	غج - أون	المسمار - الأزميل المعدني	عج	حديد	أون	يعلق لايمر	قطعة معدنية مثل المسمار الكبير كانت تثبت أساسات الأبنية السومرية
٨	أيسو	أب - سو	المياه البدئية	أب	البداية قبل البدء	سو	الماء	الماء قبل تشكل الكون - الماء البدئي - العماء
٩	أتاكو	أت - كو	الواقف خارجاً لا يدخل	أوت	واقف خارجاً	كوا	كثير قوي	اسم مبالغة معناه الكثير الوقوف خارجاً لمن لم يسمح لهم بدخول الآخرة
١٠	كاركورنا	كار - كورنا	المرسى - الرصيف	كار	العربات السفن	كرنا	المهجورة المتروكة	حيث ترسو السفن وتترك على الرصيف
١١	مكوبكو	م - ب - كو	التان موسيقيتان	م ب	هو . أمام	كو	يصيح	الذي يصيح والآخر يرد عليه (اسم التان موسيقيتان)
١٢	أنزو	أن - زو	طير غير معروف	أن	إله	زو	طير عصفور	يبدو أنه اسم إله الطيور والعصافير وليس نوعاً منها
١	بليل	بله - يل	حوله موموزي الأنثى تحت الأرض	بله	أفعى	يل	في داخله	والمعنى في داخله أفعى
٢	أيو		البشع - الطاعون					والمعنى البشع ويطلق حتى اليوم كناية عن الأمراض التي لا تشفى
٣	انتن		اله المزروعات السومري					اله المزروعات الشركسي
٤	ايميش		اله الحيوانات السومري					إله الحيوانات الشركسي
٥	وشكه		إله المطر السومري					إله المطر الشركسي ومعناه المطر في اللغة حتى اليوم
٦	غواف		القصدير - معدن السماء					القصدير - معدن السماء

٧	أنجوق		ثور السماء	أن	سماء	ج - قه	ثور - ابن	الثور السماء ـ ابن ثور السماء ـ لازال الاسم موجوداً
٨	أو.ر		اسم عاصمة سومرية					الخلق
٩	انكيدو	انكي - يدو	انسان خلقه انكي	انكي	إله الأرض العميقة	يدو	إرادة - رغبة	المعنى أنه خلق بإرادة ورض انكي
١٠	ينيج	ين - ج	الحاكم	ين	الزعيم الكبير	ج	القديم العريق	الزعيم العريق أي الحاكم لقب تلقب به الحكام
١١	ادجلات	بورانوم	دجلة ـ الفرات					والمعنى السريع القافز- وذو الفيضان والماء الدائم صفة النهرين
١٢	اوتو	أتو	الشمس	أتو	العالي	اتو	العالي	العالي : كناية عن الشمس العالية

المقاطع التي وردت وكذلك الحروف مع ملاحظة التوافق التام في اللفظ والمعنى

انِ : ا م _ نَ = عين _ آن = سماء _ نان = نأن = ام الام اله القمر _ وَ = الماء الكثير أو الكون في بدايته _ آ = أداة نداء _ كِ = الأرض _ ليل = الهواء الخفيف

٩ و نا = البيت _ ين = الكبير الزعيم _ شيه = النوم _ تي : لنا ملكنا _ بور = للفراش _ شار = الجلد والوجه _ ج = الذنب _ بل = الساخن

١٠ لاب = الغالي _ ل _ رجل = جل = الشعب _ آر = هو _ جال = موجود تحت _ أ = اليد _ فن _ السياقة _ ايت : واقف من تحت _ غج = الحديد

٢٦ أون = الذي لايمو _ أب : قبل البداية _ سو : الماء _ أوت : الواقف خارجاً _ كوا : الكثير القوي _ كور = السفينة والعربة = كرنا = المهجور المتروك_ م = هو

٣٤ ب = أمامه _ كوا = يصيح _ بله = أفعى _ يل = داخله _ داخله _ اير _ انتن _ ايمش _ وشكه _ غ = المعدن _ واف = السماء = ج = الثور _ قه = ابن

٤٦ اور = الخلق _ يدو = يريد يرغب _ ج القديم العريق _ أتو : العالي _ أدجللات ، القافز _ بورانوم = الكثير الدائم

٢ ـ المسألة الحاثية

المسألة الحاثية، ومن هم الحاثيون، وما هي مسألتهم، ولماذا لم نقل كما هو دارج في كتب التاريخ (الإمبراطورية الحثية)

لإيضاح هذه المسألة وحتى لايقع القارىء في التباس تشابه التسميات نقوم بالتعاريف التالية:

١ ـ **الحاثيون:** هم الشعب الذي استوطن هضبة الأناضول مع الكاسك [١]، وغيرهما من قبائل وشعوب شمال القفقاس وذلك في مناطق من جبال طوروس وهضبة الأناضول وجنوب البحر الأسود (حوض نهر الهاليس) والكولخيد (الساحل الشرقي للبحر الأسود) وصولاً الى الجزء الشمالي الغربي للقفقاس الشمالي حتى غربي بحر آزوف ومصب نهر الدون والى شماله، ويبدو أن هذا الانتشار والاستيطان يعود الى بداية النيوليت (٨٠٠٠ ق.م) والى زمن لايمكن تحديده (انما يمكن الاسترشاد بنتائج دراسة العصر الحجري الوسيط والحديث في شمال القفقاس، واستشعار المؤشرات على آثار هذا الانتشار البشري جنوباً نحو آسيا الغربية وغرباً نحو اوربا دون الوصول الى تحديد رأي نهائي) وقد اعتبرهم العلماء لذلك انهم قد نشاؤوا في المكان الجغرافي. [٢]
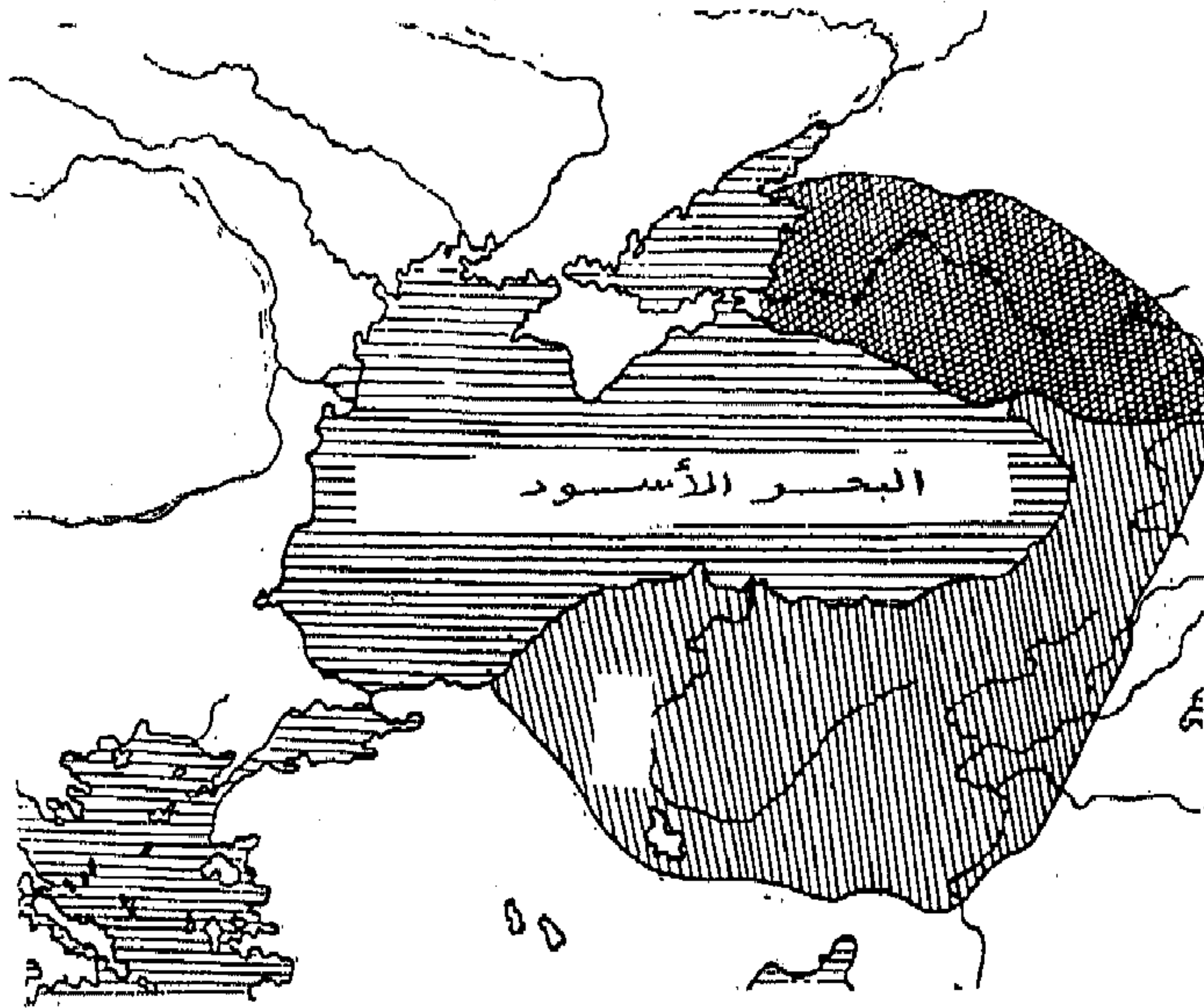
خارطة تمثل مواطن الحاثيين والكاسك وتداخلها (امتدادها) إلى مواطن شعوب شمال القفقاس .

فهم لذلك بناة الحضارة الزراعية وتربية الماشية وبناة المدن الحاثية الشهيرة ودويلات المدن فيها، بالتالي فهم بناة الفترة المبكرة للإمبراطورية الحاثية حتى عام ١٥٠٠ ق.م ومع ذلك فلا يأتي ذكرهم إلا في معرض الحديث عن الإمبراطورية الحثية(١٩٠٠ ـ ١١٩٠ ق.م) بعبارة لاتعني شيئاً كثيراً وهي عبارة (سكان الأناضول القدماء) وهي تعني مجرد ذكرهم دون الإشارة الى أي دور ديمغرافي حضاري سياسي اثني لهذه الأقوام.

٢ ــ **الحثيون:** وهم هجرة رعوية من الشعوب الهنداوربية لانعلم لهم اسما جاؤوا هضبة الأناضول في الألف الثاني ق.م، وأول ما اقتبسوه من السكان المستقرين هو اسمهم فسموا بالحثيين ـ تمييزاً لهم عن الحاثيين السكان الأصليين القدماء، وبعد المساكنة والاستقرار فترة طويلة اقتبسوا خلالها المدنية الحاثية، توصلت بعض سلالاتهم الى السلطة بدءاً من عام (١٥٠٠ق.م) فما هي الحقيقة وكيف جرت الأمور: منذ فجر التاريخ والى زمن لم يحدد، تنتشر في هضبة الأناضول وفي الأماكن التي سبق ان حددناها، جماعات بشرية أقامت ما سماه المؤرخون (دويلات المدن) وهي تجمعات بشرية قامت في مدن مستقلة اعتمدت في اقتصادها الزراعة المروية وتربية الماشية،وقد عرفت مثل هذه المدن في سومر جنوب العراق كما عرفت عند الاورارتيين وكذلك في القفقاس الشمالي، وسميت في الأناضول بهذه التسمية من منطلق تشبيهها بدويلات المدن السومرية[٣]، والحقيقة أن المؤرخين لم يجانبوا الحقيقة، ومع حسابنا للفروق البسيطة الناجمة عن الوسط الجغرافي فإن هذه الأقوام التي سميت بالحاثيين وجيرانهم الكاسك هم والسومريين والعيلاميين والحوريين والاورارتيين وربما غيرهم [٤] من أرومة بشرية لغوية وحضارية واحدة لأسرة الشعوب القفقاسية الأصلية الذين انتشروا من بدايات النيوليت ووصلتنا آثارهم في مواقع الحفريات في شالاهار ٥٠٠٠ ق.م وشاتال هيوك ٦٥٠٠ ق.م وتل حلف [٥] حوالي ٥٠٠٠ق.م وغيرها من المستوطنات الانيوليتية (الحجري النحاسي)[٦] والتي تبدي تشابها مع مثيلاتها في الشمال (القفقاس) والى الجنوب في الرافدين

وإذا كان الحاثيون والكاسك والعيلاميون والسومريون هجرة من الجزء الغربي لشمال القفقاس عبر الكولخيد، فإن الاورارتيين والحوريين والجوتيين وغيرهم هجرة من الجزء الشرقي لشمال القفقاس الشمالي وانتشارهم عبر دربند في حوضي كورا ـ أراكس والى الجنوب حتى أعالي الفرات وقد اعتبرهم المؤرخون انهم قد نشأؤوا في المكان الجغرافي مما لايمكن تحديده الى بدايات النيوليت

(الخـارطـة ٤) آسـية الصـغرى خلال العهد الحثي « استناداً إلى Goetze في Kleinasien »
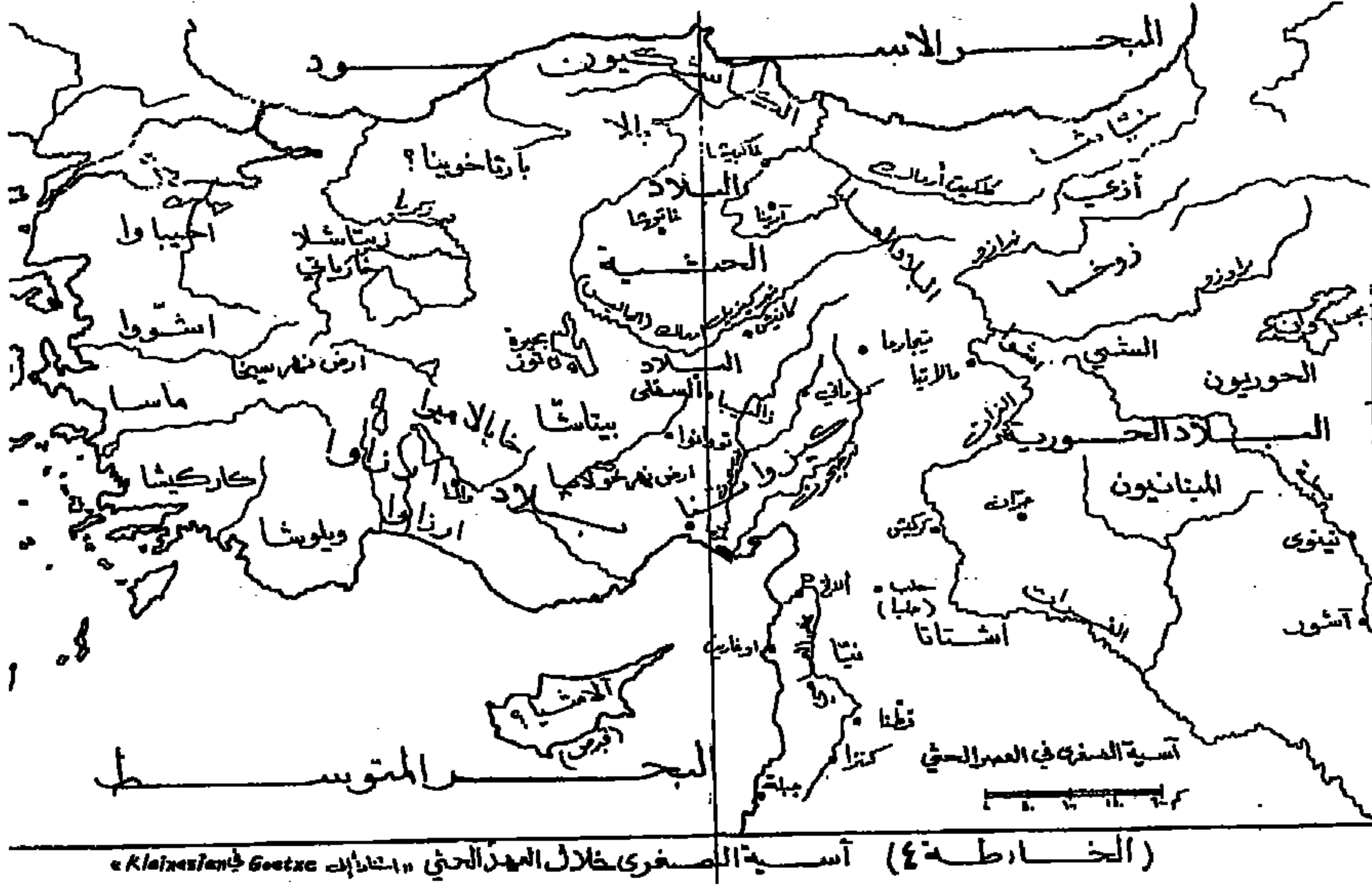
عن كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ـ الدكتور توفيق سليمان

٣ ـ سمات الحضارة الحاثية: تكاثرت المدن الحاثية في الأناضول وزاد عددها عن عشرات دويلات المدن[٧] مما أخبرتنا به وفي وقت متأخر الرقم الآشورية التي كانت تسجل المعاملات التجارية مع هذه المدن وأخبرتنا ببعض أسمائها وأسماء امرائها وقصورهم ومدنهم مثل (كشر ـ حاتوشاش ـ ساموخا ـ نشا)[٨] وقد كان لكل منها أميرها المستقل ولقب أحدهم بالأمير الكبير الذي كان أمراء المدن ينتخبونه واحداً منهم[١٠]

إننا نلاحظ أن النظام الإجتماعي والسياسي هنا شديد الوضوح من حيث التمسك بالحرية والإستقلالية في هذه الدويلات وتطبيق الديمقراطية والإنتخاب (الحضارة المدينية) وربما كان هذا ناجماً عن نمط التجمع السكاني في المدن فقد كانت لديهم مجالس شيوخهم (التوليا) وكان من اختصاصها محاكمة أفراد الأسرة الحاكمة إذا خرج أحدهم عن التقاليد المرعية.

وكذلك نجد لديهم ملاحم البطولة (اليكومي) التي تمتاز هنا عن جنوب الرافدين بالولادة المعدنية من باطن الحجر والصخر،وهي ولادة الأبطال الملحميين أمثال (ساوسرقة)[11] القفقاسي الشمالي،وقد ثبت أنها تعديل طرأ على هذه الملاحم بعد اكتشاف تعدين الحديد لوجود روايات أخرى لهذه الأساطير أقدم تتضمن الولادة المعهودة ضمن صندوق يطلى بالشمع أو القار ويلقى في النهر ...الخ

امتازت هذه الأقوام بمفاهيم الديانة الطبيعية (عبادة قوى الطبيعة) والميتولوجيات المتعلقة بها وكانت أكثر من ألف إله في الأناضول.

إن هذه الشعوب لم تؤله ملوكها أو أمراءها الذين كانوا رعاة وخدماً لشعوبهم ونواباً عن الآلهة في الأرض(ربما حدث تأليه الملوك بعد وفاتهم بزمن طويل تقديراً لهم وبعد احتكاكهم بالشعوب الرعوية التي تدفقت على مواطن هذه الحضارات بدءاً من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

كما امتازت حضارتهم بالغنى والتطور في الصناعة التعدينية و المعدنية وصنع قوالب لصب النحاس[12] ثم البرونز وعرفوا تعدين الحديد في وقت مبكر ومنذ ما بعد الألف الثاني ق.م بقليل وكذلك العربة الحربية والحصان،[13] وقد برع الحاثيون ومن بعدهم الحثيون في الصناعة التعذينية وحاولوا احتكار معدن الحديد واسرارها وكانت هي والحصان والعربة السر في تفوقهم العسكري وانشائهم امبراطوريتهم القوية الواسعة الأرجاء.

إننا لايمكن إلا ان نشير الى التشابه الشديد في السمات الحضارية السابقة الذكر وغيرها ووحدة مفاهيمها اسس حضارات هذه الشعوب وهي دويلات نالمدن السومرية والمدن الحاثية وحضارة شمال القفقاس وخاصة في حوض نهر الكوبان في عصور البرونز وفجر الكتابة مما تؤكده الآثار والمكتشفات والإشارات العديدة لمختلف المؤرخين إليها.

إننا نعود الآن إلى ماذكره مؤرخو اليونان والرومان عندما ذكروا لنا أسماء القبائل التي كانت تستوطن الأناضول فنجد وبشكل مباشر أنها تنتمي الى أصولها التي تستوطن القفقاس الشمالي الغربي وسواحل البحر الأسود الشرقية ولقد جاءت هذه الأسماء لدى مؤرخي اليونان على النحو التالي:

التربرايت ـ الهالدي (وهو اسم استعارة ملوك اورارتو من الفرس) ـ الساني أو الزاني أو السانيغ وفي المؤلفات العربية الظالة وقد كان اسمهم جانة عندما أحاط بهم الجيش الروسي بعد التجائهم الى الغابة الحمراء وقام بإحراق الغابة بمن فيها شمال مصب نهر الكوبان السرستاي الآبابيت ـ الموزيني، وغيرهم كثير مما ورد عند مختلف المؤرخين ويتبين لنا ان اسماء هذه القبائل

نفسها تتكرر في الأناضول وفي القفقاس الشمالي الغربي، كما جاء ذكرهم وصفياً تحت اسم (الماكروسيفال) حسبما وصفهم - كزنيفون - في رحلته الشهيرة[١٦] وتعني الكلمة (الرؤوس المتطاولة) والذي كانت إحدى قبائلهم تحدثه في رؤوس الأطفال بطريقة صنعية عن طريق ربط رؤوسهم بحزام مخصص لهذا الغرض.[١٧]

إن تقدم هذه القبائل جنوباً الى إيران والرافدين وسورية وربما تكون بعض هجراتهم قد وصلت شبه الجزيرة العربية وعبرت الى وادي النيل مما رأيناه في بحث المسألة السومرية (هامش ٣٢ - ٣٤)

وهكذا نجد اسم قبيلة ساني يظهر في شمال ايران عندما قاد الملك الآشوري (تيغلات لازار الثالث)[١٨] حملة الى بلاد ميديا عام ٧٤٧ ق.م حيث قاتل ضد بيت سانيغوي (الساني) وبيت ماتي (فهل هم الميؤوت) وذلك حسبما ورد في النص الآشوري.

٤ ـ المملكة الحاثية: في عودة الى دويلات المدن الحاثية والكاسكية في هضبة الأناضول والتي كانت كل منها تتمتع بكيانها المستقل في بداية الأمر كأمارات صغيرة في كل منها أمير يحكمها تأتينا الأخبار من رقيم حاثي كتب بالمسمارية مايلي:[١٩]

إنه وفي حوالي عام ١٩٠٠ق.م تمكن أحد الأمراء نتيجة طموحه من توحيد كل إمارات الحاثيين وكان اسمه (أنيتا بن بتاحنا)[٢٠] حاكم مدينة (كشار) بعد أن خاض حروباً مع المدن المجاورة واستطاع في نهايتها من توحيدها، وصارت كلها تابعة له، وقد جعل عاصمته مدينة نشا، ثم انتقلت فيما بعد الى حاتوشا[٢١] وإذا قمنا بإستعراض اسماء الملوك في هذه السلالات الحاكمة وقراباتهم المختلفة يتأكد لنا كونهم حاثيون،[٢٢] وكذلك نعود الى مفهوم الحكم والسلطة لدى الحاثيين ثم في المملكة الحاثية حيث تخبرنا رقمهم عن القانون الجديد الذي يضعه (تلبينو) ويدعو مجلس التوليا للإنعقاد وكان من مهام هذا المجلس مراقبة ومحاكمة أفراد الأسرة الحاكمة[٢٣] وكأنه - المحكمة الدستورية العليا في عصرنا الحاضر.

وعلى غرار مجلس الشيوخ الذي استشاره جلجامش، هذه المجالس الدستورية الديمقراطية الشعبية لانسمع عنها ولانجد أثرها في الإمبراطوريات التالية للشعوب الرعوية المهاجرة الى مواطن هذه الحضارات العريقة والقديمة.

إن شعوب الأسرة القفقاسية التي أسماها المؤرخون (الشعوب الجبلية) كانت تتمتع بمفاهيم ديمقراطية متشابهة في كل المناطق الجغرافية التي وجدوا فيها، وفيما يتعلق بأسلوب الحكم والنظرة الى الحاكم فقد كانت تنبع بدون شك من تقاليد ومفاهيم ديمقراطية متشابهة

عريقة ميزتها.

استمر الحاثيون وسلالاتهم الملكية حتى عام ١٥٠٠ ق.م أي حوالي ٤٠٠ عام[٢٤] من تاريخ تأسيس الامبراطورية وبعد هذا التاريخ لا نتمكن من تحديد السلالات الحاكمة التي تغلب عليها الاسماء الهندأوربية كما وتتخللها في كثير من الأحيان اسماء حاثية .

تحليل بعض الأسماء باللغة الآديغية:

أنيتا: (أن + ت) ويعني عطاء إله السماء أن، قارن مع اسم الشركس في فجر التاريخ (أنت) واسم إله الزراعة الشركسي السومري (انتن)

كشار: (كِ - شار) ويعني وجه الأرض قارن مع اسم إله الأرض السومري (كشار)

حاتوشاش: (حاتو + شِ + شْ) ومعناه اسطبل خيول الحاثيين دليل قدم معرفتهم بالخيول

كما بينا موزون: (مز + وونة) بيوت الغابة آبابيت : (آب + يت) المتقدمون الرواد

التربرايت: ويشبه معناها الكلمة السابقة وهي تعني أيضاً (المقدمة والمتقدمون).. الخ

اسم الملك	سنوات الحكم	درجات القرابة
بيتاخانا (من كوسارا)	١٧٥٠ - ١٧٩٠	حاثيون من اتحاد معين
انيتا (من كوسارا)		ابن
تود خاليا الأول	١٧١٠ - ١٧٤٠	حاثيون من اتحاد آخر
بور شاروما	١٦٨٠ - ١٧١٠	ابن
لابارنا الأول	١٦٥٠ - ١٦٨٠	ابن
لابارنا الثاني	١٦٢٠ - ١٦٥٠	ابن
(حاتوشيلي الأول)		
مورسيلي الأول	١٥٩٠ - ١٦٢٠	ابن متبنى
حانتيلي الأول	١٥٦٠ - ١٥٩٠	زوج شقيقة السابق
تسينانتا الأول	١٥٥٠ - ١٥٦٠	صهر
امونه	١٥٣٠ - ١٥٥٠	ابن
خوتسبا الأول	١٥٢٥ - ١٥٣٠	ابن
تيليبنو	١٥٠٠ - ١٥٢٥	زوج شقيقة السابق
اللوفامنا	١٤٩٠ - ١٥٠٠	صهر

قائمة الملوك الحاثيين عن دراسة بقلم الدكتور زهدي سطاس

إننا نرى في هذه القصة التاريخية التي تتمثل في قدوم هجرات للشعوب الرعوية الى مواطن الحضارات المستقرة في كامل أنحاء آسيا الغربية متشابهة تماماً فإن ما حدث للحاثيين على يد الحثيين هو عين ما حدث للاورارتيين على يد الميديين ومن بعدهم الفرس ثم دخول القبائل الفريكية الأرمنية وهو ماحدث للعيلاميين على يد الفرس وما حدث للحضارة الكريدية على يد الأخائيين والدوريين وماحدث للأتروسك على يد الرومان(٢٥) وكأن العالم يغير وجهه أو ثوبه كما يقول ناميتوق إن صح التعبير.

٥ ـ **الإمبراطورية الحثية:** بمقدار ما كانت مفاهيم الديمقراطية(٢٦) والحرية(٢٧) دليلاً على رقي مفاهيم هذه الشعوب للسلطة والحكم(٢٨) إلا أنها على مايبدو كانت تسبب الضعف والتفرقة السياسية في مواجهة مفاهيم الشعوب المهاجرة التي ظهرت على الساحة في نهاية الألف الثالثة والتي ظهرت مفاهيمها في السلطة المطلقة أنها أشد قوة وقدرة على ممارسة السلطة الموحدة وانشاء الإمبراطورايات الكبرى،(٢٩) وكانت الأناضول (بلاد الحاثيين والكاسك) قد بدأت بالتعرض ومنذ الألف الثاني ق.م لقدوم أقوام جديدة هنداوربية نيسيه استقرت وتمثلت مع الزمن مفاهيم الحضارة الحاثية وتمكنت بعض سلالاتها من الوصول الى السلطة فأقامت الإمبراطورية الحاثية بعد عام ١٥٠٠ ق.م وحتى ١١٩٠ ق.م لقد بدأ اندثار الشعوب القفقاسية بفقدانها السلطة السياسية كمرحلة أولى مع استمرار لغاتها ومفاهيمها لغات حضارة وعلم حتى العصور الميلادية وبعدها ذابت وتلاشت تلك اللغات مع التقادم والاندماج الديمغرافي بين مجمل هذه الشعوب.

وفي مجال حديثنا عن الإمبراطورية الحثية، فقد كانت تحتوي العديد من الشعوب والعديد من القبائل معظمها من قبائل أسرة الشعوب القفقاسية الأصلية التي جرى ذكرها في الصفحات السابقة وكان المضمون الحضاري لهذه الإمبراطورية هي الحضارة الحاثية(٣٠) ومضامينهاالتي كانت قد نشأت في المكان منذ النيوليت ورسخت أركانها مع مضي الزمن الطويل ودليلنا هو بقاء اللغة الحاثية كإحدى لغات الدولة الرسمية تمارس فيها مختلف الطقوس والعلوم الى جانب اللغة النيسية وحتى أن ملوك هذه الامبراطورية المتأخرين وإن كانوا حثيين نيسيين فقد كانت لهم اسماء ثانية حاثية دليل الإمتزاج والتداخل الحضاري الديمغرافي بحيث صرنا لانعلم الإسم الحقيقي لهم.

ولانعلم الانتماء الحقيقي للسلالات الحاكمة التي جاءت بعد هذا التاريخ، وإن كنا نغلب الظن أنها حثية نيسيه تماشياً مع وصولهم للسلطة وبدء استخدام لغتهم كلغة رسمية للإمبراطورية ولكننا نرى أن دورهم كان قدومهم وتغلغلهم بالمساكنة في المدن الحاثية وكان

كل شيء جاهزاً فاقتبسوا مفاهيم الحضارة الحاثية[٣١] وحققوا الغلبة من الناحية السياسية بوصولهم الى السلطة والقيادة بعد عام ١٥٠٠ ق.م في امبراطورية كل شيء فيها حاثي.

لابد من إعادة كتابة تاريخ هذه الامبراطورية الحضاري والسياسي والديمغرافي بعد ظهور الكثير من الوثائق التاريخية (آلاف الرقم الحاثية)[٣٢] والموجودة الآن في مخازن المتاحف ووجود المهتمين بها، وفي الختام نستعرض بعض آراء المؤرخين.

يوسف عـزت باشامت جوناقتة يذكـر في كتابـه تاريخ القـوقـاز استناداً الى مورغان ومـاسبرو ولونورمـان: مما لاشك فيـه انهم استولـوا قبـل الميلاد بقـرون كثيرة على جنـوبي قفقـاسيا وآسيـا الصغرى ونصف مجـرى دجلـة والفـرات وسوريا ومصـر الشرقيـة، وقد هابهم الكلـدانيين والآشـوريين والمصريـون وهم ضمن الاتحاد الامبراطوري لحكومات الحثيين (ويقصد القبائل الحاثية الكاسكية) ويستشهد بأسماء ملوكهم (مؤوشلش - مؤوتاليش)[٣٣] - (ماؤوزر - ماؤوتر) ، المقطع ماؤو يعني الذي يصدر صوتاً وكان يطلق على الترس المعدني ـشلش أو شلج وتعني شيخ الشباب ـأمازر وتور فتعني الأول والثاني بلغة الآديغية ثم يفرد بحثاً عن العلاقة الشركسية ويستشهد بالمعطيات اللغوية والكتابة والإشارات الهيروغليفية الحاثية ومقارنتها بشعارات العائلات الشركسية.

وينحو مدخل تاريخ الشركس هذا المنحى مستنداً الى (فاينر - مزاروس - فورد ـجوهام فريدريك) وغيرهم ثم يحلل اسم الشعب نفسه ويقول ان كلمة (حاتو) لازالت مستعلمة وبكثرة حتى اليوم كاسم علم للأشخاص والعائلات وبعض القبائل مثل قبيلة (حات قه ي) ومثل قبيلة (حات قه) الأولى كانت تسكن المجرى الأوسط لنهر الكوبان والثانية عند مصبه في البحر الأسود.

وينقل إلينا الدكتور زهدي سطاس عن (ف.ف لونورمان) إن الفرضية التي قيلت عن ولادة اللغة الحاثية من لغات شمال القفقاس أمكن في الوقت الحاضر البرهنة عليها بفضل تزايد عدد النصوص الحاثية المدروسة والتأكيد من تركيبها الأصلي. ويترجم لنا دراسة متخصصة تشمل التراكيب اللغوية والأدوات والضمائر المستخدمة في اللغة الحاثية ومثيلاتها في مجموعة لغات شمال غرب القفقاس (مع أدغة وبخ أبخاز)[٣٤] ثم يستطرد ويتابع قائلاً: في جورجيا الغربية ومنذ العصر الحجري النحاسي وحتى نهاية الألف الثالث ق.م انتشرت لهجات آديغية وبخ انجاز التي تشهد على وجودها التسميات الجغرافية القديمة وأسماء الآلهة التي كانت سائدة (ويبدو قبل تقدم قبائل السفان) وهكذا فإن الجزء الغربي من جورجيا وكامل كولخيديا والقفقاس الشمالي الغربي وحوض القوبان والساحل الشرقي لبحر آزوف الى مصب نهر الدون

كانت مسكونة في العصر البرونزي من قبل قبائل (أدغه وبخ أبخاز) ويضاف الى ماسبق الأناضول وجنوب البحر الأسود وحتى أعالي الفرات التي كانت مسكونة من قبل الحاثيين والكاسك وهاتين ماهما إلا التسمية الأناضولية (لآدغه وبخ انجاز)

أما في الأناضول الشمالي الشرقي (اورارتو) وصولاً الى جيرانهم نحو الجنوب الشرقي (الحوريون) فقد كانت مسكونة بقبائل الأورارتيين والحوريين الذين يتحدثون لغة متماثلة وهي لغة قفقاسية شرقية.

يقول الدكتور توفيق سليمان سبق ذكره ص٢٦٧ وكانت تربطهم صلات قوية بقبائل الكانتوم التي تقطن في البلقان.. هناك نظرية اخرى تقول أنهم نزحوا من المناطق الشمالية الغربية الواقعة على سواجل البحر الأسود (الكولخيد والكوبان) وكلا الرأيين صحيح لو أنه أشار الى قرابة كل ماذكره الى القفقاس الشمالي وأن جميع هذه المناطق انما كانت مسكونة بشعوب من أرومة واحدة هي اسرة الشعوب القفقاسية وانتشارها منذ النيوليت.

٣ ـ الشعوب القفقاسية الأخرى

العيلاميون: تواجد العيلاميون في سفوح الهضبة الإيرانية وجبال زاغروس المطلة على جنوب وادي الرافدين موطن السومريين، وهكذا فحدودها دجلة غرباً وجزء من مقاطعة فارس والطريق بين بابل وهمذان شمالاً، ومن الجنوب الخليج العربي حتى مدينة بوشهر، ويعتقد انهم من أقدم الهجرات الإستيطانية القفقاسية الشمالية الغربية التي استوطنت هذه المنطقة ، وقد أرخ مورجان [٣٥] رئيس البعثة الفرنسية للتنقيب أولى المستويات الأثرية على الأرض العذراء بالألف الثامن ق.م، وكانت أهم المدن التي بنوها سوزا او سوسة او شوشه وتختلف القراءات بين الزاي والسين والشين والحقيقة انها قراءات في اللهجات القفقاسية لها معنى واحد وهي تعني راعي الخيل بالتحديد وصارت اسم علم للدلالة على الراعي والحاكم وصارت لقباً للآلهة والملوك، وكذلك مدينة ماداكتور على شاطىء نهر كرخة، ومدينة خايدالو، ومدينة أنزان وهو اسم سومري واسمها العيلامي (سوسنقة) وتعني ابناء الرعاة، لاحظ وقارن كل ذلك مع اسم البطل الاسطـــوري الشركسي (سوسرقة) وتعني ابن الراعي ايضـاً، وكذلك اسماء ملوكهم (شوشينقة) وتعني ابن الراعي الكبيـر، والحال هذه فهم سابقون للجميع، وقد كانت لهم دولتهم منذ الربع الأول للألف الثالث [٣٦] وكانت هناك أسرة عيلامية قائمة بالفعل تحكم مساحة كبيرة من السهول والمناطق الجبلية وتضمنت جزءاً كبيراً من الساحل الشرقي للخليج العربي ومنطقة بوشير، وقد عثر فيها على نقش سومري بهذا المعنى، وبالرغم من أن العيلاميين كانت لهم كتابتهم الخاصة بهم إلا أنهم استخدموا لغة وكتابة جيرانهم السومريين.

وتدلنا آثارهم التي كشف التنقيب عنها الى تقدمهم في الصناعة المعدنية وأسبقيتهم بصهر النحاس وصبه في قوالب، كما ظهرت لديهم الأختام دليل الشعور المبكر بالملكية الفردية كما كان كبير الآلهـــة يدعى (شوشيناق) ايضـاً ويليه ستة من الآلهـــة ثم جمع كبير من الآلهة الثانويـــة، كما نجـد عندهم الإعتقـاد بالدار الآخرة، لأنهم دفنوا الموتى في وضعية القرفصاء أو الإنثناء بإتجاه الشرق(الشمس) ونثر التراب فوق أجساد الموتى وهي الوضعية المعهودة التي نراها في جميع مواطن انتشار واستيطان الشعوب القفقاسية عند التحول الى عبادة السماء والشمس والتحول الى الأسرة الأبوية.. وكانت حاجات المتوفي تدفن معه.

كانت للعيلاميين لغتهم الخاصة وانتقلوا الى ايجاد كتابة خاصة بهم مع استخدام الكتابة المسمارية لجيرانهم السومريين، وقد اطلقوا على انفسهم اسم تحاتمتي) (تحات + م + تي) لاحظ المقاطع ومعانيها بلغة الآديغية (تحات: اسم الإله وله علاقة باسم الحاثيين) (الميم مثل حرف اللام الجارة بالعربية) (تي: لنا ضمير الملكية) وبالتالي فيعني هذا الإسم الذين هم لله أي اتباع الإله وهم بهذا لايبتعدون عن تسمية (أنت ونارت).

ويفيدنا هنا ذكر أن لغتهم كانت بنائية ووصفية (مقطعية) وقد تمكن سرجون الأكادي من دخول عاصمتهم والقضاء على استقلالهم لفترة من الزمن وفي نهاية عصر اليقظة السومرية تمكنوا هم من التقدم وبسط نفوذهم على سومر وهكذا استمر وجودهم الحضاري والسياسي حتى القرن السادس والخامس ق.م وظهور الميديين ومن بعدهم الفرس .

وفيما يتعلق بأصل العيلاميين سبق وأشرنا الى كنج عضو بعثة التنقيب الفرنسية[٣٧] عندما يقول أن الأواني الفخارية تبدي تشابهاً واضحاً في صنعها وطرازها بالأواني التي عثر عليها في منطقة ما وراء بحر الخزر وأن ثمة علاقات كانت قائمة بين سكان ما وراء بحر الخزر[٣٨] والعيلاميين والسومريون و من الجائز أن هؤلاء قدموا من الشمال، كما ونقرأ العديد من الإشارات الحذرة من المؤرخين حول الأصل القفقاسي الشمالي الغربي لهم، ولكن كتاب مدخل تاريخ الشركس يقول على لسان اوتران ص ٢٨٦ كتاب Les Langue de L'asie ancienne وقد كان منشؤهم مجهولاً حتى عثر العلماء على رقيم حجري مكتوب بثلاث لغات وهي الفارسية والعيلامية والآشورية وقد اختلف العلماء على ماهية العمود الثاني هل هي اللغة العيلامية أم اللغة الميدية وفي عام ١٨٧٠ حصر العالم الالماني (مورتمادن) لغة العمود الثاني باللغة العيلامية، وقد اثبت هنريش ونكلر. ثم دراسات البعثة الفرنسية وبعدهم مورغان وهوسينغ وبورك، وأن هذه اللغة لغة قفقاسية، ثم بين الأستاذ (نيقولامار، بأن لغة العمود الثاني لغة قفقاسية شمالية غربية لهجة أبازه،[٣٩] وبرأينا أنها ربما كانت هي الأقرب الى اللغة الأم بحيث نتساءل إن كان الانقسام اللهجوي قد حدث في الألف الثامن ق.م

الكاشيون أو الكاسك[٤٠] : استوطن الكاشيون الكاسك جنوب البحر الأسود ووسط آسيا الصغرى وأعالي الفرات الى وسط جبال زاغروس (لورستان الحالية) منذ الألف الثالث ق.م وكانوا قبل ذلك يستوطنون جنوب البحر الأسود مع الحاثيين وتمكنت شعبة منهم في عام ١٧٤٧ ق.م من استلام السلطة في بابل وعلى مايدو بمعونة من أقربائهم الحاثيين الذين يكونون قد دفعوا بهم الى بابل بعد ما قاموا بإحتلالها. ودام حكم الكاشيين في بابل قرابة

خمس قرون (٥٧٦) عاماً حتى عام ١١٧٠ ق.م عندما قضى عليهم العيلاميون.[٤١]

لقد بنى الكاشيون عاصمة خاصة بهم الى جانب بابل، وعرف عنهم بناء المعابد والأبنية الضخمة والفخمة وشكلوا طبقة عسكرية عاشت مترفعة عما حولها، كما مارسوا النظام الاقطاعي واشتهروا بتربية الخيول وكانت لهم طرق وأساليب لذلك ووضعوا فهارس للكلمات الفنية الخاصة بتربية الخيول الأصيلة،[٤٢] أما عن أصل الكاشيين فإن ما سبق وذكرناه عن تقدمهم واهتمامهم بتربية الخيول الأصيلة مما عرف عن شعوب شمال القفقاس عبر تاريخهم الطويل وحتى يومنا هذا وكذلك نلاحظ تشكيل طبقة عسكرية محاربة وحاكمة اهتمامهم بالبناء والعمران فهي خصال عرفت بها هذه الشعوب(لاحظ اسلوب الحكم، والعمارة وآثار القاهرة من عصور سلاطين الشراكسة)كما مارسوا النظام الإقطاعي والإقطاعيات الزراعية.[٤٣]

إن اسم الكاسك بحد ذاته هو الكاشك مما أشار إليه مؤرخو العرب وهم كذلك الكاسوغ مما أشار إليه مؤرخو الروس فيما بعد وهم من أهم قبائل شمال القفقاس الشمالي الغربي (دولة كاسوغ) ويمكن الإعتقاد أنهم قبائل الشابسوغ اليوم.

أما بالنسبة للغة الكاشية فهي برأي (فوريد ـب ب ارشاكوف ـطورغ ـأميليكشفيلي)هي اللغة الحاثية نفسها. وحسب رأي (غ غ غيور غادزه ـيم دويانسكي) هي إحدى لهجات اللغة الحاثية،[٤٤] وحسب رأي (أدوارماير) الذي قال بقرابتها للعيلامية والحاثية و(فينيك) الذي يقول بأنها لغة قفقاسية شمالية غربية،[٤٥] والحقيقة أن الكاشيين هم جزء من القبائل القفقاسية الشمالية الغربية المتواجدة في القفقاس بأسماء اختلفت حسب الأزمنة التاريخية، وأقدم ما وصلنا من أسمائها (الكاسك ـ الكشك ـ الكاسوغ ـ واخيراً الكاشيون في بابل) كل ذلك مما يتوافق مع ما ذهبنا اليه في هذا الكتاب من أمر انتشار واستيطان هذه الشعوب.

الأوراتيون: استوطن الأوراتيون حول جبل آرارت وبحيرة وان وسهل أراكس الفسيح، الى زمن يصل الى الألف الثالث ق.م [٤٦] وقبل فجر التاريخ، ولانعلم قبل ذلك التاريخ الى أي زمن يعود وربما وصل الى بداية النيوليت،[٤٧] وقد تعود المؤرخون تسمية هذا (الشعب الهالدي أو الخالدي) نسبة الى الإله هالدي، الذي استعاروه من الفرس عندما ألهوا ملوكهم تمهيداً لقيام امبراطوريتهم وتوحيد ممالك مدنهم، وصارت لغتهم تعرف باللغة الهالدية[٤٨] وفيما عدا ذلك الإله فقد عبد الأوراتيون كسائر الشعوب القفقاسية العديد من آلهة الطبيعة
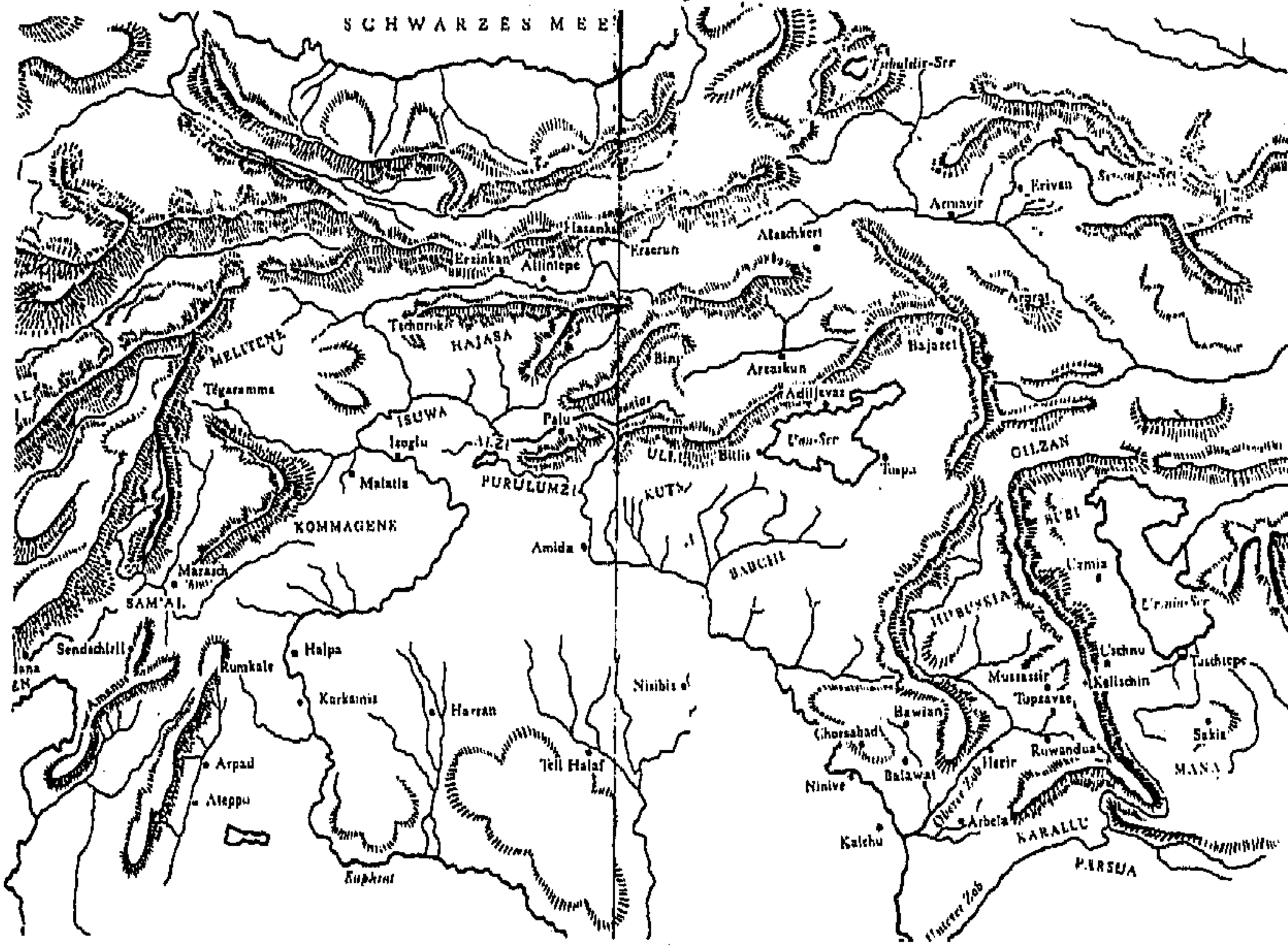
خارطة تمثل بلاد الاورارتين والحوريين عن كتاب اورارتو لريمي شنايدر ـ ترجمة وحيد خياطة

إننا نعلم من الوثائق الآشورية أنهم كانوا ثلاث وعشرين إمارة مستقلة[٤٩] (ممالك مدن) وكان الأمير خـادماً للإلـه (خادمـاً للإله ... وحتى استعـاروا الإله هـالدي) من الفرس عند تكوين امبراطوريتهم التي دامت ثلاث قرون ٩٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م[٥٠] وقد اشتهروا بالصناعة المعدنية (الصياغة) إضافة الى تربية الخيول الأصيلة (مقاطعة سوربي الأورارتية كانت مشهورة بتربية الخيل حيث كانت المهور ترسل من كافة المقاطعات ومن الدولة الحورية الى سوربي سنوياً، وكانت الإشارات توزع من قبل الحوري(كيكولي) بلغته مفعمة بالمصطلحات الحثية[٥١] (لاحظ قرابة هذه الشعوب اللغوية وميزاتها الحضارية ١ ـ الصناعة المعدنية ٢ـ الخيول الأصيلة ٣ ـ ممالك المدن... الخ) وفيما يتعلق باللغة الاورارتية فهي ترتبط باللغة الحورية بصلة القرابة والحورية هي مرحلة متطورة من اللغة الأورارتية وكلتا اللغتين من اللغات المقطعية القفقاسية الشرقية.

وفيما يتعلق بالأرمن فهم من القبائل الفريكية التي استفادت من ضعف الاورارتين اثر الاجتياح السكيتي الكيميري الذي سبقت الإشارة اليه، وكان من نتائجه أن تبعت البلاد للسيطرة الفارسية فتقدم الأرمن تحت هذه الظروف وسيطروا في البداية على إمارة لهاسا ثم

تقدموا وانتزعوا السهول والوديان الخصبة من الأورارتين الذين التجأووا الى المناطق الجبلية، وقد سادت اللغة الفريكية الأرمنيةعلى مجمل البلاد اليوم حسبما يرد في كتب التاريخ لديهم أنهم يرفضون النسب الفريكي منفرداً وينتسبون الى (الأورارتحه هاياسي)(٥٣) أي الى المزج بين الشعبين القفقاسي الاورارتي والفريكي الهنداوربي، وهكذا هي سمات الحضارة لدى شعوب الأسرة القفقاسية ـ الحضارات المدينية الزراعية وتربية الماشية، وانظمة الحكم الديمقراطية الحربية، اسبقية تطوير الصناعات المعدنية، تربية الخيول، الديانة الطبيعية إضافة الى وحدة الأصول للغاتها المقطعية (انظر في الهامش والمراجع ملخص لمقارنة اللغة الأورارتية بلغات القفقاس الشمالي)

الحوريون: كان الحوريون يستوطنون منذ الألف الثالث (فجر التاريخ)، ولانعلم منذ متى هم في المكان الجغرافي الذي شمل أعالي نهري الفرات ودجلة والى الشمال حتى أواسط القفقاس الجنوبي (ماوراء القفقاس)(٥٤) ولانعلم شيئاً كثيراً عنهم حتى استوطنت بينهم فئة رعوية هنداوربية كمايقول بعض المؤرخين، أو انهم فئة من الذين تخصصوا بالفروسية(٥٥) وتربية الخيول فانفرزوا بشكل طبقة محاربة في المجتمعات الزراعية هذه، وهذا الرأي يرجحه المؤرخون من منطلق أن لغتهم كانت هي اللغة الحورية أولاً وثانياً بعد معرفة استئناس الحصان وتربيته فقد كان طبيعياً بروز طبقه من الفرسان المحاربين تقلدوا زعامة هذه المجتمعات الزراعية وهذا ما حدث لدى كل شعوب هذه الأسرة، وقد سميت هذه الطبقة بالميتانيين، واليونان هم الذين أطلقوا اسم (ميتاني) والتي شكلت على ما يبدو طبقة متخصصة بالزعامة والسلطة ومنها أفرزت الأسرة الحاكمة التي تمكنت من تأسيس دولة ميتاني التي امتدت غرباً حتى مدينة حلب، وتمكنت هذه الدولة من اخضاع الآشوريين لحكمها فترة من الزمن، وكذلك فقد سيطرت على النصف الشمالي من بلاد الشام ووصلت أوج ازدهارها في عهد ملكها (شاوشاتار): شاوش تعني الراعي تَ: العطاء ر: بمثابة ال التعريف وهكذا فإن هذا الاسم يعني باللغة الآديغية (عطاء الراعي) وكان ذلك حوالي (١٤٥٠ ق.م) وبعدها تمكن الحثيون حوالي عام (١٣٣٠ ق.م) من اتباعهم وضمهم الى امبراطوريتهم(٥٦)

اشتهر الحوريون مثل الكاشيين وغيرهم من شعوب الاسرة القفقاسية بتربية الخيل كما عرفوا بعلاقاتهم الودية مع فراعنة مصر وكان من نتيجتها تبادل الهدايا الثمينة والمصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين فقد أرسلت الأميرة الحورية أبنة (شاوشاتار) واسمها جيلو خيا الى الملك المصري (امنحوتب) الثالث وغدت فرعونة مصر وقد ارفقها بـ ٣١٧ إمرأة من وصيفات وخادمات ولايستبعد أن يكون امنحوتب نفسه ابن اخت (شاوشاتار) التي كانت زوجة

تحوتمس الرابع كما تزوج امنحوتب الرابع من اخت جيلوخيا ... الخ مما ورد ذكره في المراسلات التي عثر عليها في مصر ويبدو انهم هم والكاشيون كانوا يحاولون اتباع سياسة حفظ التوازن خوفاً من القوة الحثية المتعاظمة وهي الى جوارهم ولكن هذه السياسة لم تنفعهم كثيراًإذ سرعان ما اتبعوا للإمبراطورية الحثية(٥٧)

وفيما يتعلق بأصل الحوريين نرى كثيراً من المؤرخين يعتبرون اللغة الحورية هي اللغة الأورارتية المتطورة وقد اعتبرها بسورك من اللغات القفقاسية الشمالية ، وفي الحقيقة فإن القرابة اللغوية تبدو واضحة من اسماء ملوكهم حيث يتكرر فيها المقطع (شو) والتي تعني الفارس والمقطع (شوش) التي تعني راعي الخيل وكذلك اسم عاصمتهم واشوكاني التي قد تعني إله المطر (واشكه - ايشكور - واشوكاني)(٥٨) لدى الآديغية والسومريين والحوريين وغيرهم كثير من اسرة الشعوب القفقاسية الشمالية التي وردت هذه التسمية ومشتقاتها كإسم لإله المطر(٥٩)

لوحة حجرية عثر عليها في تل «بارسب» ويظهر فيها الإله «تشب» واقفاً على حيوانه الخاص . أوائل الألف الأول ق . م . - « متحف حلب »

نقش بارز على قطعة حجرية يصور آلهة حورية ، ونرى من اليسار إلى اليمين « تشوب » إله الجو يستقبل الإلهة « هيبات » وابنها « شاروما » « بمتحف برلين »

موجز الفصل الثاني

بناء على ماأوردناه من آراء المؤرخين والباحثين الذين تحدثوا عن السومريون والحاثيين ثم الأورارتيين والكاشيين والعيلاميين والحوريين واستناداً الى نتائج التنقيبات وعلم الآثار الحديث في مواقع العصر الحجري الحديث ووصولاً للحجري النحاسي ثم البرونز وفجر التاريخ (٨٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) والمقارنات اللغوية التي أمكننا إجراءها والتي تميزت بشدة وضوحها لنا لمعرفتنا باللغة الآديغية الشركسية والشمال الغربي من شمال القفقاس أي حوض الكوبان وإظهار وحدة المفاهيم الحضارية إضافة الى التسميات الجغرافية القديمة[٦٠] ثم الأقوام التي أخبرتنا هي عن أسمائها بعد فجر التاريخ وتشابه آثار حضاراتها ونمط حياتها ومفاهيمها (المدينية ـ الزراعية ـ تربية الماشية) والتي آمنت كلها بمضامين الحرية والديمقراطية (المدن الحربية الديمقراطية)[٦١] كل ذلك وغيره مما يكون قد فاتتنا الإشارة اليه يقدم لنا تصوراً شديد الوضوح عن انتشار اسرة الشعوب القفقاسية الشمالية التي يمكن وصفها الأصلية أو المحلية تمييزاً لها عن التي استوطنت القفقاس فيما بعد (Paleo Caucasien) إن هذه الوحدة الحضارية التي ميزت آسيا الغربية بما فيها القفقاس الشمالي في تلك العصور الموغلة في القدم انما يفسرها توزع وانتشار هذه الأسرة من الشعوب بدءاً من العصر الحجري الحديث وحتى فجر التاريخ عندما كانت قد أوجدت كتاباتها التصويرية المقطعية وكانت قد انهت توزعها واستيطانها فتشكلت الفروق اللهجوية واللغوية مع بقاء امكانية اجراء المقارنة اللغوية وكذلك ربما يكون قد حدث التمايز في بعض السمات الحضارية وانها من موطنها الأصلي الذي بدأت الانتشار منه في شمال القفقاس ومن موطنها الأول التي اسماها في أساطيره الموغلة في القدم (هكوج): ( ) وسط المحيط القديم كناية عن الوطن القديم وقد انقسموا الى شعبتين شرقية وغربية وتقدم نحو الجنوب مستوطناً وببطء عبر الكولخيد والدربند (وعلى العكس ما يقال عن قدومهم من الجنوب الى الشمال) إن هذا التقدم من الجنوب ربما كان زمن توزع وانتشار العرق الأبيض أما الآن وفي الحجري الحديث فقد كان انتشار اسرة الشعوب القفقاسية من موطنها في شمال القفقاس.

لم تكن هذه هجرات بشرية بالمعنى المعروف بقدر ما كانت توزعاً وتقدما حثيثاً واستيطاناً بدأ واستمر بالانتشار مع تحسن الظروف المناخية. وقد تم استقرار العيلاميين في مواطنهم منذ الألف الثامنة في حين وصل السومريون الى جنوب العراق في الألف الرابعة وما بينهما بالنسبة لباقي شعوب الأسرة القفقاسية.

إن السمات الحضارية المشتركة وهي عبادة قوى الطبيعة التي اشتركت في الكثير من تسمياتها الأولى ثم اختلفت فيما بعد مع تطور ميتولوجياتها مما يمكن الاستناد اليه لتحديد تاريخ هذا الانقسام الانتشار ففي حين يتكرر المقطع (شوش) أو (سوس) لدى العيلاميين في اسماء مدنهم ملوكهم وآلهتهم وهي تعني الراعي فهي من أقدم الهجرات وتعود آثارهم الاولى فوق الأرض العذراء لبداية العصر الحجري الحديث النيوليت (٨٠٠٠ ق.م) وكذلك يمكننا الاستناد الى اسبقيه هذه الشعوب في الصناعات المعدنية[٦٢] (النحاس البرونز وحتى الحديد) وكذلك الخلائط المعدنية وفنون الصياغة المتقنة التي تميزت بها كلها تقريباً وهذا يستدعي تفسيراً وحيداً محتملاً هو أنها جلبت معها بدايات معرفة التعدين وكذلك يمكن أن يفهم منه عدم انقطاع صلتها الحضارية المشتركة لبقائها متجاورة في مواقعها الجغرافية مع وجود اسبقيات لبعضها وخاصة فيما يتعلق بتعدين الحديد الذي برع به الحاثيون واحتكروا لفترة طويلة مع وجود مؤشرات قوية تشير الى جيرانهم الشماليين في القفقاس الشمالي و نجد هذه المؤشرات في الميتولوجيـا والأساطيـر والملاحم القديمة وتخصيص أقدم إله للحديد وهو (تلبش) ومعناه (الرجل الذي ينفخ النار) ومصنوعاته الحديدية إضافة الى دخول الولادة المعدنية للأبطال من باطن الحجر بدلاًمن الولادة من الصندوق إضافة الى ماعثر عليه من خبث الحديد الذي يعود الى الألف الثاني أو ما بعده بقليل مما يوحي بإكتشاف مبكر لتعدين الحديد في القفقاس الشمالي.

وفي جميع الأحـوال سـواء أكانـت اسبقيـه تعـدين الحديـد للكوبان أو لآسيا الصغرى (الحاثيين) فإننا لانميز كثيراً بين الحاثيين القدماء والكاسك وسكان القفقاس الشمالي الذين تساوت لهجاتهم ولغتهم الواحدة وباقي سماتهم الحضارية مما سبقت الإشارة اليه.

إن العجلة والعربة التي تجرها الثيران ثم استئناس الحصان وعربات القتال السريعة وادواته ونخص منها بالذكر الفؤوس القبردينية الشهيرة والقاما ذات الحدين وكذلك أصول وقواعد تربية الخيول الأصيلة والفروسية العالية المستوى مما اشتركت به تلك الشعوب وعرف عنها وأكدته اللقيات والرقم والرسائل والآثار وعلوم اللغة[٦٣] مما مرت الإشارة اليه وهكذا ظهرت هذه الأقوام وتابعت بناء حضاراتها وترسخت تسميات أقوامها وشعوبها في فجر التاريخ.[٦٤]

يبدأ في شمال اسم (نارت) الموغل في القدم بالإختفاء التدريجي مع انتهاء عصور الصيد وقطف الثمار والعبور الى عصر النيوليت والزراعة وتربية الماشية ويبقى محفوظاً في الأساطير والملاحم وتبدأ الأسرة بالتحول التدريجي الى نظام الأسرة الأبوية ونحو سيطرة الأب هذا التحول الذي يستغرق زمناً طويلاً ليتحقق على حساب النظام السابق (نظام الأسرة الأمومية) والذي يستمر طويلاً حتى يزول ويترافق ذلك بالتحول الديني في عبادة قوى الطبيعة وعلى رأسها (الكون والسماء والشمس الخ..) وتظهر التسمية الجديدة (أنت) مما يتفق تماماً مع المرحلة الحضارية والإجتماعية والتي تتحول مع الزمن الى تسمية (أديغ) في القسم الغربي و (ديغست) في الجزء الشرقي ولايخفى على القارىء معنى دَ أو تَ حسب اللهجات وتعني الأب والتسميتان هنا واحدة وهي (ديغ) لأن الألف أداة نداء ومقطع ست تعني البلد والموطن وقد بدأت وفي عصور الميلاد تسميات قبلية وجهوية مثل (الميؤوت والسند وفيما بعد الزيخ والساني والأباسغ وعشرات الأسماء للقبائل المختلفة مما يسمى مجموعة (أدغة وبخ ابخاز) وامتدادهم القديم في الأناضول وايران و والرافدين[٦٥] والتي ظهرت تسمياتها الموافقة زمنياً تسمية (الأنت) وكانت السومريون والحاثيون والكاسك وهم كاشيو. بابل والعيلاميون قبل اندماجهم بالأقوام التي جاءت بعدهم أما الجزء الشرقي فقد انقسم في المكان الى شعب الوايناخ بقبيلتي الششان والفلفاي وربما بعض القبائل المحلية في الداغستان وامتدادهم الجنوبي عبر الدربند في الآرارات وحوضي نهر كورا أراكس والأناضول الشرقية وأعالي الفرات وسمي الأورارتين والحوريين والميتانيين الذين ربما كانوا شعبتهم الرعوية كما يغلب ذلك كثير من المؤرخين من منطلق لغتهم الواحدة.

ولما كانت هذه الأنتشارات وهذا الاستيطان قد ابتدأ منذ النيوليت وقبل أو مع بدء تمايز اللهجات فإن لغات هذه الأقوام تشبه اللغة الأم القديمة ويمكن إظهار قراباتها اللغوية الى أية لغة من لغات شعوب شمال القفقاس الأصلية (المحلية) اليوم وبنفس الدرجة من القرابة شأنها في ذلك شأن اللغات السامية أو اللغات الهنداورية.

١ ـ كتاب مدخل تاريخ الشركس (سبق ذكره) يورد اسم الحاثيين والكاسك والسومريين وشعوباً أخرى كثيرة ويجمعها تحت اسم شعوب البحر الأبيض المتوسط عن جارده صفحة ٩٥ ويعتبر العلمـاء الكاسك جـزءاً من الحاثيين ويعتبرون اللغة الكاسكية (الكاشية) لهجة في اللغة الحاثية ومنهم (فوريد . ب ب اوشاكونوف ـ طورغ ـ وليكشفيلي ـ دونانيسكي ـ دياكونوف وغيرهم)عن محاضره للدكتور زهدي سطاس .

٢ ـ كتاب شجرة الحضارة . د. رالف لنتون صفحة ٢٤٢ : مع ازدياد معلوماتنا نرى أن الأناضول في منطقة جنوب غرب آسيا بدأت بالظهور الآن كمركز مهم لنمو الحضارة النيوليت التي ظهرت في وسط أوربا فنرى أصول منشأتها في هذه المنطقة ... بالرغم من أننا الانكاد نعرف اي نقوش عثر عليها في هذه المنطقة قبل قيام الامبراطوريه الحثية حوالي عام ١٨٠٠ ق.م (لقد تطورت الدراسات والحفريات وعثر على مواطن الحضارة النيوليتية في شاتال هيوك وشالالار فيما بعد) فإن أقدم الوثائق المكتوبة تدل على أن الحالة السائدة هناك لم تختلف كثيراً عما هو سائد الآن في القفقاس (يقصد شعوب الامبراطورية الحاثية التي نجد أصولها في القفقاس الشمالي)

٣ ـيعتبر المؤرخون دويلات المدن السومرية (الديمقراطيات الحربية) وكذلك كانت المدن الحاثية التي يحكمها أمراء مستقلون وكذلك المدن العيلامية فلقبوهم بملوك الطوائف وكذلك المدن الاورارتية

٤ ـ مدخل تاريخ الشركس (سبق ذكره)

٥ ـاقدم الحضارات في الشرق الأدنى (سبق ذكره)ص١٥٧ لقد انتشرت هذه الحضارة (تل حلف ٥٠٠٠ ق.م) على شكل قوس من نهر الفرات الى الزاب الأكبر وبينما كانت الحدود الجنوبية لهذه الحضارة محدودة بشكل دقيق فإنه من المحتمل ان تكون جبال طوروس حدودها الشمالية مع جيوب منتشرة هنا وهناك في الهضبة الاناضولية الى الشمال من هذه الجبال

وتعتبر حضارة حلف من الحضارات النشيطة بشكل خاص وليس لها ماتدين به إلى حضارة حسونه أو سامراء ومن المحتمل أيضاً أن يكون الذين أسسوا هذه الحضارة هم القادمون الجدد من المناطق الشمالية .

٦ ـ انظر المرجع السابق ص ١٦٣

٧ ـاطلق عليها سترابون (الشهب السبعة) لعظيم حضارتها وحدد موقعها قرب طرابزون الحالية

٨ـيمكن فهم هذه التسميات باللغة الآديغية بقليل من التحليل الى المقاطع وخاصة العاصمة (حاثوشاش) ويمكن ان تقطع على النحو التالي (حاتو + شِ + آش) وتعني مربط خيل الحاثيين

٩ ـيشبه نظام الأمارة الذي استمر في شمال القفقاس الى وقت متأخر

١٠ ـ الانتخاب من اهم المفاهيم الديمقراطية التي اتصفت بها هذه الشعوب

١١ ـ سوسرقة: تعني ابن الراعي باللغات القفقاسية الشمالية

١٢ ـ حسب ب ب بتروفسكي فقد عرف معدن النحاس في الأناضول منذ الألف الثامن

والبرونز منذ الألف الرابع

١٣ ـ تعود هذه الصناعة الى الألاف الثاني ق.م وهو اقدم تاريخ المعرفة هذه الصناعة

١٤ ـ يرى العالمان (انياتون ـاردزينا) ان الحاثيين وفي حدود عام ٢٠٠٠ ق.م تمكنوا من استخراج الحديد وصهره مع الفحم

١٥ ـ اسمـــاء القبـــائل الحاثية في الأناضول كما اوردها (كنت كورس) تيبراني ـ هالدي (اورارتو) ساني ـ كركيت ـ جاليت ـ موزيني ـ أبابيت ـ الزيخ ـ المارد ـ الاز وكل هذه القبائل متواجدة اصولها في القفقاس الشمالي وبنفس التسميات

١٦ ـ يرجى الرجوع الى كتاب اصل الشركس (سبق ذكره) ص١٦٤ حيث يورد وصفاً لرحلة كزينفون الشهيرة الذي يعدد اسماء القبائل التي مر بها اثناء عبوره شمال الاناضول وشمال ايران حيث اخترق ديارهم فتحالف مع بعضهم وحارب آخرين ويصف لنا شعب الموزنكوي (لاحظ مقاطع الاسم باللغة الأديغية Mas Uno Koiy وتعني (بلاد بيوت الغابة) حيث كانوا يبنون بيوتهم في الغابات.

١٧ ـ المرجع السابق: ان التدخل الصنعي في نمو الأعضاء كان عادة شائعة عند الشـركس حيث كانت الفتيـات والى عقـد قريب يرتدين قميصاً جلدياً يمنع نمو الصدر و لاينزع الا عند الزواج وكذلك عصابة الرأس المذكورة فربما كانت عند قبيلة الشابسوغ وربما كان اسمهم مشتقاً من الشحابسوغ.

١٨ ـ المرجع السابق

١٩ ـيرجى الرجوع الى كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا (الهامش ٤٢٠) سبق ذكره

٢٠ ـ المرجع السابق (يلاحظ الاسم أنيتا (أن ـ يي ـتا) وهو اسم الأمة التي ينتسب اليها الشركس في عصور عبادة السماء (أن) وسيادة الأسرة الابوية ومعنى الكلمة باللغة الأديغية (نحن ملك لإله السماء)

٢١ ـ المرجع السابق يعتبر الباحثون المحدثون ان الحاثيين هم الذين انشأوا دويلات المدن التي توحدت جميعها تحت راية ملك (كوشار الحاثية وملكها *انيتا*) ارجع الى دراسة معنى كلمتي (كشار وانشار) في بحث المسالة السومرية.

إن ملكشيفل ايضاً يعتبر أن المملكة الحاثية ظهرت في مراحل ازدهار الحاثيين وازدهار حضارتهم الحاثية ويعتبر الباحثون الأن ان الامبراطورية الحثية بمضامينها كانت قد استوعبت حضارة الحاثيين القدماء واقتصر دور الحثيين على الوصول الى السلطة السياسية بعد عام ١٥٠٠ ق.م

٢٢ ـ يرجع الى دراسة بقلم د. زهدي سطاس

٢٣ ـ دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة سبق ذكره

٢٤ ـ الهامش ٢٢ إذ يقول لا نستطيع تحديد القرابة في اسماء الملوك بعد عام ١٥٠٠ ق.م وربما كانوا حاثيين وقد تراجعت اللغة الحاثية منذ هذا التاريخ وحلت محلها اللغة الحثية حيث بقيت الأولى لغة علم ودين تماماً مثلما حدث للغة السومرية (المؤلف)

وعن انطون مورتكات من كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم: ان تشكيل هذه

الامبراطورية في الواقع من الوجهة التركيبية(أي نظام الدولة الاتحادي) يعكس الحقيقة ان الفئة الأصلية من السكان المغلوبة على امرها كانت في كثير من النواحي أكثر تحضراً من الفئة الغازية (إن هذا يؤيد ما ذهبنا اليه) وما وجدت في الامبراطورية الحثية لغة واحدة بل لغات عديدة او خط واحد للكتابة بل خطان

٢٥ ـ لقد عظم خطر الشعوب الرعوية منذ الألف الأول بعد الميلاد ولقد كانت الهجرات في بداياتها الأولى تتم عن طريق التغلغل والمساكنة غالباً حتى تتم الغلبة الديمغرافية ولكن انتهاء احتكار شعوب الأسرة القفقاسية لأساليب ترويض وتربية الحصان وتعدين الحديد وانتشارها في العالم بعد دمار الامبراطورية الحثية(١١٩٠ ق.م) وتوزع هؤلاء المهنيين وقد بدأت هذه الهجرات تأخذ طابع الاجتيــــاح المدمـــر لتوفـــر عاملي السلاح القوي والسرعة (يرجى الرجوع الى مباحث الاجتياح الكيميري الاسكوذي)

٢٦ ـ نذكر بإستشارة جلجامش لمجلس الشيوخ ومجلس الشبان الواردة في معظم الدراسات التي تبحث الحضارة السومرية والتي غدت متوفرة باللغة العربية

٢٧ ـ يرجى مقارنة (آمارج) الألف أداة نداء يا التي تعني الحرية حسب تفسير قراء السومريات وعلى مسؤوليتهم .!!وكلمة (آمارج) المستخدمة حتى الآن باللغة الآديغية وهي نداء لإستشارة الحمية والشهامة وكلمة (مامر) التي تعني الحرية باللغة الآديغية .

٢٨ ـ يرجى الرجوع الى قانون اورنموالملك السومري والذي يعتبر اول قانون مدني ويعتبر الاساس لكل ما جاء بعده حتى يكتشف ما هو اقدم منه وهو يطبق مبادىء اكثر انسانية ورقياً مما جاء بعده ونقصد (مبدأ التعويض المادي) بدلاً من مبدأ العين بالعين والسن بالسن هذه القاعدة التي جاءت فيما بعد مع سيادة الشعوب الجديدة التي هجرت حياة الرعي وأقامت امبراطورياتها على انقاض دويلات المدن

٢٩ ـ يرجى الرجوع الى كتاب دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم د. أحمد أمين سليم ص٨٠

٣٠ ـكتاب اكتشافات مثيرة لأحمد سبانو: استخرج الحاثيين الحديد وحولوه الى أدوات مختلفة ودخل اسمه في اللغة الحورية والأكادية واللغات الهنداوربية الأخرى وقد عرف الحديد المطاوع منذ عام ١٩٠٠ ق.م عند الحاثيين (ووجدت مواضع فيها خبث الحديد بكميات كبيرة في شمال القفقاس وبلغ الحديد ذروة ازدهاره عام ١٥٠٠ق.م ولم ينتشر في العالم الا بعد سقوط دولة الحثيين وتبعثر سكانها ومنها الحدادين بعد عام ٦٠٠ ق.م ولم يعرف اليونان الحديد حتى عام ١٢٠٠ق.م بعد دخول الآخيين من الأناضول

٣١ ـ شجرة الحضارة د.رالف لنتون ٣٢٠ ان اقدم دليل على استعمال الحديد المصهور وليس حديد الشهب جاء الينا من المنطقة الحاثية في الأناضول بين ١٥٠٠ ـ ١٨٠٠ ق.م ويبدو ان الحثيين حاولوا الاحتفاظ بإحتكار معدن الحديد فقد أعرض ملك الحثيين عن اقتراح الملك المصري لتبادل الذهب بالحديد واستعاض عن ذلك بإرسال خنجرين ذوي مقبضين من الذهب وسلاحين من حديد مطروق وليس من الفولاذ ويبدوأن واحداً منها حفظ كتذكار عائلي وقد عثر عليه في مقبرة توت عنخ آمون

٣٢ ـ بعد العثور على المركز الاداري للإمبراطورية في (تابيغي)
٣٣ ـ لقد كان للملك الحثي أكثر من اسم واحد وهذه الأسماء يمكن تحليلها وفهمها بوضوح باللغة الأديغية لغة حوض الكوبان
٣٤ـ كشف التنقيب في مدينة بوغاز كوي الحالية ١٠,٠٠٠ رقيم حاثي كتبت بالخط المسماري الصوري وتعود الى عام ١٣٠٠ ق.م
يمكن أن نفسر كلمة حات او حاتو على النحو التالي: حَ الشعير تو المخزن بما يتناسب مع معرفة زراعة الشعير المبكرة وكلمة (حـ لغ) الخبز مر ذكرها في مباحث المسألة السومرية ولكن إذا أردنا تفسير اسم حات بما يتناسب مع المرحلة الحضارية واسماء نارت وانت الشمال قفقاسية والتي تعني (عطاء الإله) فهكذا تكون كلمة (تحات) عطاء او منحة الإله وقد تكون التاء حذفت مع الزمن ولتخفيف نطق الكلمة
٣٥ ـ مورغان Les Memoires de la delegation francaise en perse
٣٦ ـ تاريخ الشرق الأدنى القديم (سبق ذكره) ص٢٥٧
٣٧ ـ المرجع السابق
٣٨ ـ تاريخ ايران القديم ـحسن بيرنا.
٣٩ ـ تعيين لغة العمود الثاني بواسطة النظرية اليافثية (آمور بتروغراد ١٩١٢)
٤٠ ـذكرهم الجغرافي العربي بإسم الكشك او الكاشك وحدد موطنهم الأصلي في شمال القفقاس وقد قدم لهم وصفاً مسهباً قرب طرابزون
٤١ ـ يرجى الرجوع الى كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم سبق ذكره
٤٢ ـ يرجى الرجوع الى كتاب دراسات في حضارات غرب آسيا سبق ذكره
٤٣ ـ المرجع ٤١
٤٤ ـ محاضرة بعنوان (تاريخ الشركس القديم) د.زهدي سطاس
٤٥ ـ مدخل تاريخ الشركس سبق ذكره
٤٦ ـ اورارتو مملكة قديمة تأليف ريمي شنايدر ترجمة وحيد خياطة
٤٧ ـ يرجى الرجوع الىمباحث حضارة شمال القفقاس من هذا الكتاب فترة البرونز المبكر وحضارة نهري كورا اراكس وعلى كل بلاد الداغستان الجبلية وفي ششانيا وحتى الأناضول الشمالي الشرقي
٤٨ ـ مرجع رقم ٤٦
٤٩ ـ كانت امارات مستقلة في كل منها أميرها حتى تمت استعارة الإله (هالدي) من الفرس
٥٠ ـ مرجع رقم ٤٦
٥١ ـ يلاحظ التعامل الاورارتي الحثي الحوري المشترك في مجال تربية الخيول وتدريبها وكذلك كان فيما يتعلق بأمور الصناعة المعدنية والصياغة (اورارتو ص٤٦)
٥٢ ـ ان دولة اورارتو لم تسقط بيد الاسكيت حرباً وانما اصبحت مقاطعة ميدية وتم احتلالها سلماً مثلما حصل فيما بعد عندما تسللت اليها مجموعات القبائل الفريكية الأرمنية دون أن يشعربها أحد حتى حققت الغلبة الديمغرفية وكانت اطول إقامة لهم في

مقاطعة لهاسا التي شكلت فيما بعد دولة ارمينيا الصغرى وعندما دخل اليونان الى ارمينيا وجدوا فيها نوعين من السكان النوع الأول الذي استوطن الوديان ويعمل في الزراعة ويرتدي ثياب الشعوب الغريكية ويتكلم لغتها اما النوع الثاني فقد لجأ الى الجبال بإنتظار الفرصة المناسبة لإستعادة بلاده المفقودة وقد اطلق عليه هيرودوت الشعب الالرودي وسماه كزنيفون (الهلداوي) ووصفه بأنه شعب حر وشجاع ـ المرجع ٤٦ ـ

(نتسائل عن دخول الأرمن وتسللهم الى شواطىء البحر الأسود ومنطقة حوض نهر الكوبان وشرائهم الأراضي بأي ثمن وذلك بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي ان كان ذلك يندرج في إطار عملية عالمية تقف وراءها قوى عالمية وقد نسمع عن إنشاء كيان ارمني في أخصب اراضي شمال القفقاس واكثرها اهمية واستراتيجية وذلك خلال السنوات القادمة بعد أن يحققوا الغلبة الديمغرافية فيحققوا ما عجز الروس والجورجيين عن تحقيقه حتى الآن ـ المؤلف ـ)

٥٣ ـ المرجع السسابق ص ١٧ ـ الأرمن اليوم لايقبلون كلمة ارمن التي تعود الى الملك ارامة الاورارتي القفقاسي ويصرون على النسب المزدوج (اورارتحة ـ هاياسي) وهذه الكلمة يمكن ان تفهم على النحو التالي

أورارتحة: وتعني باللغة الأديغية وباللغات القفقاسية (إله اورارتو) دليل انتسابهم للاورارتيين القفقاسيين

هاياسي: تدل على نسبهم الى الملوك الغريكيين الأوائل (هايك ـ هوك)

٥٤ ـ كتاب دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم (سبق ذكره)

٥٥ ـ المرجع السابق

٥٦ ـ دراسات في حضارات غرب آسيا (سبق ذكره ص٧١٣)

٥٧ ـ المرجع السابقص٣٦٨ ـ ٣٦٤

٥٨ ـواشكه تعني المطر حتى اليوم بلغة الأديغة وشكه اله المطر عند الحاثيين القدماء اشكور Ishkur إله سومري خاص بالزوابع والمطر

٥٩ ـ يرجى الرجوع الى دراسة ناميتوق باللغة الفرنسية

Le uan du dieu de l orage chez les Hitites et des Kassite

٦١ ـ كتاب شجرة الحضارة د.رالف لنتون ص ١٤٩ كانت المدينة حدثاً واكتشافاً اجتماعياً له نتائج بعيدة المدى في جنوب غرب آسيا وتطورت في بلاد ما بين النهرين ٤٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ ق.

ص ١٣١: وهناك نقطة اخرى تستحق الذكر من حضارات منطقة البحر الأبيض المتوسط حيث لم يتكلم أي شعب من شعوب النيوليت التي كانت تسكن المنطقة او هاجرت منها لغة من اللغات الهنداوربية وقد قدمت النقوش في عصر البرونز المتأخر وعصر الحديد المبكر تصوراً على ما يمكن ان تكون عليه تلك اللغات يضاف اليها مابقي حتى العصور الحديثة كلغة الباسك ولغات البربر في شمال افريقيا (ص ١٤٩) (يستغرب كيف لا يذكر لغات شمال القفقاس والباسك هي هجرة قفقاسية نحو الغرب ولكن القفقاسيين يسكنون حتى اليوم قمة اقوس الحضاري ولاتزال لغاتهم موجودة ـ المؤلف

٦٢ ـ ان تكشف الحضارة المتطورة لحوض القويان وامتدادها الشرقي حتى نهري كورا واراكس زمن البرونز المبكر ينسجم تماماً مع فكرة ان ننسب القفزة النوعية للصناعة المعدنية التي أقرها الكثير من المؤرخين والباحثين إلى الشمال الجبلي الاناضولي القفقاسي حيث تكثر هذه المعادن (انظر مصور انتشار معدن النحاس غربا الى اوربا ص ١

٦٣ ـ كتاب شجرة الحضارة ص ١٤٩ : سبق ذكره لا توجد لدينا في هذه المرحلة من البحث ما يدل على نوع ذلك التنافس اللغوي الذي خلف لنا في غرب اوربا الكثير من اسماء الأماكن التي لا تمت الى اللغات الهنداوربية بصلة كما ترك شعب الباسك في عزلة لغوية

ص ١٥٠ : كانت القبائل الأرية تجهل القراءة والكتابة عندما ظهرت على مسرح العالم القديم

(ربما لم تكن هذه السمة خاصة بالقبائل الآرية وانما كان عدم معرفة القراءة والكتابة صفة لا زمت الشعوب الرعوية ةكلها حتى استقرت،وربما كان ذلك ناجماً عم عدم الاستقرار والترحال الدائم)

٦٤ ـ رمز الراعي: اسهب الكثير من المؤرخين في شرح رمز الراعي واثره في نشوء فكرة السلطة والحكم وقد دخل هذا الرمز ركناً أساسياً من أركان اساطير الأبطال في الحضارات القديمة وهو الراعي الذي يلتقي انان وعشتار وايزيس وستناي الخ.. عند النهر وتحدث نتيجة هذا اللقاء ولادة البطل

وفيما يتعلق بأثر رمز الراعي في لغات وتسميات شعوب الأسرة القفقاسية نجد هذه الكلمة او هذا الرمز يتكرر في أسماء المدن والملوك والآلهة مما يدل على قدمها واسبقية ميتالوجيتها وقديم انتشارها والكلمة والمقطع الذي يدل على الراعي في لغاتها هو (شوش) او سوس) وقد دخل هذا اللفظ اللغات السامية والعربية فصارت (سائس وسياسة) ومن الجدير بالذكر ان هذه الكلمة تعني حرفياً (راعي الخيل) وليس اي راعي آخر لأن راع الغنم له اسم خاص وراع البقر كذلك له اسسم خاص بهذه اللغات فكلمة (شوش) والحال هذه تعني راعي الخيل او مربي الخيل او الذي يقود ويسوق قطيعاً من الخيول فحرف شِ تعني الحصان وحرف شِ تعني ساق او قاد مما نستنتج منه احد امرين

أولاً : قدم استئناس واستخدام الخيول لدى هذه الشعوب وان من يسوق الخيول او من يستخدمها ويمتلكها تبوأ منزلة عالية في هذه المجتمعات (طبقة الفرسان ـ الميتانيون)

ثانياً: استخدمت هذه التسمية لدى العيلاميين بشكل واضح مما يجعلنا نتساءل ان كان استئناس الحصان قد تم بزمن اقدم بكثير من الألف الثالثة ق.م وهو التاريخ المقترح لاستئناس الحصان استناداً الى المعطيات الأثرية التي توفرت في شمال القفقاس والى الشمال الغربي منه حتى الكربات (مصور ص ١٩)

إن الملاحظة المؤكدة والجديرة بالاشارة إليها هي الدور الكبير الذي لعبه راعي الخيل (الفارس) بالتحديد وكذلك الحصان في تاريخ وحضارات هذه الشعوب وميتولوجياتها مما ترك آثرا واضحاً في لغاتها كما سنرى وكذلك يجب ان نشير الى حرف (ق ـ قه) القاف الذي يأتي في اواخر الاسماء وهو خاص بهذه اللغات ويعني (إبن) وهو يلحق اسماء معظم العائلات،

الشركسية حتى اليوم (انجوق ـ ماستروق ـينموق جوناتوقة ـنجوقه ـ خوشتوق) وهكذا فحرف (القاف) يعني ابن فلان ويلحق أخر الاسماء والآن نستعرض بعض التسميات التي ورد فيها مقطع (شوش او سوس) راعي الخيل ومقطع قَ او قه وتعني ابن

سوسرقة: تعني حرفياًابن راعي الخيل وهو اسم البطل الاسطوري لدى الآديغة حوض الكوبان (يرجى الرجوع الى ص)

سوس او شوش :وتعني الراعي (الخيل) وهم اسم العاصمة العيلامية

شوشينق: اسماء ملوك عيلام وكذلك اسم كبير الآلهة عندهم والمقطع (ين) يتعني الكبير والكلمة تعني (ابن الراعي الكبير) او (إبن كبير الرعاة)

سوسنقة: اسم مدينة عيلامية وحرف النون هنا مصدرية (ن) والكلمة تعني (ابن الراعي) ويمكن ان تكون مجازاً بمعنى (مدينة الرعي)

شوشاتار: اسماء ملوك الحوريين الميتانيين (الذين عرفوا بالفروسية وانهم طبقة من الفرسان) والحرف (تَ أو تا) تعني العطاء وحـــــرف (ر) هي ال التعـــــريف والمعنى هو (عطاء الراعي) منحة الراعي)

حاتوشاش:اسم العاصمة الحثية وتعني (مربط خيل الحاثيين)

هيكسوس : اسم شعب دخل وادي النيل غازياً وجلب معه العربات التي تجرها الخيول وحكمت منه خمس اسر حاكمة ثلاث اسر في الدلتا واثنتان في الصعيد وربما كانت الكلمة تحريفاً ل كلمة حيتكسوس او هيتسوس

شوشينق وتكتب ايضاًشوشيناك وهو نفس اسم ملوك عيلام وكان اسماً لملوك الهكسوس.

٦٤ ـ مكرر

يؤكد الدكتور توفيق سليمان على هذه الحقيقة عندما يتحدث عن الكاشيين ص ٢٦٢

لم يجلب الكاشيون معهم الى بلاد ما بين النهرين سوى ظاهرة حضارية جديدة..!؟ هي معرفتهم الجيدة لتربة الخيول وقد وضعوا فهارس للكلمات الفنية الخاصة بتربيتها والعناية بها وتحسين سلالتها وهذا يشير الى ان مناطقهم الأصلية تقع في أواسط آسيا الصغرى ...!؟؟

ويقول ص٣١٢ : بشأن الحوريين الميتانيين:عرفت هذه القبائل شأن الكاشيين والهكسوس تربية الخيول التي انحصرت في يد فئة معينة منها وشكلت بواسطتها طبقة من الفرسان اطلق عليهم اسم ميتاني.

اننا نميل الى تأكيد هذا الرأي لموافقته للتطور الاجتماعي الذي اصاب اسرة هذه الشعوب اثر تأنيس الحصان ونشوء طبقة من الفرسان المحاربين بين صفوفها كما حدث في شمال القفقاس ونخطىء الرأي الذي يدعي بأن الميتانيين هم هجرة هنداوربية قدمت الى الحوريين وتعلمت لغتهم كونت سلالة مالكة لديهم.

٦٥ ـ يورد البرفسور (ناميتوق) في كتابه الأكاديمي القيم (أصل الشركس) ترجمة الدكتور فؤاد دوغوظ ص ٩٤ ـ مقارنة للغة الاورارتية بلغات شمال غرب القفقاس (آديغية ويخ ابخاز) وهي بحسب رأينا صالحة لمقارنة ايضاًبلغات (شمال شرق القفقاس) ربما كان

المانع هو عدم معرفته اللغة الششانية وهي مثلما فعلنا من مقارنة اللغة السومرية باللغة الآديغية تندرج في جملة الألدلة والاثباتات الموثوقة على انتساب هذه الشعوب وحضاراتها والتي أطلق عليها المؤرخون عبارة (الشعوب الجبلية) وتحاشوا بحث أصولها ونسبها فاضفوا بذلك مزيداً من الغموض(الذي ربما لم يكن مقصوداً) على انتمائها وكان من الأفضل لو بذلوا القليل من الجهد لتحديد انتمائها الى اسرة الشعوب القفقاسية الأصلية او المحلية Paleo Caucasien ودراسة انتشارها منذ النيوليت في مجمل القوس الحضاري ودراسة حضاراتها في مختلف الأماكن التي استوطنتها (٨٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق./)

واكتشافها الزراعة وتربية الماشية ثم بناءها للحضارات المدينية الزراعية والديمقراطية الحربية واكتشافها الكتابة الصورية للغاتها المقطعية قبل اندثارها واندماجها بالشعوب القادمة من المراعي الشمالية والجنوبية:. ان اهمال تنسيب هذا الإرث الحضاري الضخم لمجرد انه لم تعد هناك شعوب كثيرة العدد تسود العالم اليوم بلغاتها لانعتقد انه يعفي البحاثة والمؤرخين مسؤولية التقصير وعدم الاكتراث وينطبق الحال هنا على حال الإرث الكبير الذي لم يعد يجد وريثاً فآلت ملكيته للدولة ونورد هنا موجزاً للدراسة المذكورة أعلاه:

أل التعريف في اللغة الاورارتية: at هي نفسها في اللغة الابخازية at

كلمة فارس باللغة الاورارتية آسي asi بالأبخازية آتشي aci\أي حصان وبالآديغية شي se تعني الحصان و شو sewa بمعنى فارس (يرجى الرجوع الى الصفحة السابقة في بحث كلمة (راعي الحصان)

الطعام باللغة الأورارتية آشخا asxa والخاء في هذه اللغات مقربة للهاء وبالآديغية ـ شخه sxe ـ

المكان باللغة الاورارتية آسي esi وبالآديغية شي أوسي حسب اللهجات وهو حرف يلحق اواخر الاسماء للدلالة على المكا

ال التعريف الأورارتية التي تلحق اخر الاسماء (آر ـar) ومثلها في اللغة الآديغية وكذلك تتماثل تماماً لاحقات حالة الإضافة (آيي ـآي ـ iei ، ai) وحالة المفعول به والرفع (الفاعل)

وكذلك نجد لاحقة الجمع مشتركة لدى الجميع وهي خ x ـ مقربة للهاء

نجد أن ضمير المتكلم أنا باللغة الاورارتية هي (يسه ـ iese) وبالآديغية (سه ـ se) والضمير هو الأورارتية (مه ـ me) وبالآديغية (ما ـ ma) وهي قرينة الشخص الثالث أي الغائب في حالتي المفرد والجمع.

الاعداد الترتيبية بالأورارتية (تاراني tarani) والثاني (شستاني ـ sistani) الثالث تطابق في اللغة الآديغية (توانه tuane) الثاني (شانه ـ sane) الثالث وهكذا تصاع الاعداد الدالة على الترتيب في كلتا اللغتين بإضافة المقطع (نه ne)

ـ إن المصدر في اللغة الاورارتية يضاف اليه (حرف النون ١٦) وكذلك في اللغة الآديغة وبعد دراسة مطولة لأسماء الاعلام والأمثال والأمكنة والصيغ المختلفة للازم والمتعدي والمبني للمعلوم والمجهول يصل البرفسور ناميتوق الى نتيجة أن القرابات (الميدو ـ آزية ـالشركسية) ليست فقط فرضية واحتمال وانما هي حقيقة مؤكدة.

الفصل الثالث

شعوب القفقاس الشمالي (الشركس)

١ ـ جغرافية الوطن القفقاسي الشمالي

١ . البناء

٢ . الجيولوجية

٣ .الموقع والحدود

٤ . المناخ

٥ . أقاليم شمال القفقاس

٦ . الحياة البشرية

٧ . الحياة الاقتصادية

٨ . الواقع الثقافي الإجتماعي

٢ ـ حضارة الإنسان القفقاسي الشمالي في العصور الحجرية

٣ ـ حضارة الإنسان القفقاسي الشمالي في فجر التاريخ (عصر البرونز ـحضارة حوض الكوبان)

١ ـ جغرافية القفقاس الشمالي

قبل البدء بدراسة تاريخ شعوب شمال القفقاس (الشركس) على أرض موطنها الأصلي الذي هو شمال القفقاس، لا بد من القيام بدراسة جغرافية تعطي فكرة عن الأرض والبيئة والوطن الذي عاشت فيه هذه الشعوب وأقامت حضاراتها على أرضه.

أولاً: البناء: تشكل القفقاس الشمالي نتيجة حركات أرضية بنائية منذ (١٠) مليون سنة وأهم هذه الحركات (مولدة للجبال) إحدهما جاءت من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي

و نتج عنها نهوض عظيم للسلسلة الرئيسية مع سلاسل جانبية، وجاءت الحركة الثانية بإتجاه معامد للحركة الأولى من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي، تولدت منها سلاسل جبلية تحتل معظم المنطقة بين السلسلة الرئيسية وساحل بحر قزوين في منطقة الداغستان مكونة تضاريسها الجبلية المتعامدة.(١)

وبناء على ماسبق فيمكن القول أن سلاسل جبال القفقاس التي هي المظهر الأساس في تضاريس المنطقة إنما هي جزء من الإلتواءات الألبية الهيمالائية التي حدثت في الزمن الثاني والثالث، وقد ترافق هذا النهوض بنشاط بركاني شديد في بدايته، وكذلك رافقه تجدد للنشاط البركاني في آخره، مما أدى الى تشكل القمم العالية في هذه السلسلة.(٢)

إن هذه الحركات الأرضية البنائية هي التي ولدت مظاهر التضاريس الكبرى في المنطقة والتي يمكن أن نعددها من الغرب الى الشرق على النحو التالي:

اولاً: ساحل البحر الأسود

ثانياً: سلاسل الجبال والهضاب الكلسية

ثالثاً: الجوف أو المقعر الذي يجري فيه نهري الكوبان والترك، الأول يساراً الى البحر الأسود والثاني يميناً الى بحر قزوين، تفصلهما عتبة بيتا غورسك الاسم الشركسي (بسه هوابة)

رابعاً: ساحل بحر قزوين

وقد تتالى على هذه البنى أنواع الحت وخاصة (المائي والجمودي) وغيرهما مما شكل في النهاية التضاريس الحالية لأرض القفقاس الشمالي.

ثانياً: الجيولوجيا
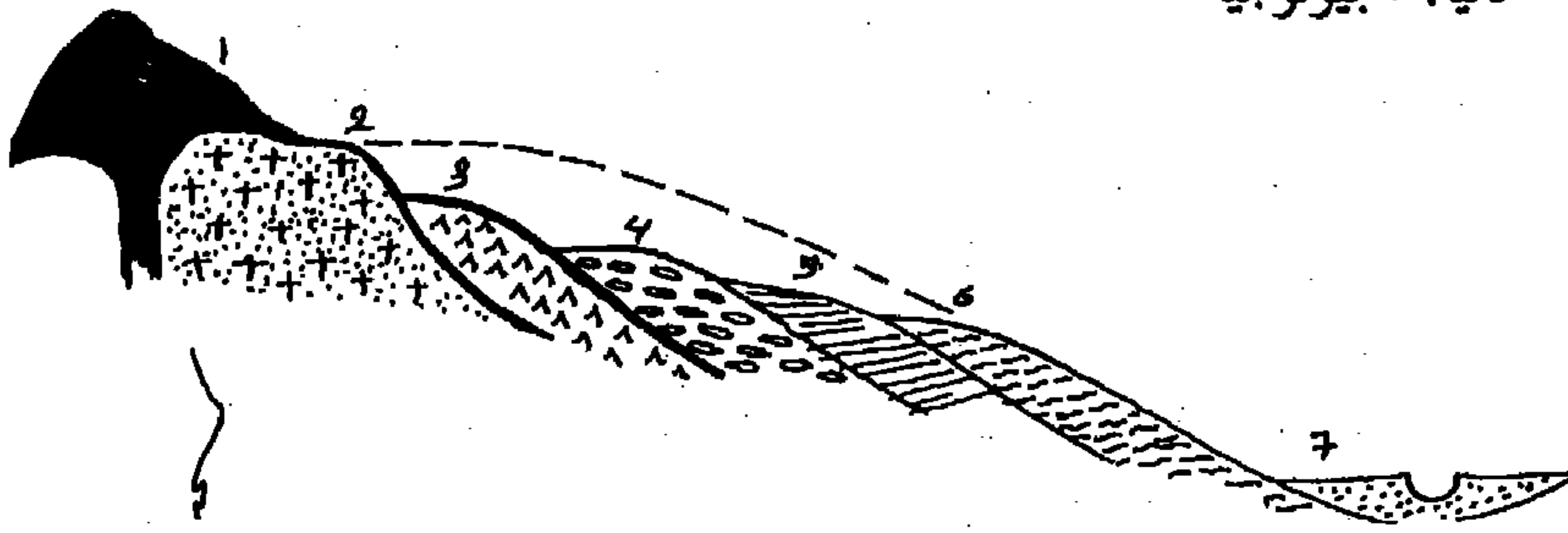
مقطع يمكن أن يمثـل تطبـق الصخـور في شمال القفقـــاس ١ ـ مخاريط البراكين. ٢ـ الصخور المتبلورة (الغرانيت). ٣ ـ صخور الترياسي. ٤ ـ صخور الجوراسي. ٥ ـ حواري كريتاسي. ٦ ـ الدور الثالث. ٧ ـ الرباعي.

لقد تشكل الالتواء من الصخور المتبلورة للدور الأول - الباليوزويك - المشكلة من الغرانيت، وعلى طول السلسلة الجبلية نشاهد تكشفاتها مترافقة بالصدوع والكسور وانبثاق النشاط البركاني الذي شكل المخاريط البركانية والقمم الجبلية العالية، ثم تتكشف صخور الترياسي والجوراسي في المواقع الأقل ارتفاعاً، تليها صخور الكريتاسي الحوارية، لتشكل معظم المناطق الهضبية التي تجتازها الأنهار الغزيرة السريعة الجريان حاملة الرمال والحصى والطمي الذي تفرشه في المقعر الأرضي وقرب مصباتها في السهول الساحلية مشكلة أراضي الرباعي (٣)

ثالثاً: الموقع والحدود: يعتبر القفقاس الشمالي وحدة جغرافية إقليمية متكاملة لها موقعها وصفاتها وميزاتها الخاصة بها ولايجوز إلحاقها بإقليم السهوب في الجنوب الروسي، وهي بدون شك تتميز عنه وعن بلاد ما وراء القفقاس ، ويمكن لنا استناداً الى جملة المعطيات الجغرافية والتاريخية والبشرية أن نحدد موقعه استناداً الى الحقائق التالية.

إن هذا الإقليم واقع في القارة الأوربية وهو بدون شك نهاية أطرافها الجنوبية، كما درج على ذلك معظم الجغرافيين في حين تدخل المصادر السوفيتية اقليم ما وراء القفقاس ضمن حدود القارة الأوربية! وهو يتميز بكونه محصوراًبين بحرين من الشرق والغرب، وهما بحري الخزر شرقاً وهو بحر داخلي معزول ومغلق ومستواه دون السطح العام للبحار( )، والثاني هو البحر الأسود (بحر موط) المتصل بالبحر الأبيض عبر البوسفور وبحر إيجه، كما يتصل ببحر آزوف الصغير المتصل به عبر مضيق كيرش .

وهكذا فإن أرض القفقاس الشمالي لا تفتقر الى الحدود الطبيعية الواضحة، وكذلك حال الحدود الجنوبية التي تحددها خطوط تقسيم المياه للسلسلة الجبلية والممتدة مسافة ١١٠٠ كلم من شبه جزيرة تامان على البحر الأسود، وحتى شبه جزيرة أبشرون على بحر الخزر... مع ملاحظة اجتيازات جنوبية محدودة تدعمها الاعتبارات التاريخية عبر ممرين، هما الامتداد جنوباً عبر الشريط الساحلي الغربي مع الأقسام الشمالية الغربية من السلسلة الجبلية لتضم منطقة ابخازيا والتي تمتد جنوباً حتى نهر (إينغور) المنحدر من الجبال الى البحر فاصلاً أبخازيا الشركسية عن منغرليا الجيورجية، وامتداداً آخر جنوبي عبر ممر داريال الى اوسيتيا الجنوبية بمساحة صغيرة تبلغ (٣٩٠٠) كلم٢ .

إن هذه الاجتيازات جنوباً عبر خطوط تقسيم المياه في منطقتي أوسيتيا وأبخازيا ليست

تجاوزات إحتلالية وإنما هي أوطان هذه الشعوب منذ أزمنة فجر التاريخ و ما قبله عندما كانت أسرة الشعوب القفقاسية تستوطن بلاد ماوراء القفقاس وآسيا الصغرى، وفيما يتعلق بهذه المناطق فهي وطن الابخاز والأستين قبل قدوم قبائل (السفان) واحتلالها بلاد ماوراء القفقاس (جورجيا) وقبل تقدم الفريكيين واستيطانهم أرمينيا الحالية، فهي والحال هذه ليست تجاوزاص وانما هي ما بقي من رقعة انتشار القفقاسيين في آسيا الغربية.

أما الحدود الشمالية فهي الحدود التي لم تكن مستقرة في يوم من الأيام، لذلك يمكننا اعتبار مصب نهر القوما، هي الحدود التاريخية التي تراجعوا عنها بإستمرار نحو الجنوب (علماً إن الأنت تجاوزوا نهر الدون واستوطنوا شمال البحر الأسود في عصور ما قبل الميلاد ، كما سكن القبرطاي في شبه جزيرة القرم[٤]) .

لقد تراجعت هذه الحدود على الدوام تحت ضغط الشعوب المهاجرة والفاتحة نحو الغرب (الهنداوربيين) قبل الميلاد (الشعوب الطورانية) التي بدأت حركتها واجتياحها بعد عصور الميلاد وحتى القرن الخامس عشر ميلادية، لذلك استمرت هذه الحدود بالتراجع الديمغرافي السياسي الى خط يصل بين مصبي نهر الترك والقوبان مع الإحاطة من الشمال بهضبة بيتاغورسك وجبالها عشية العدوان الروسي.[٥]

أهمية موقع القفقاس: إن هذا الموقع الجغرافي كبوابة رئيسية للمرور بين القارة الأوربية والهند وغرب آسيا لعب دوراً هاماً في تاريخ وحياة شعوبه، فقد مرت به القوافل التجارية، ومر منه طريق الحرير وعبرته عبرالتاريخ الشعوب المهاجرة المجتاحة والغازية من الشمال الى الجنوب او العكس، وغدا في نهاية المطاف هدفاًحيوياً هاماً لتحقيق استراتيجية وطموحات كل من الإمبراطوريتين الكبيرتين آنذاك، وهما الإمبراطورية العثمانية التي استفاقت أخيراً لتحقيق حلمها الكبير للإتصال بالشعوب الطورانية في آسيا الوسطى لتتلقى منهم الدعم البشري اللازم للمحافظة على امبراطوريتها الواسعة التي بدأت شعوبها تستفيق وتناضل للتحرر، وكذلك حلم قياصرة روسيا بإحتلال القفقاس للوصول الى البحار الدافئة والحصول على حصة كبيرة من الرجل المريض بإحتلال عاصمتهم القسطنطينية ومن أجل ذلك روجوا من أنهم ورثوا الإمبراطورية البيزنطية الشرعيون والمدافعون عن المسيحية، وقد كان ذلك يمكن ان يتحقق لولا المقاومة البطولية العنيدة لشعوب القفقاس الشمالي مدة قرن ونصف من الزمن تكبد الروس خلالها حوالي مليوني جندي دفنوا في أرض القفقاس الشمالي فتوقفت طموحاتهم عند حدود القفقاس ولم يتمكنوا تجاوز ذلك الى آسيا الصغرى بإتجاه القسطنطينية اوبإتجاه الشرق نحو الهند.[٦]

مصور القفقاس الشمالي وما وراء القفقاس

مشكلة الحدود الحالية: لنتمكن من شرح واقع الحدود الشمالية الصنعية الحالية، لابد لنا من نبذة تاريخية لإيضاح واقع هذه الحدود وكيف تم رسمها.

إنه وبعد الحرب العدوانية الطويلةالأمد(١٧٢٠ - ١٨٦٤) والتي انتهت بإحتلال الروس أراضي القفقاس الشمالي، وكان الشركس قد تعرضوا اثناءها لأعمال الإبادة الجماعية ثم التهجير القسري من بلادهم وتشتيتهم في أنحاء متفرقة من أراضي الدولة العثمانية، كما تم إعادة تهجير من بقي من السكان وانتزعت الأراضي والسهول الخصبة منهم وتم إحلال القوزاق والمستوطنين الروس في أراضيهم أو تم إعلانها ملكيات دولة، وهكذا بقي القفقاس الشمالي طوال ٤٣ عاماً تحت الاحتلال القيصري الروسي يعاني شتى أنواع الممارسات الاستعمارية الاستيطانية.(٧)

وبعد انهيار الحكم القيصري وانتصار الثورة البلشفية، وفي خضم صراع الأحداث أعلن القفقاس الشمالي توحده، وأعلن قيام الجمهورية الأولى لعموم شمال القفقاس في ١ / ٥/ ١٩١٨ اثر انعقاد الجمعية الوطنية التي تألفت من (٩١٠) مندوباً عن مختلف الأقاليم، واعلن استقلال القفقاس وكان أول بند هو المطالبة بإعادة الأراضي الواسعة المستلبة والتي أعلنت ملكاً للحكومة القيصرية والتي قدرت مساحتها بـ ٢٧٥ ألف كم٢ . (٨)

اعترفت الدولة العثمانية بالدولة الفتية، وكذلك اعترف البلاشفة بها في أول أيام ثورتهم وصراعهم ضد الروس البيض، وقد حاربت الجمهورية بكل قواها في الدفاع عن استقلالها وتمكنت من إخراج الفرقة البريطانية (١٥) عبر ممر دربند، وكذلك حاربت ضد جيش دنكن الذي وجه كل قواته ضد الجمهورية أكثر مما يوجهها ضد البلاشفة ولما أخرج هو وجيشه من ساحة الصراع، كان الجيش الأحمر قد قوي وتكامل خلال هذه الفترة وبعد أن تأكد للبلاشفة انتصارهم، وجهوا هذا الجيش نحو جمهورية القفقاس الشمالي التي كانت قد انهكت واستنفذت قواها، وجرت معارك عديدة وعنيفة، وتمكن الجيش الأحمر في نهاية الأمر من إعادة احتلال القفقاس الشمالي للمرة الثانية، وبعد خمس سنوات من الإستقلال والحرية المشوبة بالقتال على كل الجبهات، لقد تم للبلاشفة احتلال القفقاس احتلالاً عسكرياً على جثث آلاف الضحايا من أبنائه وبعد استنفاذ الذخائر والمؤون.(٩)

أعلن البلاشفة في بداية الأمر عن قيام الجمهورية الاشتراكية الجبلية صنواً ومثيلاً للجمهورية الوطنية التي تم القضاء على استقلالها، وكان القادة الجدد من البلاشفة القفقاسيين الذين ساعدوا الروس مصدقين للمبادىء التي كانت الثورة تنادي بها في أول عهدها، ولكنه سرعان ما ألغيت هذه الجمهورية وكان هؤلاء القادة القفقاسيين من البلاشفة الذين لم يرضهم

تطور الأحداث كانوا هم أولى الضحايا للسياسة التي اتبعت منذ عام ١٩٢٤،[١٠] وهي سياسة تقطيع أوصال شمال القفقاس كما تقطع الأضحية وتمت شرذمته الى ٩ كيانات هزيلة وضعيفة وبأسماء عشائرية أو اقليمية، وكانت الحجة هي الحفاظ على القوميات هذا الشعار الذي استغل في تقوية المشاعر العشائرية والمشاعر الإقليمية حتى كادوا أن يقيموا لكل عشيرة أو قبيلة جمهورية شكلية صورية بخلق فئات انتهازية ومتعاونة فيها، في نفس الوقت الذي كان فيه ستالين ورئيس مخابراته وكلاهما جورجيان يلملمان أرجاء موطنهما جورجيا في جمهورية متحدة واحدة ويضم لها ابخازيا واوستيتا الجنوبية...

كان تقطيع الأوصال هذا يتم بحجج واهية ثم يتم اعلان ان كل كيان متحد بمحض إرادته مع روسيا[١١] واستغلت شعارات ومبادىء الثورة بما يتوافق معها شكلاً ويتناقض مضموناً،أما على الساحة الدولية فكانوا يفضحون اتفاقية سايكس بيكو المؤامرة التي قطعت أوصال العالم العربي وكانوا هم يطبقونها في الخفاء على أرض القفقاس الشمالي.[١٢]

لذا غدا بحث مسألة الحدود الشمالية من المسائل العويصة، ولأنه لم تعد هناك حدود شمالية، وكيف يستطيع المرء أن يتبع حدود و كيانات صورية مصطنعة أغرقت بالمستوطنين من مختلف الجنسيات ومنها: القوزاق ـالروس ـ الالمان ـ التتار ـ الأرمن ـ اليونان ـ الكوريين حتى غدا القفقاس الشمالي موطناً لكل من يبحث عن وطن بعد أن تم لهم إبادة قسم كبير من سكانه وتهجير من بقي حياً، وقد روعي فصل هذه الكيانات عن بعضها بمسافات كبيرة حشرت فيها القرى القوزامية والروسية لقطع أي اتصال محتمل في المستقبل بين هذه الكيانات أو أنه اتبع في رسم هذه الحدود إخراج آبار النفط أو الثروات المعدنية الغالية الثمن أو النادرة خارج الحدود (لاحظ رسم حدود جمهورية الأدغي العجيب (١٣)

لذلك نعرضها على القارىء الكريم كما جاءت في المصورات ونترك له أن يتأملها ليرى كم كان الفارق كبيراً بين النظرية والتطبيق، ويستنتج ما يراه مناسباً من أفكار حولها واعترف بالعجـــز عن وصف الحالة المأساوية الراهنة وقد جزئت القبيلة الواحدة الى ٣ كيانات ومثالها (قبيلة القبرطاي وهي من أعرق القبائل الشركسية) وجزىء الشعب الواحد الى ٥ كيانات ومثالها (شعب الآديغة سكان الشمال الغربي بين حوض القوبان وحتى الترك)

حدود الكيانات المصطنعة[١٤]

١ ـ في اقليم كولخيد التاريخي وعلى أرض وموطن من بقي من شعب الابخاز وبعد تهجير معظمه تم انشاء جمهورية ابخازيا الاتحادية في البداية ثم خفضت درجتها وضمت الى

جورجيا ضمن سياسة ستالين (الجرجنة) بإتحاد فدرالي وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي اجتاحتها القوات الجورجية بهدف القضاء عسكريا على مابقي من الشعب الابخازي وانهاء وجوده القومي والحاقه نهائياً بجورجيا، ولكن هذا الغزو الغادر انتهى بإندحار الجورجيين وجيشهم وتثبيت الحدود على نهر اينغور الذي يفصل ابخازيا عن منغرليا، وقد حقق هذه المعجزة الشعب الابخازي المسالم المجرد من السلاح ووقف وقفة بطولية وتمكن بما تيسر له من سلاح وبمساعدة المتطوعين من اخوانه في شمال القفقاس الذين هبوا لنجدة الابخاز في محنتهم حتى تحقق النصر المؤزر.

تبلغ مساحة ابخازيا ٨,٦٠٠ كلم٢ وطول ساحلها البحري ٢٢٠ كلم ١ وعدد السكان ـ مليون نسمة لا يشكل الابخاز السكان الأصليون سوى ٢٠٪ من السكان والباقي مستوطنون من مختلف الجنسيات. وقد بلغت نسبة المستوطنين الجورجيين أخيرا ٤٠٪ من سكان الجمهورية مدينة صخومي هي العاصمة ومن مدنها : غاغرا ـ غوداووتا ـ بيتسوندا ـ أوتشامشيرا

٢ ـ على الساحل الشرقي للبحر الأسود، شمال الساحل الابخازي وحتى مصب نهر الكوبان تم إفراغ الأرض من سكانها سواء بأعمال الإبادة أو بالتهجير القسري، وتمت عمليات استيطان للقوزاق والروس وغيرهما من الأقوام، وهكذا تم القضاء النهائي على الوجود الديمغرافي الشركسي، وقلبت تسميات الأماكن والمدن الى تسميات روسية، ويكفي أن نضرب مثالاً فإن قبيلة الشابوغ التي كانت تستوطن هذه المنطقة ويبلغ تعدادها عام ١٨٦٠ حوالي ٧٢٠ ألف نسمة، لم يبق منها الآن سوى (١٢) قرية يسكنها ما مجموعة بضعة آلاف نسمة، وهم كل من بقي من هذه القبيلة التاريخية، العظيمة، وهكذا تم ترويس ساحل البحر الأسود واعتبر أرضاً روسية.

٣ ـ في الداخل الى الجنوب من نهر الكوبان أقيمت جمهورية الأدغي ذات الحكم الذاتي، على جزء صغير مما بقي من الأراضي التي كانت قد أخليت من سكانها، وهذه الجمهورية احيطت من جميع الجهات بأراضي محافظات صارت روسية، وقد رسمت حدودها بشكل عجيب كما تلاحظ في المصور المرفق، ويبدو أنها كل مابقي من شعب الأديغة في هذه المنطقة (القبرطاي هم من شعب الآديغة ـ الشابوغ هم من شعب الآديغة وكذلك البسلني في جمهورية قرشاي تشركس)، وذلك لأن أهم هدف استراتيجي للروس كان ترويس سواحل البحر الأسود، وقد عزلت منطقه الأدغي هذه عما حولها بحدود شكلية وتبلغ مساحتها ٧٦٠٠ كلم٢ ويبلغ ١ عدد سكانها ـ مليون نسمة، ولايشكل الآديغة الشركس أكثر من

٢٣٪ من ٢ سكانها وهم معرضون لغزو ديمغرافي من المستوطنين الروس والقوزاق ومجدداً من الأرمن الذين يتوافدون بأعداد غير طبيعية (يرجع الى الهامش ٥٢ من البحث السابق) والعاصمة هي مدينة ما يقواب، واهم مدنها ـآينم ـ فدز ـ حكورن ـ صوجن . غوبة قوي ـ تيو تشوج ـكوش. وسكان المدينة الأخيرة هم من القبرطاي الذين هاجروا من اقليم القبرطاي عام ١٨٢٣ ليواصلوا القتال ضد الاحتلال الروسي، ويطالب من بقي من الشابوغ في قراهم الـ ١٢ الإنضمام الى أراضي هذه الجمهورية دون أن يسمح لهم بذلك او يستجاب الى طلبهم علماً أن الشابسوغ هم قبيلة من قبائل الآديغة ولغتهم لغة الآديغة ولكن القصد واضح وهو عدم ايصال حدود هذه الجمهورية الى شواطىء البحر الأسود والتي هي كلها أرضهم وأرض آبائهم واجدادهم.
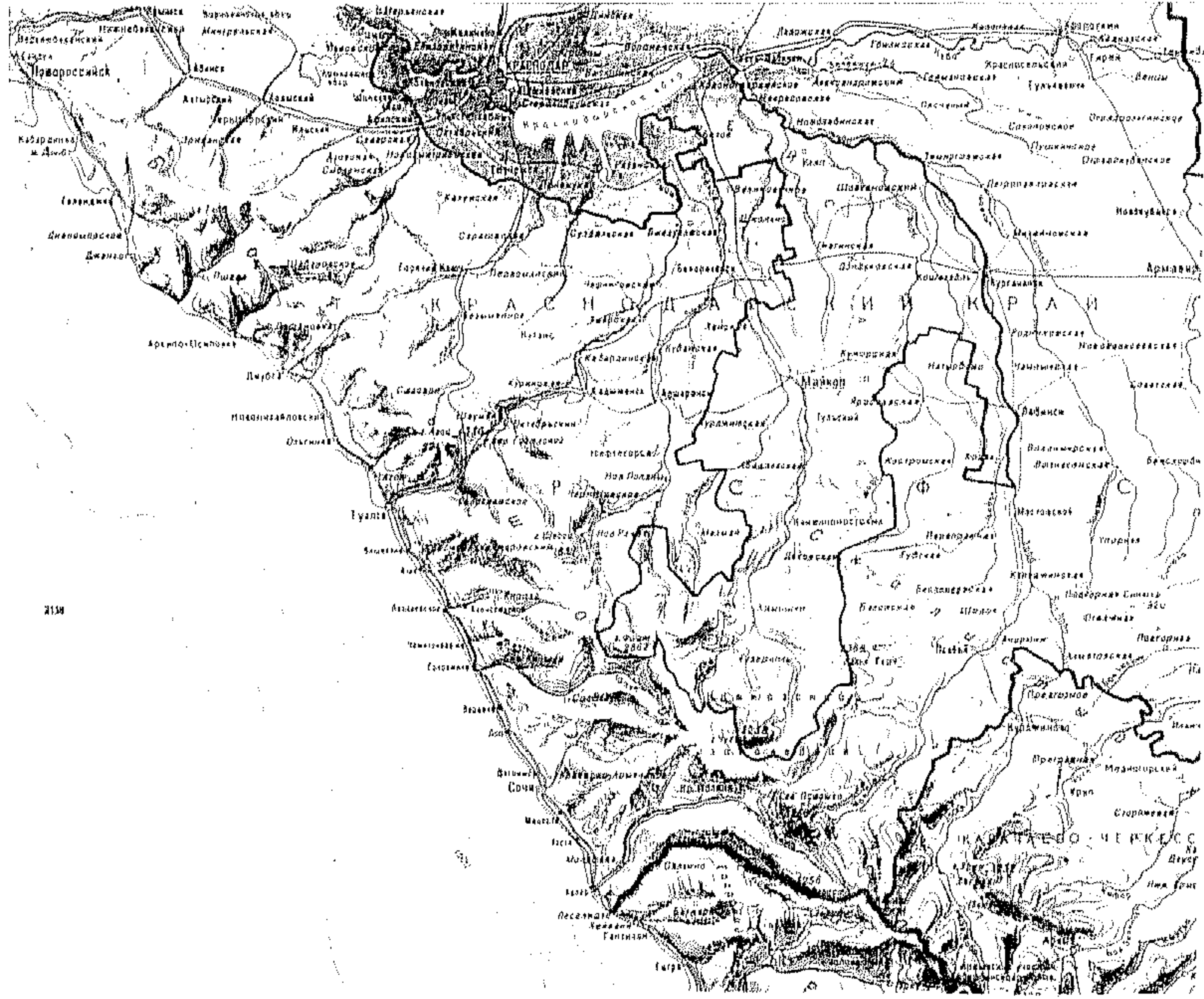
مصور الحدود المصطنعة العجيبة لجمهورية الأديغي

٤ ـ في سهول أقدام الجبال، في منطقة ما قبل القفقاس المركزي وعلى روافد نهر الكوبان، انشئت جمهورية أخرى ضمت قبيلة البسلني والقرشاي والأبازة ومستوطنون روس وقوزاق، وسميت جمهورية قرشاي تشركس، وتركت فواصل بينها وبين جمهورية الاديغي والابخاز فيما عدا المناطق الجبليــة العاليــة الغير محتاجــة للفصل والعــزل لأنها معزولــة بطبيعتها (لاحظ المصور السابق) تبلغ مساحة الجمهورية ١٤,١٠٠ كلم٢ ،، وعدد السكان ٣٦٠ ألف نسمة، وقد تراجعت نسب السكان أمام الإستيطان الروسي حتى بلغ عدد الآديغة البسلني ١٨٪ والقرشاي ٢٤٪ وارتفعت نسبة الروس الى ٤٦٪ والعاصمة هي مدينة تشركسك

٥ ـ الى الشرق وفي القفقاس الأوسط وعلى أهم روافد التيرك وسهل قباردا انشئت جمهورية على جزء من أراضي الآدغة القبرطاي، وتضم الجزء الأكبر من هذه القبيلة إضافة الى البلقر ومستوطنــون روس كثر، تبلغ مساحة الجمهورية ١٢,٥٠٠ كلم٢ وعدد سكانها ٧٢٠ ألف نسمة يشكل الآديغة القبرطاي ٤٥٪ من السكان والروس ٤٥٪ والبلقر ٨,٩٪والعاصمة هي مدينة نالتشك.

٦ ـ الى الشرق والجنوب وبإتجاه الجبال العالية وممر درايال انشئت على أراضي الأستين جمهورية اوسيتيا الشمالية بمساحة ٨٠٠٠ كلم٢ ويقدر عدد سكانها ب(٦٠٠) ألف نسمة ٥٠٪ منهم استين و٤٠٪ من الروس و١٠٪ قوميات أخرى عاصمتهم مدينة فلادي قفقاس وقد مددت أرضها شمالاً بشكل ممر ضيق (لاحظ الخارطة) للفصل بين الشرق والغرب ولتضم منطقة مزدك القبرطائية إليها .

٧ ـ خلف جبال القفقاس جنوبا وحول ممر داريال وعلى مساحة ٣٩٠٠ كلم٢ انشئت مقاطعة ذات حكم ذاتي سميت أوسيتيا الجنوبية والحقت بجورجيا عدد سكانها ١١٠ ألف نسمة ٦٣٪ من الأستين والباقي جورجيين وروس.

٨ ـ الى الشرق من القبرطاي والأستين وفي المنطقة الهضبية والمجرى الأوسط لنهر الترك وروافده أقيمت جمهورية الشيشان انغوش على جزء من أراضيهم وتبلغ مساحة الجمهورية ١٩٣٠٠ كلم٢ وعدد السكان ١,٣٠٠ مليون وقد كان الشيشان والانغوش يمثلون ٧٥٪ من السكان والروس ٢٠٪ولكن يبدو أن الروس قد غادروا أراضي الجمهورية بعد اعلان استقلالها من طرف واحد عام ١٩٩١ ولم تحصل على اعتراف من دول العالم وتعاني من حصار اقتصادي وسياسي روسي كمحاولة للقضاء على استقلالها عاصمتها غروزني وهي تتعرض حالياً حين طبع هذا الكتاب إلى عدوان الجيش الروسي بهمجية وقسوة منقطعة النظير ويدافع الشيشان عن حريتهم دفاعاً مجيداً.

٩ ـ في أقصى الشرق وفي المنطقة الجبلية المعقدة وعلى ساحل بحر قزوين ومصب نهري التيرك وقوما شمالاًأنشئت جمهورية الداغستان الفدرالية ذات الحكم الذاتي وتبلغ مساحتها ٥٠٣٠٠ كلم٢ وعـدد سكانها ٢ مليـون نسمة واستوطن فيها ١٥٠ ألف روسي بنسبة ٧,٥ من السكان عاصمتها مدينة محج قاله وتحتوي هذه الجمهورية على العديد من القوميات واهمها ـ الأئار ٥٠٠ ألأف نسمة الدارجين ٤٠٠ ألف نسمة ـ القوموق ٢٤٠ ألف نسمة ـ الليزك ٢١٠ ألف نسم وفي الختام يمكن أن نشير الى أن علميات افراغ السكان والترويس والاستيطان والاختراق الاجتماعي قد ركز بعد انتهاء الحرب على الجبهة الغربية لوقوعها على شواطيء البحر الأسود لأهميتها الاستراتيجية وحقق نجاحات مع الأعداد القليلة من السكان والتي نجت بصورة أو بأخرى من أعمال الإبادة والتهجير القسري فنرى آثارها في رسم الحدود الصورية ونلاحظ تناقص هذا التأثير بإتجاه الشرق حيث يكاد ينعدم مثل هذا الإختراق الاجتماعي والديمغرافي للروس في جمهورية الششان والداغستان وطالما أننا بصدد الحدود الحالية لبلاد الشركس وقد صار من الصعب تحديدها لشدة عمليات التفتيت والشرذمة والتجزئة ولاشك أن القاريء الكريم قد رأى فيها حالة نموذجية من حالات تطبيق السياسات الاستعمارية التي استهدفت استلاب الأرض والقضاء على السكان.
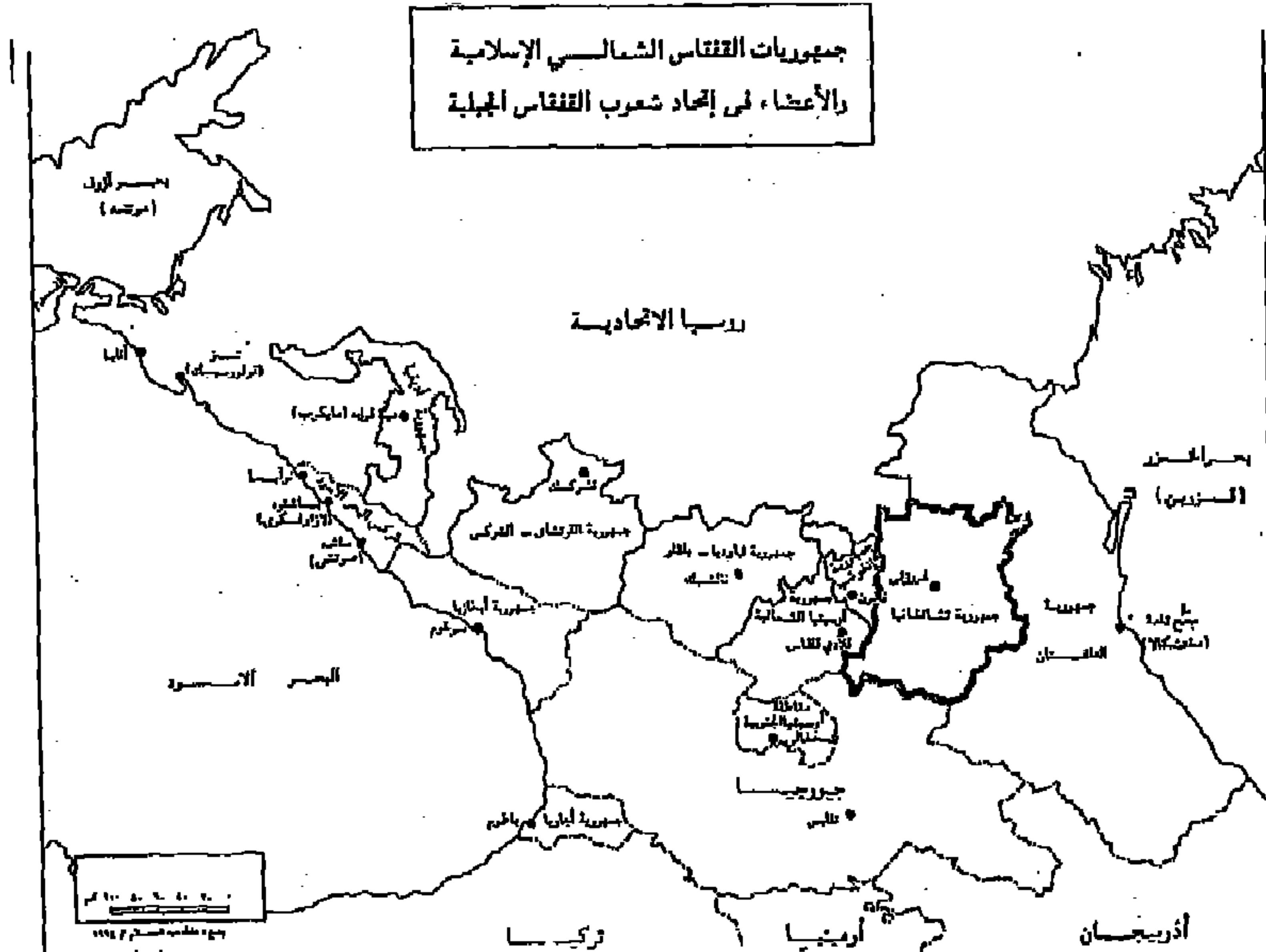
حدود جمهوريات القفقاس الشمالي الصورية عن محاضرة للدكتور عادل عبد السلام

رابعاً- مناخ القفقاس الشمالي: لدراسة المناخ نحدد موقع شمال القفقاس بين خطي طول (٤١ - ٥٠) شرق غرينويتش وخطي عرض (٤٠ -٤٥) شمال خط الاستواء، وهو موقع يندرج تحت اسم المنطقة المعتدلة حسب التقسيم المناخي لدرجات العرض الجغرافية، وتمر منه خطوط الحرارة /٢٥ - ٢٠/ صيفاً في شهر تموز وخطوط (الصفر - ٥ْ) في شهر كانون الثاني شتاء،
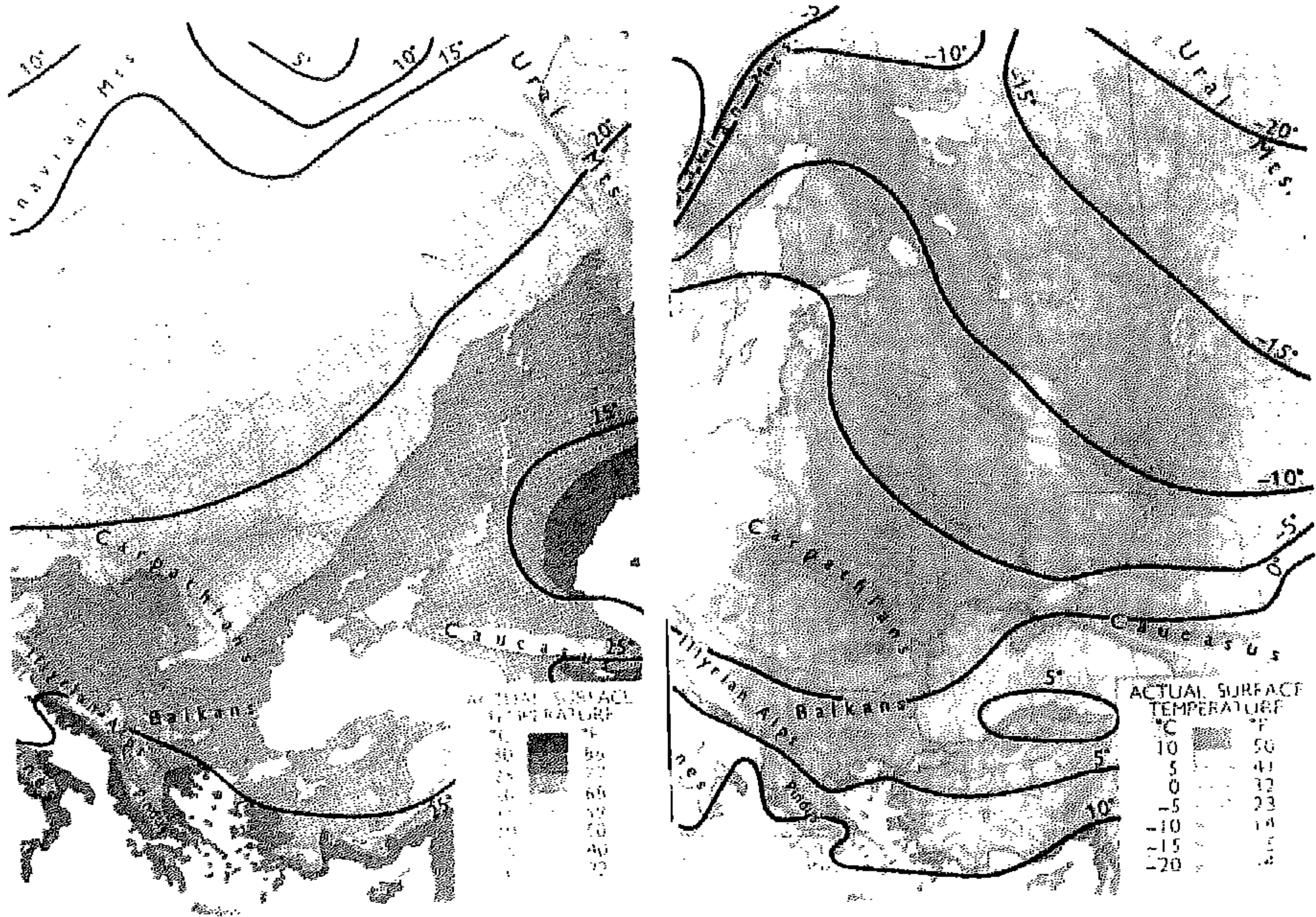
صيفاً شتاء

خطوط الحرارة صيفاً وشتاءً ومعدلاتهما

وعموماً فإن هذه الخطوط العامة للحرارة، تتبع لتعديلات محلية بدون شك حسب الموقع وحسب الارتفاع أو القرب والبعد عن البحر، ويكون المناخ معتدلاً ولطيفا على شواطىء البحـر الأسود، ويزداد قارية بإتجاه الشرق والشمال ، ويزداد برودة بإتجاه الجبال (٨ - ١٣أ) وتهب الرياح القارية صيفاً من جهة الشرق وتتشبع بالرطوبة بعد مرورها فوق بحر الخزر وتسبب سقوط الأمطار الصيفية عند ارتفاعها فوق الجبال والتي تتجاوز (٨٠٠) ملم في المرتفعات الوسطى والغربية، هذه الأمطار تتناقص شمالا وشرقاً حتى تكاد تنعدم في السهوب الشمالية الشرقية وشواطىء بحر الخزر، أما في فصل الشتاء، فتهب الرياح الغربية الرطبة والرياح الشمالية الشرقية والرياح الشمالية الباردة ويكون التهطال مطرياً وثلجياً غزيراً، وتهطل أكبر كمية من الأمطار على السفوح الغربية المواجهة للبحر الأسود والتي يصل التهطال فيها الى أكثر من (٢٠٠٠) ملم وتحظى السلسلة الجبلية بالكامل بتهطال يزيد عن (٨٠٠) ملم ولكنه يتناقص بسرعة بإتجاه الشمال والشرق ليصل الى (٢٠٠) ملم وينعدم شمالا نحو نهر الفولغا وشمال بحر الخزر.

صيفاً شتاءً

خطوط الضغط وحركة الرياح ومعدلات الأمطار

خامساً: اقاليم شمال القفقاس: بشكل عام يكون المناخ بحرياًلطيفا على سواحل البحر الأسود، ويزداد قارية بإتجاه الشرق، ويصبح جبلياً بإتجاه السلاسل الجبلية ، وجافاً قارياً بإتجاه الداغستان وسواحل بحر الخزر، وسهبياً صحراوياً بإتجاه الشمال نحو الفولفا، واستناداً الى ماسبق ذكره نجد أربع مناطق اقليمية في شمال القفقاس.

١ ــ أقليم الجبال: هو جزء رئيس من الالتواء الألبي الهيمالائي الذي يمتد من شبه جزيرة تامان حتى شبه جزيرة أبشرون. وهاتان هما امتداد نهايات السلسلة داخل البحر، وتتألف هذه السلاسل الجبلية من طيات تسير متوازية وتكون الوسطى أعلاها عادة، بينما تنحدر السلاسل الموازية لها نحوها بشدة، في حين تنحدر بهدوء شمالاً، وتتصل هذه السلاسل المرافقة بالسلسلة المركزية مشكلة عقداً جبلية ونجودا عالية محمية تصرف مياهها أنهار تخترق هذه الطيات الجبلية بخوانق عميقة أو تجتازها بمساقط الشلالات العديدة.

تبدأ هذه السلسلة غرباً بإرتفاعات غير ملحوظة وتلالاً متقطعة، تحصر بينها وبين البحر الأسود سهولا ضيقة تتسع جنوباً كلما ابتعدت هذه السلاسل نحو الجنوب الشرقي.

إننا نجد ولمسافة (٢٥٠) كلم المجموعة الأولى من قمم الجبال التي لايتجاوز ارتفاعها (٢٠٠٠) م وأهمها (شه سي ـ غوم تسك ـ كتس غور ـ نوه ج ـشابسغ ـ يدوقبج) ونكون عندها قد وصلنا الى مستوى ومحاذاة مدينة غاغرا، تغطي هذا القسم الأحراج الكثيفة والأشجار المثمرة وتنحدر منه الروافد العديدة والغزيرة لنهر الكوبان مثل (وبخ ـ بسه قويس ـبسه ج ـ بشحه ـ أف بس ـ بشه ش) هذه الروافد تنحدر من السفوح الشمالية نحو نهر الكوبان أما الأنهار التي تنحدر من السفوح نحو البحر الأسود فهي أنهار ساحلية قصيرة سريعة الجريان .

وبعد هذا القسم يلي قسم آخر لمسافة (١٥٠) كلم تتجاوز فيها ارتفاعات القمم حد الثلج الدائم فتزيد عن (٣٠٠٠) م، ونجد هنا القمم التالية (شوقشح ـبشه س ـ جه لج ـ أشوبه)

وتطل هذه القمم على أراضي جمهورية قرشاي تشركس حدودها الجنوبية، بينما تنحدر شمالاً بمرتفعـــات تسمى (الجبـــال السوداء) التي لايـــزيد ارتفاعها عن (٢٠٠٠) م وهي (قل قشح ـ بدنوقه ـ ألبيغران) وتغطي هذه المرتفعات الحراج الكثيفة والمراعي الغنية في حين تغطي الثلوج والجموديات القمم العالية (٣٠٠٠) م من السلسلة الرئيسية حيث تنبع الروافد الهامة لنهر الكوبان وهي (اللابا، الصغير والكبير ـ زلنجوق، الصغير والكبير ـ أورروب ـ تيبردا ـ جالموق ـ أكساووت ـ ماروخا ـ كيافار ـ فارز ـ بيلايا ـ شحه غواشه ـ كورجييس

بعد هذا القسم تمتد لمسافة (١٥٠) كلم أيضاً الارتفاعات العظمى الشاهقة وهي تتجاوز ال (٥٠٠٠) م وأهم قمة جبلية واعلاها هي قمة (البروز ٥٦٣٠ م) واسمها الشركسي الجبل المبارك (أوشحه مافه) ومنها ينبع نهر الكوبان، وقد صلبت الأساطير سارق النار الشركسي (نصرن جاكه) على قمته ثم وبعد ذلك صلبت أساطير الإغريق وربما بعده بأكثر من الف عام (بروميتييه) وهي أعلى قمة في القارة الأوربية.

ويليها قمم(كشه تن) ٥٢٠٠ م - (داخه ٥١٩٥ م) -(شاوه آر ٥٢٠٣) تملؤ حوضاتها العالية بالجموديات العظيمة والمركبة كما وتتفجر منها ينابيع روافد نهر الترك مثل (مالقة - باقسان - شجم - تشرك) كلها تروي سهول القبرطاي لترفد في النهاية نهر الترك ويقع هذا الجزء في أراضي جمهورية القبرطاي.

يلي هذا القسم ولمسافة (١١٠ كلم) قمم السلسلة الجبلية التي تتجه نحو الانخفاض التدريجي لتصل عند ممر داريال الشهير الى (٢٤٣١) م ولكنها تعود للنهوض مجدداً بمخروط جبل (قازبك) الذي يطل على الممر المذكور من ارتفاع (٥٠٤٣)، وهذا الجزء يقع في أراضي جمهورية اوسيتيا الشمالية ويفصلها عن شقيقتها اوسيتيا الجنوبية من الجهة الجنوبية إنه وبعد ذلك نكون قد وصلنا الى الجزء الواقع في أراضي جمهورية الششان المستقلة (١٩٩١) وتظهر لنا وعلى مسافـــة ١٠٠ كلم ثلاث قمم جبلية وهي (شان ٤٤٥١ م) - (تبلوس ٤٤٩٣) و (ديكلـــوس ٤٢٨٥ م) وأهم روافـد نهـر التـــرك التي تنبـــع من هـــذا القسم هـــي (سونيجا كامبيلاني - اندبركا - فورتنغا - غاسا - غيخي - فاليريخ - ارغون - مارتن - جالكا ميتشك) ونهري اكساي واكتاش اللذان لايصلان الى البحر ويغيبان في الرمال والسهوب على شاطىء بحر قزوين إضافة الى نهر (صولاق) الذي يشكل حدود الجمهورية مع الداغستان ويصب في البحر جنوب نهر الترك.

هذه الروافد والأنهار تجتاز هضاب الششان وتخترق غابات الزان العظيمة التي تغطيها والتي جرت عملية قطع واتلاف كبيرة لها أثناء الاحتلال الروسي لها لمنع المقاومة الوطنية من الاستفادة منها.

نكـــون قد وصلنـــا الى الجـــزء الأكثر تعقيـــداً من هذه السلسلة الجبليـــة ونجد أن اتجـــاهات السلاسل الجبليـــة هنا قد تباينت وتعـــامـدت بحيث تغطي هذه السلاسل كامل المنطقة الداغستانيـــة وتكون لذلك القمم متناثرة غير متتالية وغالباً ما نجدها على الأطراف مثل قمم (دولتي ديغ ٤١٢٧ م) - (شاغ ديغ ٤٢٤٣ م) - (شال بوزديغ ٤١٤٢ م) (آدالا ٤١٥١ م) (ميزار ٤٤٦٦) (ديان غي ٤٠١٨ م)إن هذا الجزء تسوده سلاسل متباينة

الاتجاهات تشكل منطقة جبلية شديدة الوعورة تخترقها وديان نهري (صولاق ـ السامور) وروافدهما.

إن هذه السلسلة الجبلية الشديدة الارتفاع التي تمتد مسافة ١١٠٠ كلم وبعرض وسطي يتراوح بين (١٥٠ ـ ٢٠٠ كلم) هي الأساس في بناء تضاريس شمال القفقاس وإن الثلوج الدائمة تغطي معظم قممه (فوق ٢٧٠٠ م) وتنتشر فيه الجموديات التي يزيد تعدادها عن (١٥٠٠) جموديــــة والكثير منها جموديات مركبة تنطلق منها السنة جمودية عديدة يلي هذه المنطقة الدائمة التجمد منطقة المروج والمراعي الألبية العالية صيفا ، ثم يلي ذلك وبدءاً من ارتفــاع (١٨٠٠ م) الغــابات الكثيفــة الغنيــة بأشجارها ومعظمها دائمة الخضرة مثل (البلوط ـ الدردار ـ الاسفندان ـ القيقب ـ التنوب ـ الشوح ـ الصفصاف ـ الحور ـ الزيزفون ـ الكستناء ـ الصنوبر ـ واشجار الزان المعمرة الضخمة والأشجار المثمرة البرية من التفاحيات والجوزيات والتوت البري وغيرها، ويبلغ عرض هذه المنطقة الغابية ٢٥ كلم وبطول ٨٠٠ كلم بدءاً من الغرب نحو الشرق.

إن هذه السلاسل الجبلية مأهولة بالسكان والقوى الى ارتفاعات عالية نسبياً ويمكن لتاريخ المنطقة أن يفسر هذا الاستيطان،ويمكن عبور هذه السلسلة من معابر جبلية عالية تغلق معظم أشهر الشتاء ومن أهمها في الجزء الغربي ممرات (كويتخسكي ـ بيلار ـجنسكي ـبشه خوا ماروخسكه ـ نافارسكة ـكولخور) ويلي هذه الممرات الغربية وقرب جبل قازبك ممر داريال الشهير، وهو ممر لعب دوراً هاماً في الوصول الى جورجيا وتحقيق سياسة شق القفقاس الشمالي الى جزئين، وهذه الثغرة لم يمكن سدها طوال الحرب، وهناك الممر الشهير الآخر وهو ممر دربند (باب الأبواب) عن طريق شاطىء بحر قزوين بإتجاه فارس، كانت تعبره الاجتياحات والجيوش الفاتحة عبر التاريخ.

وتعيش الحيوانات البرية التالية في هذه الجبال والهضاب ووديان الروافد والأنهار (البيزون الدب ـالخنزير ـ الوعل ـ الماعز البري ـالسنجاب ـالقط البري ـ الفهد ـالشاموا) وكذلك مئات أنواع الطيور ومن أهمها (العقبان الذهبية ـالصقر ـالديوك الجبلية ـ الدجاج البري ـالأوز البط البري ... الخ [١٥]

٢ ـ اقليم ساحل البحر الأسود : تكون هذا الاقليم بفعل نهوض السلاسل الجبلية التي حصرت بينها وبين البحر سهولاً تكون ضيقة في الشمال وتصبح أكثر عرضاً كلما اتجهنا جنوباً حتى تصل إلى عرض (٤٠) كلم في جنوب أبخازيا .

تنحدر أنهار ساحلية قصيرة سريعة الجريان محملة بالجروفات الكثيرة، تحفر مجاريها العميقة أو تسقط بشكل شلالات، ويبلغ عددها أكثر من (١٠) أنهار صغيرة على الساحل الآديغي حتى غاغرا ومثلها على الساحل الابخازي حتى نهر اينغور

إن هذه السهول الساحلية محمية بشكل جيد من الرياح الشمالية الشرقية الباردة، لذا فالمناخ هنا لطيف معتدل ورطب بحري قليل الفروق الحرارية وتهطل فيه أمطار غزيرة شتاء وخاصة على السفوح الجبلية المواجهة للرياح الغربية والشمالية الغربية الرطبة، ونادراً ما تسقط الثلوج في السهول الساحلية.

يبلغ التهطال على السفوح أكثر من (٢٠٠٠ مم) تغطي سفوح الجبال غابات البلوط والكستناء والأرز والصنوبريات وما شابه تنمو تحتها نباتات السرخس والشوكيات والمتسلقات وتشتهر هذه السواحل بزراعة الفواكه وخاصة الأنواع الفاخرة من العنب وانواع الحمضيات والشاي والتبغ وكذلك الخضار الباكرة.[١٦]

لقد افرغ الساحل من أنابه وحتى غاغراً بطول حوالي ٢٥٠ كلم بشكل تام من سكانه، وجرى تبديل اسماء القرى والمعالم الجغرافية واسكن بالمستوطنين من كل الجنسيات وخاصة الروس والقوزاق بحيث تم القضاء على الواقع الديمغرافي الشركسي، وكذلك تعرض الساحل الابخازي الى محاولات الجورجيين لاستلابه بشتى الأساليب وبشتى الطرق منذ الزمن الستاليني الذي قام بعمليات إبادة لجميع المثقفين الابخاز في حينه وجرى تكثيف الاستيطان الجورجي، ثم تعرضت لغزو عسكري في زمن شفرنادزة، ولكن ذلك الغزو لم يحقق النجاح المأمول له، وجرى طرد الجيش الجورجي متبوعاً بالمستوطنين الجورجيين الذين كانوا قد رفعوا السلاح واشتركوا في أعمال الإبادة والنهب التي مورست بحق الابخاز من السكان الأصليين.

يمتاز هذا الإقليم بشهرة على الصعيد السياحي والاستجمام وتمتاز شواطئه بجمالها وكذلك الغابات والبحيرات والكهوف والمغاور الكارستية الذائعة الصيت في العالم، مما يجعلها من أجمل المناطق الصالحة للسياحة في العالم.

٣ - إقليم سهول حوضي نهر الكوبان والتيرك: يعتبر نهر الكوبان غرباً وحوض نهر التيرك شرقاً جوفاً (مقعر Synclinal) ملأته لحقيات النهرين وروافدها بالرسوبات فشكلت سهولاً ومصاطب لحقية خصيبة جداً ذات تربة عميقة وغنية إن هذا المقعر يقابل ويوازي طيات جبال القفقاس ويصرف مياه النصف الغربي حتى هضبة بيتاغورسك.

نهر الكوبان وروافده: وهو ينبع من السفوح الغربية لجبل البروز ومن أربعة ينابيع، ويبلغ طول مجراه حتى مصبه (٨٠٠ كلم) وهو نهر غزير صالح للملاحة حتى ١٦٠ كلم من

مصبه، وقد أقيم على مجراه الأدنى سد كبير قرب مدينة (كراسندار) يحصر خلفه بحيرة تصل مساحتها أكثر من ٥٠٠ كلم٢ وهو يصب في البحر في مجريين أحدهما في البحر الأسود والآخر في بحر آزوف.

يتعرض الإقليم للرياح الغربية والشمالية الغربية الباردة والمطيرة في فصل الشتاء، كما يتعرض للرياح الشمالية الشرقية شديدة البرودة، ويبلغ التهطال المطري والثلجي أكثر من ١٠٠٠ مم وتنخفض درجات الحرارة شتاء دون الصفر، وتجمد مياه نهر الكوبان بينما يكون معدل درجات الحرارة صيفاً وفي شهر تموز ٢٥°، سهول حوض الكوبان ومصاطبه لحقية رسبتها الأنهار عبر آلاف السنين، وهي من أخصب الأراضي ذات التربة السوداء العميقة، تبلغ مساحة هذه السهول حوالي ٣٠ألف كم٢ وتعتبر من أهم المناطق الزراعية وتربية الماشية بحيث تجود فيه زراعة الحبوب (القمح، الذرة، دوار الشمس، الأرز..) والفواكه والخضار كما تربى فيها أنواع الماشية وخاصة الأبقار، كما تتوفر إضافة الى الثروة الزراعية والحيوانية الثروة النفطية، وتعتبر آبار النفط هنا من أقدم آبار النفط في الإتحاد السوفيتي السابق وقد شارف هذا النفط على النفاذ من الطبقات قليلة العمق أما انتاج الغاز فيقدر بملايين الأمتار المكعبة.

تعرض سكان الإقليم كما سبق واشرنا الى حرب إبادة ضروس ثم تعرضوا لعمليات التهجير عبر البحر الأسود الى أراضي الدولة العثمانية وتعرض من بقي منهم الى الهجرة الى أراضي المستنقعات الموبوءة للقضاء النهائي عليهم واستلاب بلادهم، وقد انشيء فيما بعد لمن كتبت له الحياة من السكان الأصليين وعلى أقل من ١/٦ مساحة الإقليم جمهورية جمع فيها بقايا السكان الشركس الذين لا يشكلون أكثر من ٢٣٪ (١٠٠ ألف نسمة) من عدد سكان جمهوريتهم، وأراضي هذه الجمهورية محاطة بأراضي المحافظات التي غدت روسية من الجهات الأربعة، وتبدو أراضي هذه الجمهورية الصورية كنقطة ماء متعرجة في بحر لجج، وتظهر الآثار المكتشفة انه لعب دوراً هاماً في حضارات شعوب شمال القفقاس في فجر التاريخ.

حوض نهر التيرك: ويقابل نهر الكوبان ولكنه يتوجه في المقعر شرقاً ليصب في بحر الخزر، وهو بذلك يصرف معظم مياه الجزء الشرقي من القفقاس الشمالي بما فيها هضبة بيتاغورسك، ينبع نهر التيرك من جبل قازبك المطل على ممر داريال ويسير شمالاً عبر اراضي اوسيتيا ويتجه أولاً نحو الغرب ثم الشرق فيرسم بذلك قوساً دائرياً تحيط بسهول القبرطاي وقبل أن يتوجه شرقاً ترفده هنا روافد عديدة أهمها (مالقة ـ باقسان ـ شجم ـ تشرك) وهي الأنهار التي تعمق مجاريها في هضاب وسهول القبرطاي، ثم يمر من منطقة مزدك ثم يتجه الى الشمال من غروزني حيث ترفده روافد عديدة منها (كامبيلاني سوينجا اندبركا ـ غاسا ـغورتنغا ـ فاليريغ غيخي ـ مارتن ـ ارغون ـ

جالكا - ميتشك) ونهري اكساي واكتاش اللذان لايصلان البحر ونهر صولاق الذي يصب الى الجنوب من نهر التيرك. وكلها تجتاز الهضبة الششانية لتصل الى السهول اللحقية الخصيبة،وبعد يكون نهر التيرك قد وصل الى السهل الساحلي لبحر قزوين المنخفض فيتفرع الى عشرات الفروع مشكلاً دلتا واسعة تاركاً منطقة سهوب النغوي الى الشمال من مصبه، إن سهول القبرطاي والششان في حوض نهر التيرك وروافده لاتقل جودة عن مثيلتها الغربية في حوض الكوبان وتجود هنا نفس الزراعات (الحبوب الفواكه الخضروات وتربية الماشية)، كما تتوفر الثروة النفطية في أراضي الششان وقد استهلك النفط على أعماق ٤٠٠٠ م ويستخرج من الأعماق الكبيرة (٦٠٠٠ م) وتوجد في الإقليم مصافي النفط واقدم معهد لدراسة النفط، ويماثل المناخ هنا مناخ حوض الكوبان مع ميل للجفاف والقارية كلما اتجهنا شرقاً حتى نصل الى تهطال لايتجاوز ٢٠٠ ملم على ساحل بحر قزوين والتي تنعدم تماماً كلما اتجهنا شمالاً.

إن الوضع السكاني يميل الى التحسن وهو أفضل حالا من الجهات الغربية فتبلغ نسبة القبرطاي في جمهوريتهم ٥٠٪ من مجموع السكان وتبلغ نسبة الششان ٧٥٪ في جمهوريتهم وتبلغ نسبة الداغستان في جمهوريتهم ٩٢,٥٪ وقد كانت الجهات الشرقية من أشد مناطق شمال القفقاس مقاومة لمحاولة الاختراق الإجتماعي أو الديمغرافي الروسي وربما كان التركيز على الإفراغ القومي منصباً بالدرجة الأولى على الجهات الغربية سواحل البحر الأسود الطريق الى البحار الدافئة...

رابعاً: إقليم الداغستان الجبلي وساحل بحر قزوين: يتميز إقليم الداغستان بأنه جبلي في جميع جهاته تقريباً، انتشرت على سطحه سلاسل جبلية تتعامد في اتجاهاتها، يبدو أن لنتائج حركتي الإضطراب التكتوني ظهرت في هذا الإقليم بشكل واضح، وتقع الجبال الأكثر ارتفاعا على الأطراف، ويعتبر الخط الواصل بين (أرخوتس متا وحتى الوصول الى بازارديوزي) خط تقسيم المياه بين الشمال والجنوب يمتاز هذا الإقليم بأنه أقل تهطالاً وبالتالي فتبدو هذه الجبال جرداء من الغطاء الغابي وإن كنانجد بعض الغابات الرواقية وتسود على السطح الصخور الجرداء الحوراية، ولاتتكشف صخور الغرانيت المتحولة، وهناك مجموعتان رئيسيتان من الأنهار وهما نهر صولاق والذي يتألف من أربع روافد هي (غويسو غازي قموق - كارا آفار) وهذه الأنهار تحفر مجاريها بأعماق غير عادية،وتعطي الملامح المميزة لوعورة أراضي الداغستان وأما النهر الثاني فهو نهر السامور الذي يشكل الحدود الجنوبية للإقليم.

إن جبال الداغستان تصل جنوباًحتى ساحل البحر حيث لا تترك إلا ممراً ضيقاً هو ممر دربند التاريخي ويكون الساحل شمالاً منخفضاً تكثر فيه الرمال والبحيرات والسبخات

الشاطئية التي تشكلها دلتات أنهار التيرك وصولاق وسامور وعشرات الأنهار الصغيرة الأخرى، ويزداد الجفاف هنا بإتجاه الشرق والشمال ليصل بعد تجاوز نهر التيرك الى سهوب النغوي وبعدها سهوب القالمق حيث تنعدم الأمطار كلما اتجهنا الى شمال بحر الخزر.

تقل الأرض الزراعية في هذا الإقليم، وتسود الجبال على ٧٥٪ من المساحة العامة وتقوم القرى في بطون الوديان العميقة أو الجرود المرتفعة وكثيراً ما يضطر السكان لممارسة الزراعة بشكل مصاطب صغيرة ينقلون اليها التربة الزراعية ويزرعونها بعناية كبيرة.

يمتاز هذا الإقليم بوقوعه على ممر دربند التاريخي ممر الشعوب المهاجرة المجتاحة الفاتحة لذلك نجد الكثير من الأقليات التي تخلفت عن تلك الشعوب والحقيقة أن الداغستان هوموزاريك لمجموعة كبيرة من بقايا الشعوب التي عبرت الممر، كما يمتاز هذا الإقليم بضعف الاستيطان الروسي حيث لم يستوطنه أكثر من ١٥٠ ألف روسي من مجموع مليوني نسمة عدد سكان الإقليم وعاصمتهم (مخاش قاله).

سادساً: الحياة البشرية: إن الملاحظة الرئيسية التي لايمكن للدراس تجاوزها فيما يتعلق بالحياة البشرية في القفقاس الشمالي، هي تعرض شعوبه وبإستمرار للسياسات الروسية التي مورست بحقها، وهي وإن كانت قد جرت تحت شعارات مختلفة حسب المراحل السياسية المختلفة إلا أن مضمونها كان واحدا لم يتغير ويمكن تلخيصه على النحو التالي: "(لقد هدفت هذه السياسات جميعها الى قلب الواقع الديمغرافي للقفقاس الشمالي وترويسه أرضاً وشعباً، للبقاء دائماً على شواطىء البحر الأسود الشمالية والشرقية والتي توصلها الى البحار الدافئة والعالم كإستراتيجية روسية ثابتة وفي سبيل تحقيق هذا الهدف الدائم عانت شعوب القفقاس طوال قرنين ونصف من الزمن من الممارسات التالية:

١ ـ شن الحروب العدوانية بغية احتلال الأرض عسكرياً ومثالها ١ ـ الحرب العدوانية التي انتهت بإحتلال القفقاس الشمالي عام ١٨٦٤ ٢ ـ الحرب العدوانية الثانية للجيش الأحمر الذي استهدفت القضاء على استقلال القفقاس الشمالي الذي كانت قد اعلنته الجمهورية الأولى عام ١٩١٧ ـ ١٩٢١ ٣ ـ الحروب والاجتياحات العسكرية ضد الجهات التي تفكر بممارسة السياسات الوطنية كإجتياح اوسيتيا وابخازيا من قبل جورجيا ومحاولات الجيش الروسي اجتياح إقليم الششان والقضاء على استقلاله في الوقت الحاضر.

٢ ـ أعمال الإبادة الجماعية التي مارستها هذه الجيوش كسياسات معلنة أو غير معلنة أو كانت نتيجة حقد وعنصرية بعض القادة العسكريين ويكفي هنا أن نذكر اسم يرملوف السفاح [١٧]

٣ ـ التهجير القسري لما بقي من السكان الى أراضي الدولة العثمانية وشرط إبعادهم عن

الحدود بقدر المستطاع (الشرط الأول في المعاهدات الروسية العثمانية) والتهجير الى أراضي المستنقعات المرزغية الموبوءة لمن بقي من السكان[١٨]

٤ ـ دفع عشائر وفئات القوزاق الشرسة (بدو الروس) كفوج استيطاني صدامي وما نجم عن ذلك من إراقة دماء[١٩] ثم قدوم أفواج المستوطنين الروس ثم فتح الباب على مصراعيه لكل الأقوام والفئات المشردة التي تبحث عن وطن، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية وتوزيع الأراضي وحماية استيطانها عسكرياً، وممارسة شتى أنواع القهر العنصري ضد السكان الأصليين من الشركس.

٥ ـ ممارسة أعمال النفي الفردي والأسري والنفي لشعوب بكاملها[٢٠] بذرائع مختلفة الى أرجاء سيبريا ليموتوا من الجوع أو البرد أو المرض أو ليندثروا في تلك الأصقاع النائية.

٦ ـ ممارسة سياسات القضاء على الثقافة والتاريخ والتراث القومي والديني بحجج واهية[٢١] منها نشر الثقافة العصرية واللغة الروسية في الحياة اليومية الأدبية والسياسية والإدارية بغية تذويب هذه الشعوب في بحر المستوطنين ومن مختلف الجنسيات وخلط الحابل بالنابل.

ومن المؤسف أن هذه السياسات الاستعمارية المتطرفة كانت تمارس في القفقاس وبتعتيم اعلامي شديد وفي نفس الوقت كانت تفضح على الصعيد العالمي اتفاقيات سايكس بيكو للظهور أمام العالم بمظهر المدافع عن حريات الشعوب ضد الاستعمار !؟

كان من أهم نتائج هذه الممارسات التي طبقت بشكل أو بآخر وفي مختلف العهود، الفقر الديمغرافي الشديد للسكان، وهكذا غدت مناطق واسعة شبه خالية من السكان، وغدا الشركس جزراً سكانية متباعدة، مع مسافات شاسعة من الأرض التي خلت من سكانها، ولم يتمكن المستوطنون الروس والقوزاق من ملئها كما ينبغي أو كما أريد لهم، وعموماً فالقفقاس الشمالي الآن ذو كثافة سكانية ضعيفة لاتتناسب مع غنى المنطقة بالثروات الطبيعية وصلاحيتها الفائقة للإعمار والإسكان البشري، ولم تعد لحالتها السابقة قبل أن تحل بها كارثة العدوان والاحتلال الروسي القيصري حتى الآن، وتتراوح الكثافة في عموم القفقاس ٣٠ ـ ٣٥ نسمة في الكيلومتر المربع، وهي كثافة ضعيفة إذا ما قورنت بمثيلاتها.

إننا نلاحظ في السياق نفسه خلو القفقاس الشمالي بكامله من التجمعات البشرية الكبيرة التي تتجاوز المليون ومعظم مدنه صغيرة ضعيفة السكان وهذا الفقر السكاني هو عائق كبير لأي نهوض اقتصادي أو ثقافي أو اجتماعي أو سياسي.

إضافة الى ماسبق عمل الاحتلال على الصعيد السياسي والإداري على تطبيق سياسة فرق تسد فمزق وحدة هذه الشعوب بإنشاء كيانات وادارات مفتعلة ربطت بجهات ادارية متباعدة ثم مزجت هذه الكيانات بنسب كبيرة من المستوطنين ومن مختلف الأعراق والأجناس للقضاء على أي فكر أو

توجه وحدوي قومي، وتطبيقاًلمثل هذه السياسات وزع شعب الآديغة على خمس كيانات عشائرية أو دينية إدارية مبعثرة وهي (مقاطعة مزدك ـ جمهورية قبرطاي بلقر جمهورية قرشاي شركس ـ جمهورية الآديغي ـ مقاطعة الشابسغ) والحقت ابخازيا بجورجيا وصنعت جمهوريتان للأستين واحدة شمالية ربطت بموسكو واخرى جنوبية ربطت بجورجيا، وهكذا... وربما نجت الداغستان من التقسيم والتفتيت نظراً لعجزهم عن تجزئتهم الى ٣٣ دولة أو كيان بعدد قبائلها وعشائرها، وبهذه الأساليب تم تحقيق مبدأين من مبادىء الاستعمار وهما مبدأ فرق تسد ومبدأ التوازن السكاني بتمزيق الشعب الى كيانات قبلية عشائرية وخلطها بأنواع المستوطنين من مختلف الجنسيات، وخلق فئات منتفعة من هذه الأوضاع تعمل على التسابق على خدمة مصالح الاحتلال.

لقد بلغ عدد السكان في هذه الكيانات ما مجموعة ٦,١ مليون نسمة، منهم (٣,٦) مليون نسمة من السكان الأصليين الشركس الذين بعثروا في ٩ كيانات، ويسكن معهم (٢,٤)مليون نسمة من المستوطنين الروس والقوزاق ومن جنسيات أخرى قليلة هؤلاء استوطنوا القفقاس الشمالي إثر احتلاله (١٨٦٤) وحتى يومنا هذا.

إن نسبة هؤلاء المستوطنين تزداد غرباً بإتجاه شواطىء البحر الأسود التي خلت من سكانها الأصليين من الشركس وذلك بين شبه جزيرة تامان وحتى حدود اقليم ابخازيا ما عدا بضع عشرات من القرى من قبيلة الشابسغ وهم كل من بقي من هذه القبيلة في أرض موطنها والتي عرفت في التاريخ بإسم الكاسوغ، وتعتبر تلك الأراضي محافظات روسية حالياً .

اسم الشعب	اسم الكيان	الجهةالإدارية	عدد السكان	أصليون	مستوطنون	العاصمة	المساحة	الكثافة
الأبخاز	ج ابخازيا	جورجيا	٥٠٠ الف	٪٢٠	٪٨٠	صوخومي	٨,٦٠٠ كلم٢	٪٥٨
	اقليم الشابغ	/	/	٪٦,٥	٪٩٣,٥	توابسه	/	/
	ج الآدغي	موسكو	٥٠٠ ألف	٪٢٣	٪٧٧	مايقواب	٧,٦٠٠ كلم٢	٪٦٥
الآديغة	ج قرشاي شركس		٣٦٠ ألف	٪٤٢	٪٥٨	تشركسك	١٤,١٠٠ كلم٢	٪٢٥
	ج قبردى بلقر	موسكو	٧٣٠ ألف	٪٥٠	٪٥٠	نالتشك	١٢,٥٠٠ كلم٢	٪٥٨
	مقاطعة فردك	اوسيتيا				مزدك		
	أوسيتيا الشمالية	موسكو	٦٠٠ ألف	٪٥٠	٪٥٠	اورجينيكيدزة	٨,٠٠٥ كلم٢	٪٧٥
الاستين	ارسيتيا الجنوبية	جورجيا	١١٠ ألف	٪٦٣	٪٣٧	تيحنيفالي	٣,٩٠٠ كلم٢	٪٢٨
الداييناخ	الششان	موسكو	١,٣ مليون	٪٧٥	٪٢٥	غروزني	١٩,٣٠٠ كلم٢	٪٦٧
	الانقوش						٥٠,٣٠٠ كلم٢	٪٣٩
الداغستان	ج الداغستان	موسكو	٢ مليون	٪٩٢,٥	٪٧,٥	ماخاش قاله		
المجموع			٦,١ مليون			.	١٢٤,٣٠٠	٪٤٩

100.00%
90.00%
80.00%
70.00%
60.00%
50.00%
40.00%
30.00%
20.00%
10.00%
0.00%

1 2 3 4 5 6 7 8 9
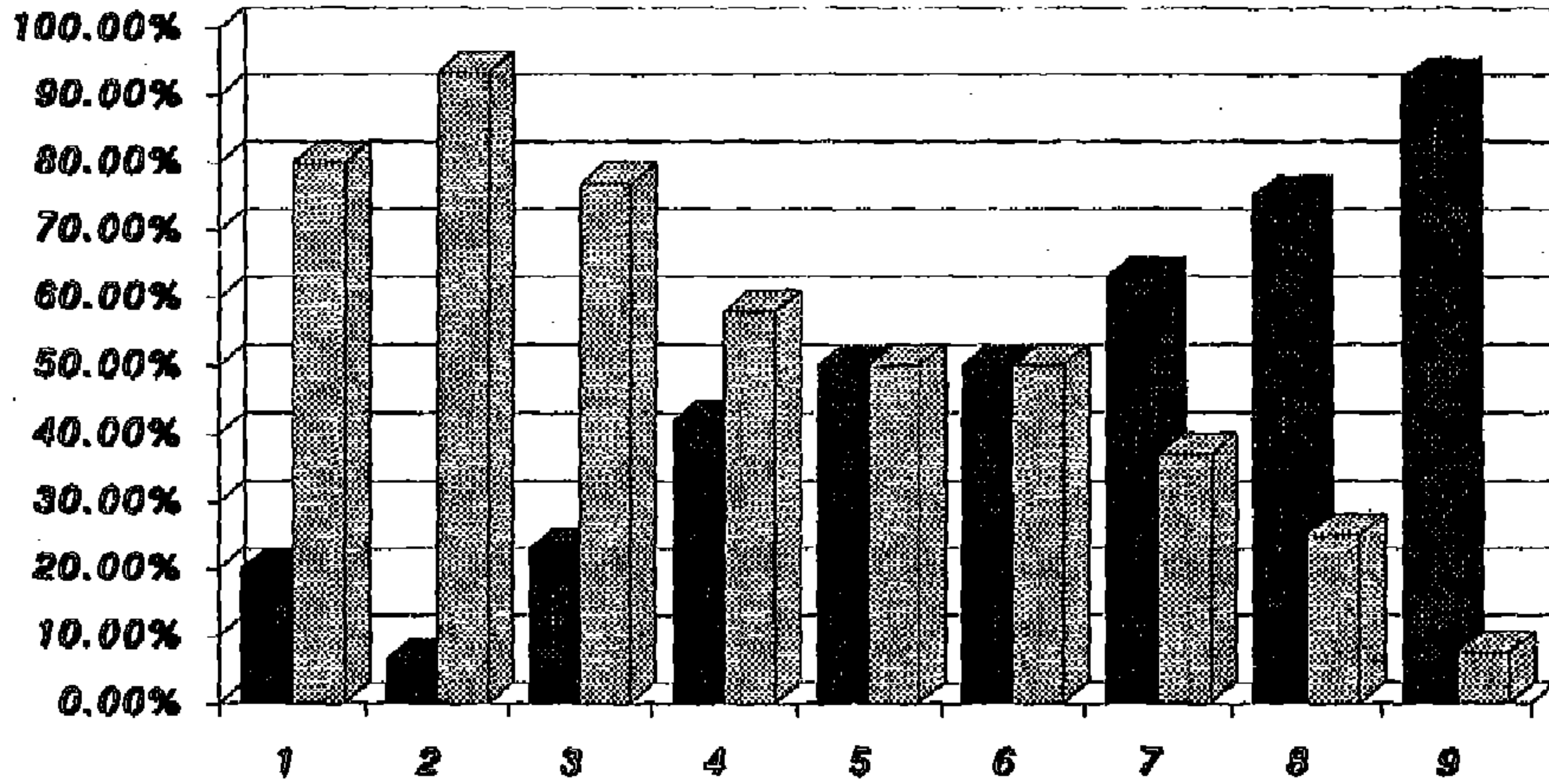
تزداد نسبة السكان الأُصليين من الغرب الى الشرق   تزايد نسبة السكان المستوطنين من الشرق الى الغرب

نسب المستوطنين من الغرب الى الشرق (١٣,٥ - ٨٠ - ٧٧ - ٥٠ - ٥٠ - ٣٧ - ٢٥)

تبلغ نسب المستوطنين خارج حدود هذه الكيانات وفي الأراضي المستولى عليها والتي وهبت للمستوطنين فتبلغ نسبتهم ١٠٠٪ وهي تعتبر محافظات ومناطق تم ترويسها.

استلاب أرض القفقاس الشمالي: بلغت مساحـة الكيانات (١٢٥) ألف كم٢ من أصل مساحة القفقاس الشمالي البالغة (٤٠٠) ألف كم٢، أي أن الحكومة القيصرية الروسية استولت على ما مساحـة (٢٧٥) ألف كم٢ أي أكثر من ضعف المساحـة التي اقيمت عليها الكيانات الحالية، وإذا أضفنا سكان هذه المناطق التي تعتبر حالياً مناطق إدارية روسية الى عدد المستوطنين داخـل حدود تلك الكيانات لتجاوز عددهم ثلاثة أضعاف السكان الأصليين (١٢ مليون نسمة) في حيث يعيش في المهاجر قرابة (٥ مليون) نسمة من المهجرين الشركس.[٢٣]

وللدلالة على عمق المأساة أو الكارثة الديمغرافية التي أصابت هذه الشعوب نتيجة العدوان الروسي والاحتلال وما رافق ذلك من سياسات استعمارية نذكر أن تعداد شعوب شمال القفقاس كان في بداية الحرب وفي منتصف القرن الثامن عشر يقدر بـ (٤) مليون نسمة، واليوم وبعد مئة وخمسين عاماً لايزيد تعدادهم عن (٨) مليون نسمة نصفهم على أرض موطنهم، ونصفهم الآخر موزعون على بلاد المهجر، ويحق لنا أن نتساءل لو أنهم لم يتعرضوا

لكل ما مر ذكره من مآسي إن كان تعدادهم سيربو عن (٥٠) مليون نسمة حسب أقل التقديرات وأكثرها تواضعاً.(٢٤)

سابعاً: الحياة الإقتصادية: إن وقوع القفقاس في المنطقة المعتدلة وتوفر الترب الزراعية اللحقية في أحواض الأنهار العديدة، والتهطال المطري الثلجي الغزير، إضافة الى عشرات الأنهار ومئات الجداول والروافد والبحيـرات، وكذلك البنى الجيولوجية المناسبة، وجعلها منطقة لا تضاهى بثرواتها الطبيعية، لذلك يزخر عطاؤها النباتي الغابي الحيواني بأعداد عديدة لا تحصى وامكانيات زراعية وتربية ماشية عالية الجودة والمردود وكذلك تتوفر الثروات المعدنية مما يتناسب وطبيعة تكوينها الجيولوجي وبنيتها البنائية، ولنا في هذه العجالة أن نعدد أشهرها.

١ ـ الثروة النباتية: وأهم المزروعات الحنطة الشعير الذرة الصفراء الجلبان البقول الخضار الشوندر وفي القسم الغربي دوار الشمس التبغ القطن وغيرها كثيراً ما فيما يتعلق بالغطاء النباتي فهو غني جداً ويمكن تعداد الآلاف العديدة من أنواع النباتات والأزهار مما أعطى امكانيات رعي المواشي بنجاح كبير وتربية النحل وانتاج العسل إضافة الى تربية دودة الحرير على أشجار التوت.

٢ ـ الثروة الغابية والأشجار: تزرع فيها جميع الأشجار المثمرة التي تنمو في المنطقة المعتدلة الباردة والجبال وكذلك أشجار حوض البحر الأبيض المتوسط عدا الزيتون ومن أهمها التفاحيات بأنواعها ـ الجوزيات بأنواعها ـ الحمضيات على الساحل الأبخازي ـ العنب بأنواعه وخاصة الأنواع الفاخرة ومن أشجار الغابة: البلوط، الدردار ، الاسفندان ، القبقب، التنوب والشوح،الصفصاف، الحور، الزيزفون، الكستناء الصنوبر ، أشجار الزان المعمرة الضخمة والأشجار المثمرة البرية كالجوز والإجاص والتوت البري وعشرات الأنواع الأخرى ويبلغ عرض المنطقة الغابية ٢٥ كلم وطول ٨٠٠ كلم بمساحة ٢٠,٠٠٠ كلم٢(٢٥)

٣ ـ الثروة الحيوانية: وتمتاز بتربية العديد من أنواع الماشية وأهمها الأبقار والأغنام والماعز، كما تمتاز بتربية الخيول الأصيلة ذات المواصفات والأسماء المعروفة وهي تربية ذات تراث وماض عريق موروث وأنواع الدواجن وخاصة الديوك الرومية والأوز، كما تعج أنهارها وشواطىء البحر الأسود وبحر الخزر والبحيرات العديدة بالعديد من أنواع الأسماك، وكذلك تعيش على أرضها الحيوانات البرية (الدب ـ الخنزير ـ الوعل ـ الماعز البري ـ السنجاب ـ القط البري ـ الفهد ـ الشامو) وكذلك العديد من أنواع الطيور المستوطنة والمهاجرة ومن أهمها العقبان الذهبية ـ الصقر ـ الديوك الجبلية ـ الدجاج البري ـ الأوز البط البري...(٢٦)

٤ ـ الثروة المعدنية: ومن أهمها: الذهب، الفضة، الرصاص، القصدير، الحديد، المنغنيز ـ

الكوبالت، النحاس، الكبريت، الكروم، الفحم الحجري، ملح الطعام، صخور الغرانيت وأنواع الرخام الفاخر، عروق الألماس.. الخ

وكذلك تتوفر الثروة النفطية (البترول والغاز) إضافة الى المياه المعدنية الغنية بالكبريت والحديد والمنغنيزيوم واليود والبروم والتي تقوم عليها أماكن الراحة والإستشفاء الشهيرة إن الأنهار والروافد العديدة السريعة الجريان والإنحدار توفر امكانيات كبيرة لإنشاء السدود وتوليد الطاقة الكهربائية[٢٧]

إن ماسبق ذكره يمكننا من القول أن شمال القفقاس منطقة غنية، بكل انواع الثروات الإقتصادية ولكن هذه البلاد تعاني من حالة سكانية مأساوية سبق لنا إيضاحها، إضافة الى أنها تذهب كلها الى المركز، فقد صممت طرق المواصلات في الإتحاد السوفيتي السابق بطريقة نجمية وبأسلوب مركزي، وجميع المحاصيل انما توصل الى المركز لايعود من ريعها إلا القليل بشكل موازنات إدارية، ليس لها علاقة بمقدار انتاجية هذه المناطق أو هذه الكيانات الصنعية وكأنها قد صممت لتكون مزارع كبيرة ومصدراً للثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية الثمينة والبترول وغيرها التي تؤخذ من هذه الكيانات ذات الاستقلال الذاتي..!

ومن المستغرب جدا أن تعاني مثل هذه البلاد من الضائقة الإقتصادية والعوز، فجمهورية القبرطاي مثلاً تقوم بإنتاج ٢١ نوعاً من أنواع المعادن إضافة الى انتاجها الحيواني الزراعي السياحي، ويصدر الاتحاد الروسي هذه المنتجات الى ٧٠ بلداً، وقد وصلت قيمة الانتاج الصناعي فيها الى حدود ١,٥ مليار روبل سنوياً في أواخر العهد السوفيتي، أي ما يزيد عن ملياري دولار بالأسعار الثابتة مقابل ١ ـ مليون نسمة وهو عدد سكان الجمهو ية كل ذلك مما يصدر الى المركز بدون حساب، ولو حصلت هذه الكيانات على نسبة ٥٠٪ من الأرباح وهي النسبة التي تدفعها الشركات الاحتكارية المستثمرة لثروات العالم الثالث لمكان دخل الفرد فيها من أعلى الدخول في العالم.

وهكذا نرى الوضع الديمغرافي (السكاني) والوضع الاقتصادي مشكلة المشاكل بالنسبة لشمال القفقاس وشعوبه ويقف عائقاً في وجه أي نمو أو تطور اجتماعي وسياسي وحضاري.

٥ ـ طرق المواصلات والتجارة: من الطبيعي ان تتوفر سائر انواع طرق المواصلات المعبدة بأنواعها والسكة الحديدية وطرق ومطارات الطيران الإقليمية والمرافيء على البحرين الأسود والخزر.

مصور يمثل أهم حقول النفط

١ ــ الطرق المعبدة: أهم طريق هو طريق من الدرجة الأولى. يعبر القفقاس الشمالي من ساحل البحر الأسود الى ساحل بحر قزوين، وهو الجزء الشمالي من الطريق المحلق حول القفقاس، يبدأ من مدينة أنابه التاريخية على ساحل البحر الأسود جنوب شبه جزيرة تامان، ويتجه شرقاً الى مدن ـ كراسندار ، بافلوف، كروبوتكين، بيتا غورسلك، نالتشك، فلادي قفقاس، غروزني ماخاش قاله، باكو ـوبعد هذا يعود غرباً ليعبر بلاد ماوراء القفقاس ويلتقي بالفرع الساحلي القادم من مدينة أنابه على ساحل البحر الأسود والمار من الموانى ـ نوفوروسيك صوتش صوخومي وحتى اوشامشيرا حيث يعبر الحدود الأبخازية الجورجية ليلتقي بالطرف القادم من الشرق.
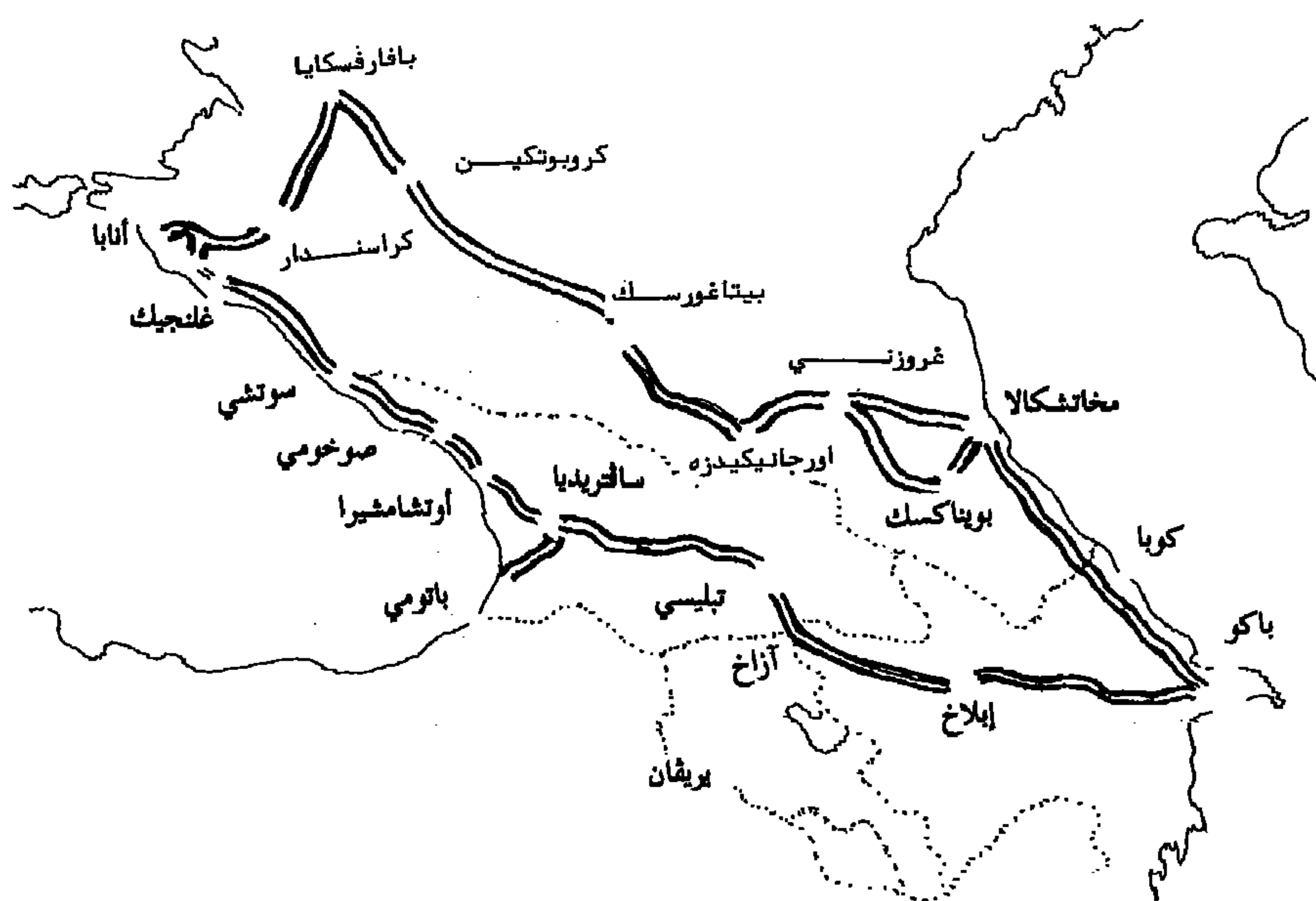
مصور يمثل الطريق الرئيسي المحلق حول القفقاس

إضافة الى الطريق الرئيسية فإن الطرق الفرعية الى جميع المدن والقرى وفي سائر الإتجاهات متوفرة[٢٨]

٢ ــ السكة الحديدية: يساير هذا المحلق حول منطقة القفقاس طريق سكة حديدية قادمة من الشمال وتعبر المدن السابقة الذكر وتدور حول القفقاس كالطريق المعبد السابق الذكر وهو سكة من النوع العريض وإن كانت قطاراته قديمة الطراز.. ويؤخذ من هذه السكة فروع الى جميع مواقع المناجم والمصانع وآبار النفط والمدن الكبرى.

٣ ـ طرق الطيران والمطارات: يمتاز الاتحاد السوفيتي السابق بإعتماده على وسيلة الطيران في أرجائه الواسعة والبعيدة المسافات، لذلك توفرت في كل المدن الكبرى وعواصم الأقاليم والأماكن السياحية والصناعية الهامة، المطارات الصغيرة وتعمل عليها طائرات وخطوط طيران منتظمة تصل أرجاء البلاد .

إن أهمية القفقاس تنبع من موقعها على الطريق البرية الواصلة بين قارتي اوربا وآسيا الجنوبية الغربية والهند، وكذلك الطريق البحرية الواصلة عبر البحر الأسود الى البحار الدافئة.

٤ـ الطرق البحرية والموانىء: سبق أن بينا أن البحر الأسود هو طريق الاتحاد الروسي عبر البوسفور والدردنيل الى البحر الأبيض المتوسط للذلك تقوم على شاطئه الشرقي موانىء هامة مثل أنابه نوفوروسيك وصوتشي وصخومي، وكذلك يلعب بحر قزوين دورا رئيساً في الوصول عبره الى الدول المجاورة نحو ايران وتركيا والخليج العربي.

٥ ـ التجارة: فيما يتعلق بالتجارة فإن القفقاس الشمالي هو جمهوريات ومقاطعات ذات حكم ذاتي ترسل كل انتاجها الحيواني الزراعي الصناعي نحو المركز كما سبق وبيّنّا، وبالتالي فإنها لا تحاسب على شيء من إنتاجها وانما تأخذ ميزانيتها بشكل مخصصات إدارية لذلك فلا مجال للحديث عن التجارة الخارجية فيما يتعلق بالقفقاس الشمالي بإنتظار التحولات التي تجري على ساحة الاتحاد الروسي بشكل عام.

٦ ـ السياحة والإصطياف: اعتبر القفقاس الشمالي بالنسبة لما يتمتع به من مناخ عذب لطيف وشواطيء صالحة للإصطياف ومناظر طبيعية خلابة ساحرة وغابات وبحيرات وكهوف كارستيه وقمم عالية وجموديات ثلجية ومياه معدنية تنبع في كل مكان..الخ كل ذلك مما أهلها لتكون مصيف ومنتجع ومستراح الإتحاد السوفيتي السابق وقد جهز من أجل ذلك بطرق المواصلات وفنادق الدرجة الأولى والمصحات في كل مكان[٢٩]

ثامناً الواقع الثقافي الإجتماعي: شعوب شمال القفقاس (الشركس) من الشعوب القديمة جدا في هذه المعمورة إن لم تكن من أقدمها، وقد سبق أن رأينا مساهماتهم المبكرة في عصور ما قبل التاريخ، في إغناء حضارة الإنسان، لذلك يمكننا أن نعتبرهم كما عبر عن ذلك جيمس بل قائلاً (إنهم ورقة حضارة انسانية قديمة جداً)[٣٠] فهم البقية الباقية من أسرة من الشعوب التي كانت من رواد حضارات فجر التاريخ، والحال هذه يحق لنا أن نتوقع أن هذه الشعوب تمتلك تراثاً غنياً جداً من الأساطير والملاحم والحكايا والأمثلة الشعبية ذات الدلالات التاريخية العميقة ومن المؤكد أنها سابقة لكثير من الحضارات العالمية حسب زمانها ومرحلتها، وهكذا نجد جذور الميتولوجيا الدينية واساطيرها وحكاياها جميعاً والتي سادت في جنوب
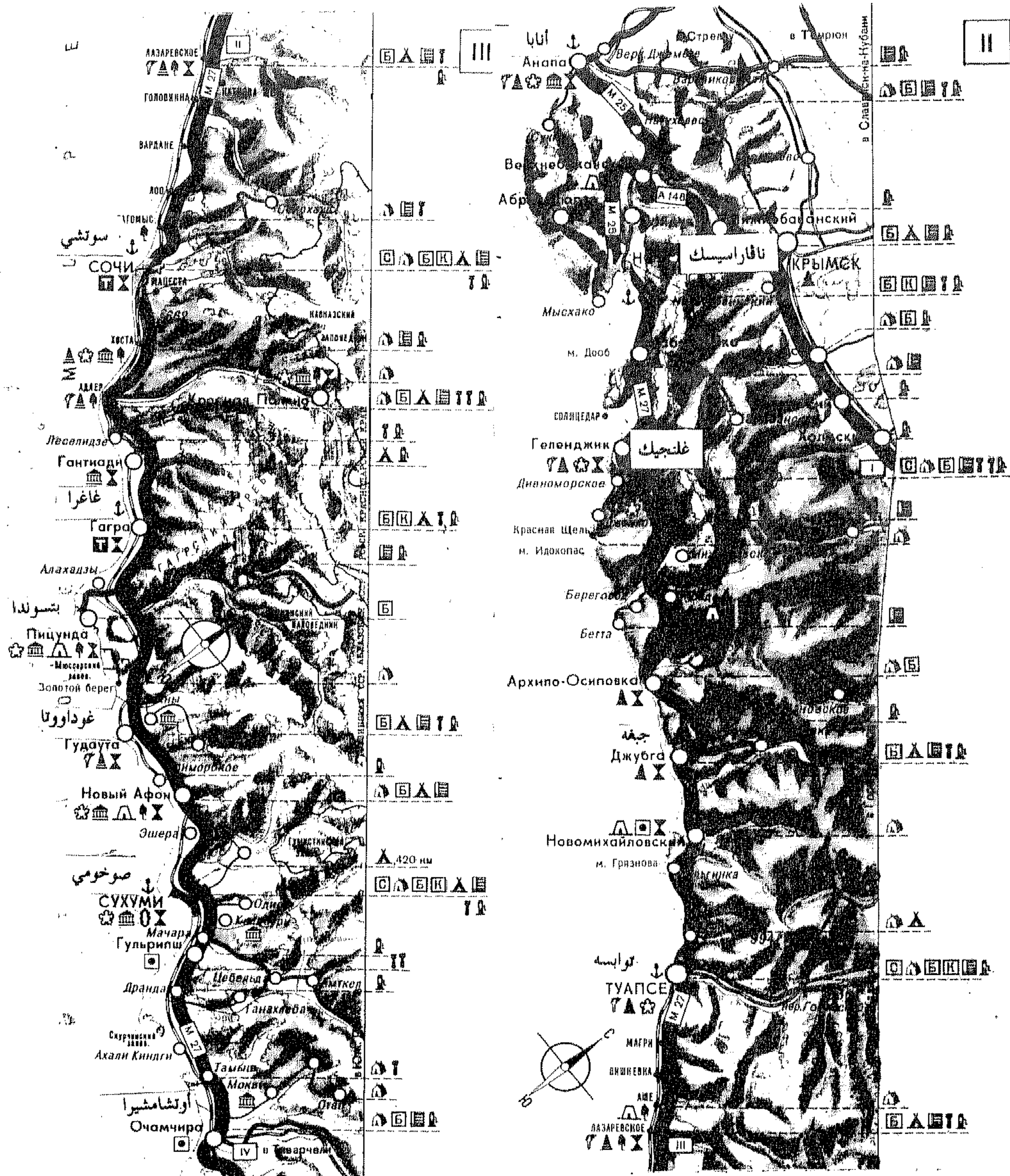
مصور يمثل المواقع السياحية على ساحل البحر الأسود

غرب اسيا وحضاراته القديمة في فجر التاريخ، كما نجد جذور العديد من أساطير الإغريق والسابقة بأكثر من ألف عام (يرجى الرجوع فيما يتعلق بالموضوع الى المجلدات السبعة لأساطير النارتيين جمع المؤرخ العلامة حدغاله عسكر يرجى الرجوع الى مؤلف مختارات من اساطير النارتيين ممدوح قوموق يرجى الرجوع الى التنويه الوارد في كتاب مدخل تاريخ الشركس صـ٢٢ أمين سمكوغ يرجى الرجوع الى مؤلفات المرحوم كوبه شعبان مرايا وكتاب الفلكلور الشركسي والرجوع الى دراســة بقلم الدكتــور عادل عبد السلام المقدمة الى مؤتمر ما يقواب وغيرها الكثير) ونسجل هنا نص ورد في كتاب أساطير النارتيين لعمق دلالاته وهو بعنوان (كلمات ساوسرقه)

(عندما كانت الدنيا العتيقة بين التماسك والسيولة، والأرض الخضراء قد تماسكت لتوها في ذلك الزمان كنت رضيعاً في المهد..) تكثر في هذه الأساطير دلالات المعرفة المبكرة للنار، وتدور مئات من الأساطير حول سارق النار المقيد على قمة البروز، وعشرات الأساطير حول الآلهة وخاصة الآلهة المتعلقة بالزراعة وتأنيس الماشية،[٣١] تبين الكثير من الأساطير دور الشمس والضوء،[٣٢] تدور عشرات الأساطير حول سارق النار المقيد على قمة البروز،[٣٣] وتدور كثير من الأحداث حول الولادة الصندوقيــة المعهودة للأبطــال التي سرعان ماتتحول في العصور اللاحقة الى ولادات معدنيــة[٣٤] من بــاطن الصخــر، والبطل والرمز الرئيس هو ابن الراعي (ساوسرقة) ولاتخلو هذه الأساطير من المؤشرات العديدة حول الصناعات المعدنية المناجل ثم الأسلحة،[٣٥] وخاصة بعد معرفة الحديد المبكر، ويلعب الحديد وإله الحديد الأدوار الرئيسة في عشرات الأساطير،[٣٦] وكذلك الحصان الأصيل، مما يؤكد على ماسبق وذهبنا اليه من فصول هذا الكتاب.

إن الغريب والطريف في آن معاً هو أن هذا الكم الهائل من التراث الثقافي حفظ من الضياع عن طريق الرواة والرواية الشعبية الشفهية، وقد أفرد المجتمع الشركسي مكانة هامة لشخصية الراوي الشعبي،[٣٧] ذلك الفنان الموهوب والأديب الذي يحفظ الأساطير والحكايا والحكم والأمثال والمراثي، وهو يجيد العزف على آلة موسيقية شعبية هي الكمان الشعبي الشركسي المسماة (شكه بشنه) وهذه الشخصية المميزة والمحترمة لم تكن تشارك في الأعمال والقضايا اليومية الدنيوية ولم تكن تشارك في الحروب وغيرها شأنهم في ذلك شأن رجال الدين أو الأطباء في الحروب والمجتمعات الأخرى، وعن طريقهم ثم حفظ هذا الموروث من الضياع بعد أن فقد الشركس كتابتهم الخاصة بهم منذ القرن الخامس الميلادي ودمار المراكز الحضارية والتجمعات السكانية في أحواض الأنهار وسهول أقدام الجبال وبقائهم ملتجئين الى

جبالهم طوال خمسة قرون في حين تسرح وتمرح قبائل الهون وقطعانهم في السهول على مرمى الأبصار منهم.(٣٨)
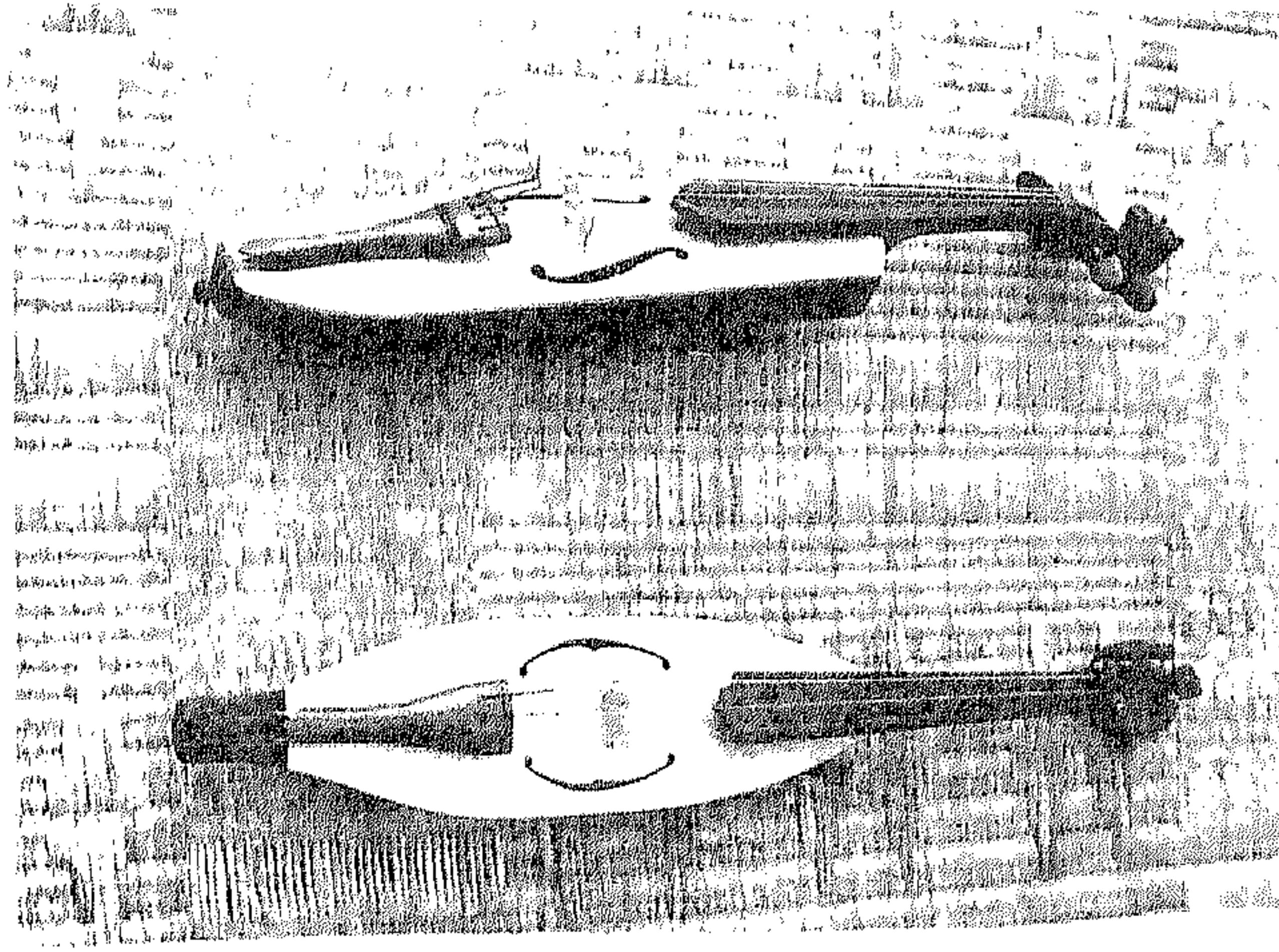
آلة الكمان الشعبية (شِ ـ جَ ـ بشنه)

تمتاز المجتمعات الشركسية بأنماط نظامها الإجتماعي الموروث الفريد من نوعه، وان أولى السمات التي نلاحظها هي١ ـ وحدة هذه المجتمعات المصيرية، وهي تشترك بخصائص سكانية ولغوية واجتماعية حضارية ذات جذور قديمة جداً مما لايتوفر له شيء كثير من الدول الكبرى التي انما تجمع شعوباً مختلفة اليوم، إن وحدة وتوحد شعوب شمال القفقاس عبر تاريخها الانساني الطويل (مما سنراه لاحقاً) وما نشاهده اليوم من وحدة عاداتها وتقاليدها ومظاهر حياتها الفكرية والأدبية شيء لايمكن انكاره وتبرهن عليه تلقائياً إسقاطات التاريخ في مختلف مراحله والذي انتهى مع الأسف الى صنع كنتونات الحكم الذاتي، ونحن يمكن أن نسقط في دراستنا هذه النصر الأبخازي المؤزر وتحرير ابخازيا من العدوان الجورجي الغادر كحادثة تاريخية نخضعها للدراسة والتحليل فنرى أنه قد تم وتحقق استناداً الى حقيقتين جوهريتين الأولى هي وحدة شعوب شمال القفقاس المصيرية والثاني حقيقة تبادل المصالح الحيوية والإستراتيجية والاقتصادية القفقاسية الشمالية. ٢ ـ هذه المجتمعات محافظة شديدة التمسك بتقاليدها وعاداتها التي تعتبرها عنواناً لمفهوم الحياة المثلى واهم تراث يرثه الأبناء عن الآباء. ٣ ـ

هذه المجتمعات شديدة التمسك بالحرية الفردية والإستقلالية والاعتزاز بالنفس والاعتماد عليها وقد نوهنا سابقاً الى أثر هذه الصفات عليهم بحيث لم يتمكنوا دائماً من توحيد أنفسهم، وربما تعود جذور هذا الواقع الى عهود قديمة جداً وهي النمط الحضاري لدويلات المدن والذي عرفت به شعوبهم القديمة كما رأينا، أو أن طبيعة بلادهم الجبلية وصعوبة المواصلات سابقاً وفي فصول الشتاء الباردة كانت السبب في تربيتهم الإستقلالية، إن تربية الأطفال ومنذ نعومة أظافرهم تقوم على مثل هذه المفاهيم فالآباء لم يكونوا ليحملوا ابناءهم او يجلسوهم في مجالسهم أو حتى يقبلوا أطفالهم٤. ـ هذه المجتمعات هي مجتمعات الطبقة الواحدة وافراد المجتمع متساوون جميعاً في القيمة الإجتماعية ولايلعب الثراء أو المركز الوظيفي إلا دوراً ثانوياً لديهم ويعطون عامل السن الدور الأساسي في المنزلة الإجتماعية وكلما كبر المرو عندهم كلما زادت قيمته الإجتماعية بغض النظر عن الأمور الأخرى كالثروة أو السلطة أو الجاه ويصبح المسن قيماً على العادات والتقاليد الإجتماعية التي تنظم هذه المجتمعات ويصبح حكمه القول الفصل في كل الأمور والمسائل الإجتماعية.

لقد دخلت طبقية القرون الوسطى الى هذه المجتمعات، ثم زالت بثورات اجتماعية مبكرة عند بعض القبائل وربما تكون قد استمرت عند قبائل أخرى الى وقت متأخر نسبياً.

عرف الشركس الديانات الوثنية بسائر مراحلها بدءاً من عبادة الأم الكبرى التي وجدت تماثيلها ولقياتها ورسومها الى عبادة قوى الطبيعة المختلفة، وهي بذلك تشبه باقي أسرة شعوب شمال القفقاس في العصور القديمة، ثم عرفوا بعد ذلك الديانة السماوية المسيحية التي انتشرت بدءاً من الساحل الغربي ووصل القفقاس المبشرين وخاصة زمن الامبراطور جوستنيان امبراطور البيزنطية وقد سمي هؤلاء الرهبان(شوجن) واقتصر نشاطهم على الجهات الغربية والوسطى.

ثم دخلها الأسلام من الشرق عند وصل الفتح العربي الاسلامي الى ممر دربند ولامس القفقاس الشمالي ولم يدخله، ولكن الاسلام انتشر بين الداغستان والشيشان طواعية عن طريق المبشرين والدعاة، واستمر في انتشاره بإتجاه الغرب،ولعب سلاطين الشركس في مصر ومن بعدهم الدولة العثمانية وحلفائهم امراء القرم دوراً كبيراً في نشر الاسلام في أرجاء القفقاس الشمالي قاطبة.

عندما جاءت الحرب العدوانية القيصرية والتي ارتدت في كثير من مراحلها رداء الحروب الصليبية عمقت الإسلام في النفوس وقامت الحرب الوطنية في كثير من مراحلها على أسس دينية متشددة ومنها حروب الإمام منصور وحروب أئمة المريدين وحروب بطل المقاومة العظيم الشيخ شامل ونائبه محمد أمين.

إنه وبعد احتلال القفقاس وقبله مارس الروس عمليات التنصير على الطرق الاستراتيجية (الكوخيد وممر داريال) حيث تحقق لهم شيءمن النجاح فتنصر قسم من الأبخاز والأستين في حين فشلوا في أرجاء القفقاس الشمالي الأخرى.(٣٨)

وفي العهد البلشفي وضمن السياسة العامة للإتحاد السوفيتي ثم القضاء على رجال الدين الإسلامي وجرى اعدامهم في العهد الستاليني، ثم حولت المساجد الى أماكن اخرى أو تمت إزالتها نهائياً، وقد تم العمل على نشر الثقافة السوفيتية في المدارس والمؤسسات الأخرى وجرى العمل على تجهيل هذه الشعوب بتاريخها القومي وتراثها الديني جيلاً إثر جيل مع بقائها متمسكة عاطفياً بتاريخها ودينها دون أن تعرف عنه الشيء الكثير.(٣٩)

لقد انتشرت المدارس في العهد السوفيتي وبجميع مراحلها الابتدائية والثانوية والمعاهد والجامعات وفي عواصم الأقاليم تدرس فيها كل الاختصاصات المعاصرة، مع الأسف ترافق تراجع التعليم باللغات الوطنية والثقافة القومية الخاصة بهذه الشعوب ضمن سياسة التوجيه الثقافي السوفيتية ومورس التعتيم والإهمال المقصود لكل ما يتنافى مع السياسة العامة للتعليم السوفيتي واعتبرت اللغة الروسية هي اللغة الأولى وتدرس بها كافة المواد منذ المراحل الألى للتعليم، واعتبرت اللغات القومية لغات ثانوية تدرس بدروس خاصة كلغة اختيارية وعندما فقدت هذه اللغات وظيفتها في الحياة غدت في نظر أصحابها عائقاً أمام عملية التعلم والتقدم في التعليم وصار ينظر اليها من قبل العديد من المتروسين ان لالزوم لها وهذه السياسة المرسومة كانت بداية ذوبان وانصهار الوجود القومي لهذه الشعوب في البوتقة السوفيتية التي هي في حقيقتها ومضمونها البوتقة الروسية.

وعندما حدث الانهيار في البناء السوفيتي شهدت الشعوب ومن ضمنها الشعب الروسي نفسه تسابقاً في العودة الى الأصول القومية أو الاصول الدينية، وبدأت كل الشعوب تحاول استرجاع ما فقد من هويتها ورفع شأن لغاتها ودراسة تاريخها الحقيقي وتراثها الاسلامي.

تمتلك شعوب شمال القفقاس فولكلوراً غنياً خاصاً بها فيما يتعلق بنمط اللباس الذي غدا معروفاً ومشهوراً وأخذته كثير من الشعوب وجيوشها (وخاصة فيما يتعلق بلباس الرجال لملاءمته للفروسية وكذلك لتفوق تجهيزات الحصان من السرج واللجام والركاب والسوط وغيرها)(٤٠)

وقد اقتبسته فرق الفرسان في جيوش عديدة مما عاد بالدعاية السيئة والسمعة السيئة على الشركس بسبب ما اقترفته تلك الجيوش والفرق التي اقتبست اللباس الشركسي.

وعندما منع الروس الشركس من ارتداء زيهم القومي، للتخلص من سلاح القاما السلاح

القومي الذي يتمنطق به الشركس، في الوقت الذي منع الشركس من ارتداء زيهم القومي، كان القيصر الروسي وحاشيته من أمراء البلاط الروسي يرتدونه متباهين به من منطلق أناقته وملاءمته لواقع الحال.

ولاتزال العائلات الشركسية في المهاجر، تحتفظ بأقسام واجزاء من هذا اللباس الجميل الذي تعتبر اجزاؤه تراثاًشعبياً لاتسهل صناعته اليوم (كرباط الوسط القشاط المزين بقطع فضية مزخرفة وثمينة تعلق عليها مختلف الأسلحة والأدوات، وخراطيش البارود التي تزين جانبي الصدر والتي تصنع من الخشب الثمين وتطعم بالفضة المزخرفة، وكذلك سلاح القاما الشهير الذي تصنع شفرته من الحديد الجوهر ويزين غمده بالجلد والزخارف الفضية، وكذلك نذكر لباس الفتيات المحتشم الجميل المطرز بخيوط الذهب والفضة ولايفوتنا الحديث عن الرقص الشعبي الشركسي الذي غدا معروفاً لجمال حركاته وخلوه تماماً من أية حركات خلاعية، وهي بمضمونها رياضة عظيمة تدرب الانسان على الرشاقة والقوة وخفة الحركة، وقد اشتهرت هذه الفرق في المهرجانات العالمية بفوزها غالباً بالمراكز والمراتب الأولى.

اللباس الشركسي عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

الهوامش والمراجع

١ ــ يرجى الرجوع الى كتاب جغرافية العالم الاقليمية ـ جينز هـ ولز ـ
٢ ــ يرجى الرجوع الى كتاب تضاريس العالم ــ كمال خضير ــ
٣ ــ المرجع السابق
٤ ــ يرجى الرجوع الى كتاب رحلة في بلاد القفقاس تأليف بالاس
٥ ــ يرجى الرجوع الى كتاب مدخل تاريخ الشركس سبق ذكره
٦ ــ يرجى الرجوع الى كتاب احتلال القفقاس سبق ذكره
٧ ــ يرجى الرجوع الى كتاب القوقازيون الشركس تقرير موفد القيصر يا ابراموف ترجمة دكتور زهدي وارتب سطاس
٨ ــ يرجى الرجوع الى كتاب التهجير سبق ذكره
٩ ــ يرجى الرجوع إلى كتاب كفاح الوايناخ الفصل الثاني الحكم الوطني هو ١٣١ تأليف عبد الله شعبان
١٠ ــ المرجع السابق
١١ ــ كتاب قتله الأمم النفي السوفييتي للأمم أثناء الحرب العالمية الثانية) تأليف روبرت كونكوست ترجمة صادق ابراهيم عودة
١٢ ــ المرجع السابق "" كتاب التهجير سبق ذكره.
١٣ ــ يرجى الرجوع إلى أطلس الاتحاد السوفييتي
١٤ ــ يرجى الرجوع إلى المرجع السابق
١٥ ــ موسوعة التاريخ الشركسي ــ جمال أبزاوه ــ الجزء الأول : ينقل عن مجلة الاتحاد السوفييتي العدد (٧٢) لعام ٦٦ صفحة ١٤ ــ ١٥ : الثروة الحيوانية : إن جميع انحاء القفقاس ذات شروط مشجعة جداً لتربية الماشية بجميع أنواعها لكثرة مراعيها وكثرة أعشابها في تغطي الجبال والسهول وأراضي الغابات وأطراف المزارع لذلك تربى فيها قطعان (الأغنام ـ الماعز ــ البقر ــ الجاموس ــ والبقر القفقاسي يمتاز أنه من أضخم أنواع البقر في العالم كما ترى قطعان الخيول ، أما الجمال والحمير فقليلة لايهتم بها الشركس ناهيك عن حيوانات الصيد البري كالغزلان والأيائل والأرانب والخنازير البرية وأمثالها وكذلك الطيور والدواجن والديوك الرومية والأوز والحمام وطيور الصيد البرية المتواجدة بكثرة ، لذلك فالقفقاس الشمالي يعد من أهم مصادر اللحم للشعب السوفييتي ، وقد ورد في المجلد أن مزرعة تعاونية تربى ٧٥٠٠ رأس بقر منها ٣٢٠٠ بقرة حلوب فيها ١٦٠,٠٠٠ من فراخ الطيور وقطيع أغنام مؤلف من ٦٠٠٠ رأس من نوع مارينوس رفيع التيلة ، تنتج ٧,٥طناً من اللحم لكل ١٠٠ هكتار من الأرض المحروقة وأنها باعت الدولة ١٢٠٠ طن من اللحم ٥٥٠٠ طن من الحليب وثلاثة ملايين بيضة ومثل ذلك عن
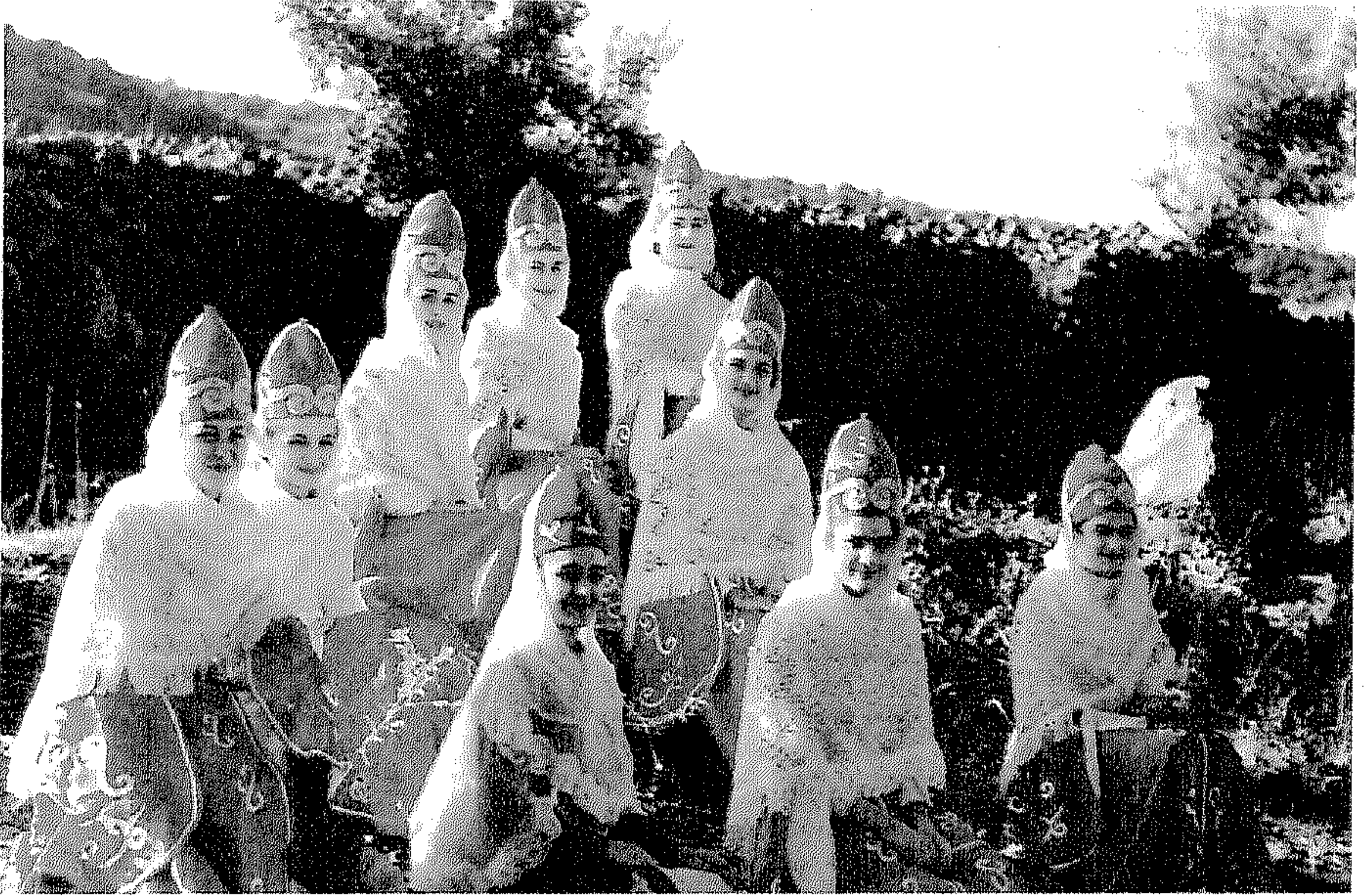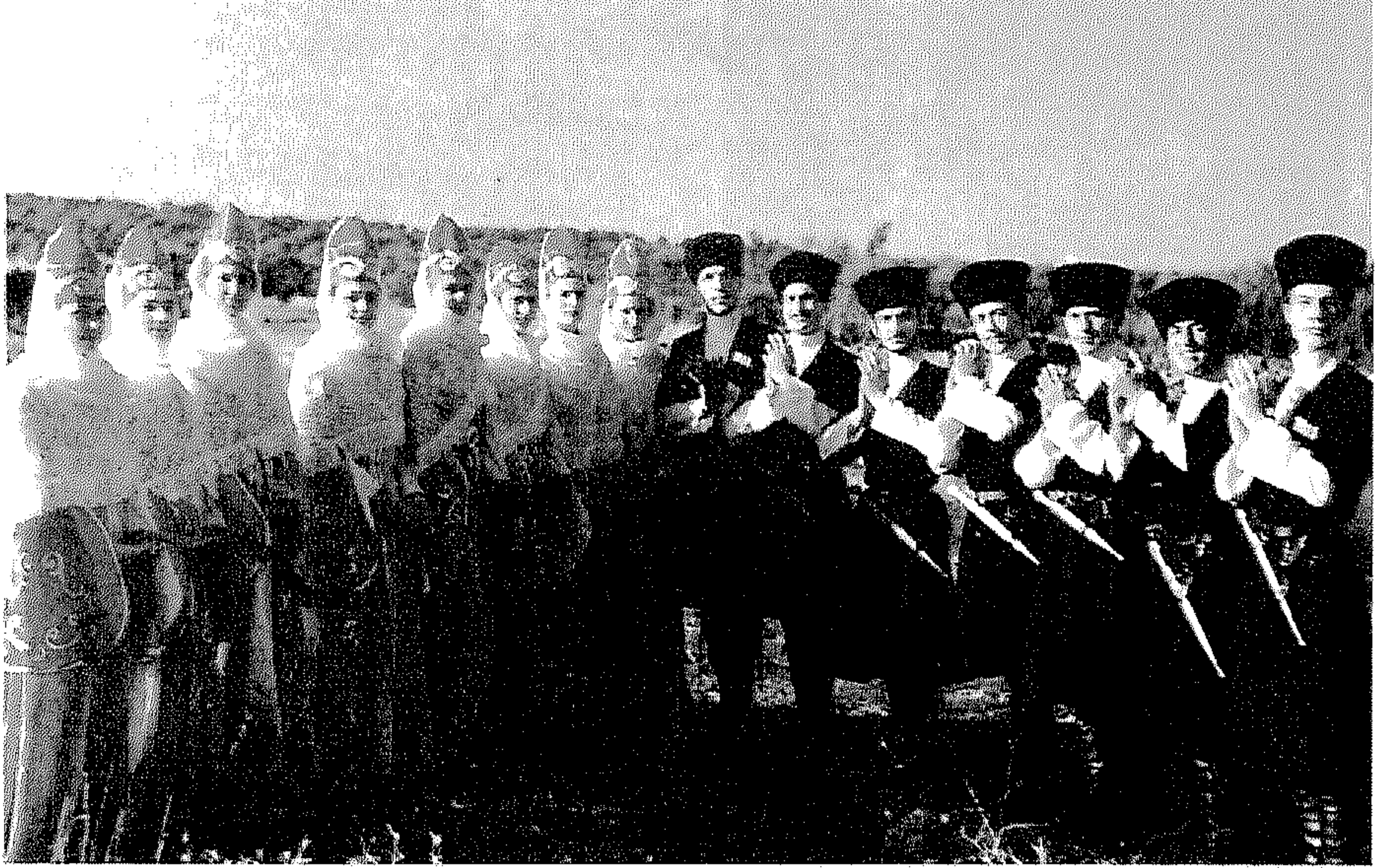
صورة تمثل فرقة الرقص الشركسية (جمعية المقاصد الخيرية بدمشق)
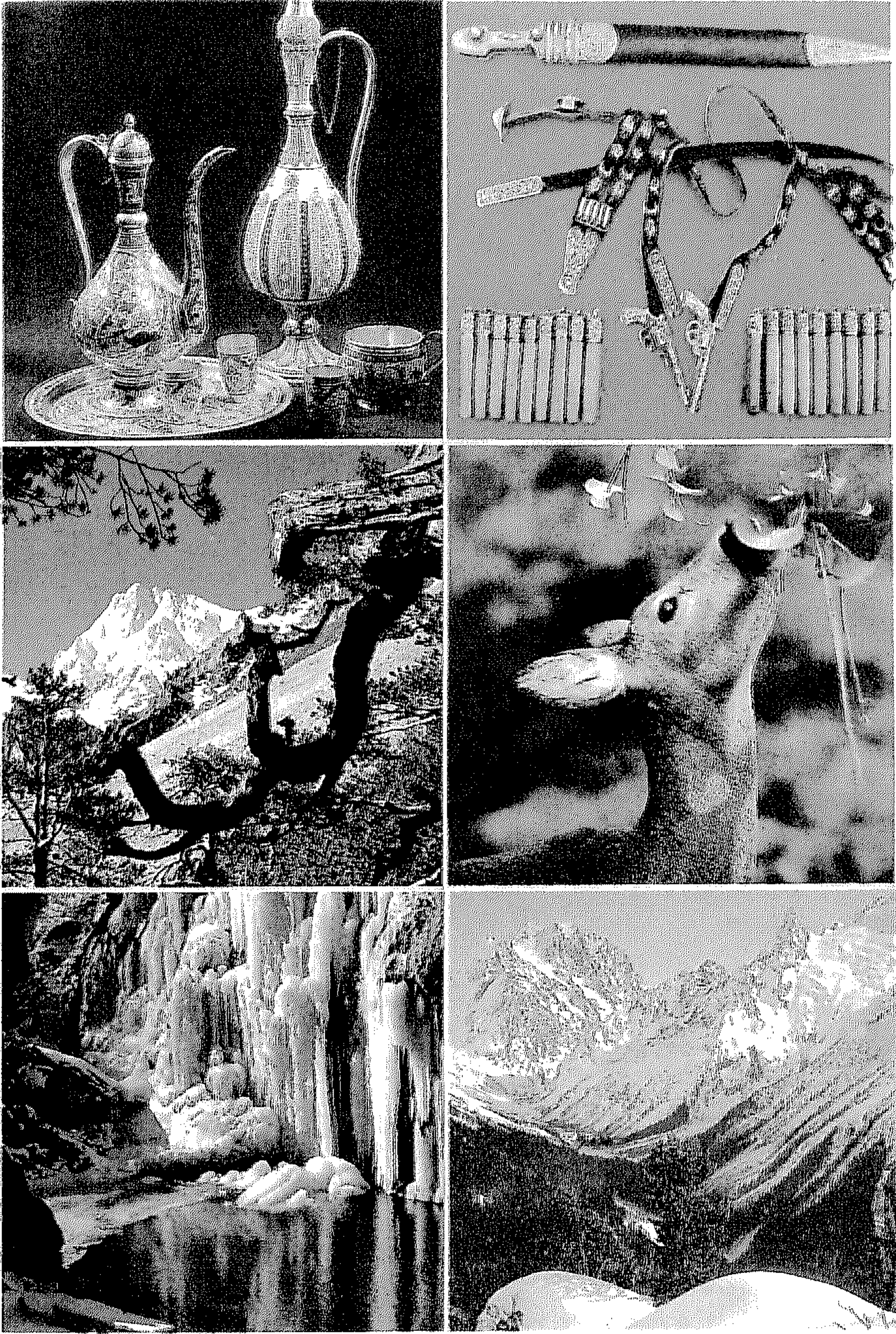
أدوات وأسلحة تظهر دقة وجمال الصناعة المعدنية بعض المناظر الطبيعية الخلابة في القفقاس الشمالي

الثـروة السمكية بلغت اعداد المواشي بشكل عام (٦٢٩٩٩٠) جواد و (٢٠٣١٧٣٢) بقر و (١٥٧٩٥٧) جاموس و (٤٧٢٣٢١٤) غنم و (٥٢٢٥٧٩) ماعز و (٣٣٦٧٠٠) خنزير والصيد البحري (٦٠,٠٠٠) طن وبلغت مبيعات العسل ٥ مليون روبل.

وعن دائرة المعارف البريطانيين ينقل : في الجبال (الغزال ــ الأرنب ــ الدب ــ الذئب ــ الفهد ــ النمر ــ الثعلب ــ الهر المتـــوحش ــ الخنازيـــر البرية) في غابات الشمال الشرقي (الوعول ــ الأسد ــ النمر) المناطق الألبية (الوعول ــ الديكة الهندية) الغابات الشرقية (الوعول ــ الماعز البري ــ الثعالب ذات الفراء الطويل الناعم وفي السهول تكثر الذئاب .

١٦ ــ المصدر السابق والمرجع السابق : (المزرعة التعاونية كوبان من أقليم كراسندار تشغل مساحة ١٢,٥٠٠ هكتار بلغت انتاجية الغلال في المتوسط ٣,٨٠٠ طن عن كل هكتار من الحنطة وأخرى بلغ متوسط انتاج لهكتار فيها ٤,٧ طن من الحنطة .

تزرع الذرة الصفراء بشكل كثيف وتنتج أجود أنواعها وبمردود كبير جداً وكذلك الشعير والجلبان والبقول والخضار والفواكه والشوندر وبساتين الفواكه بجميع انواعها ثم المشمش والحمضيات تجود بشكل جيد على الساحل .

قفقاسيا الشماليـــــة تصدر ٤٠٪ من انتاجها للحبوب والمساحة المزروعة كانت عام ١٩٢٣ ــ ١٠٠,٠٠٠ هكتار والانتـــــاج ٥ مليون طن ويشكل القمح ٥٥٪ من الانتاج وفي الهضاب يعني بزراعة الذرة الصفراء التي تشكل ٨٥٪ من المزروعات ، وفي القسم الغربي يزرع دوار الشمس والتبغ الممتاز وقد بلغ انتاجه ٣٠,٠٠٠ طن والمساحة المزروع بالقطن ١٠٠,٠٠٠ هكتار وبلغت مبيعات العسل ٥ مليون روبل إضافة إلى الكروم ودودة القز.

ملحق بالفقرة ١٤ تنمو الأزهار الجميلة حتى ارتفاع ٦٠٠ م واشجار الجوز حتى ١٦٢٠م والعنب والتوت حتى ٩٦٠م والليمون حتى ١٢٠٠م واعلى مستوى للأشجار هو ٢٢٥٠م والأعشاب النامية ٢٥٥٠م والمروج العشبية ٢٧٠٠م

١٧ ــ يرجع الى كتاب احتلال القفقاسص ١٨١ ــ١٩٠

١٨ ــ المرجع السابق

٢٠ ــ كتابقتلة الأمم سبق ذكره

٢١ ـ كتاب فك رموز الكتابات القديمة في القفقاس الشمالي ص ١٩٢ يقول على لسان العضو المراسل في أكاديمية العلـــوم السوفيتية ستيبانوف وهو مدير معهد اللغات لدى الأكاديمية (بعدم امكانية اصدار الكتاب لأن تفسير الآثار يسبب مشاكل في مجال أولية التطور الثقافي لشعوب القفقاس، ويمس مسائل معقدة في كبريائها الوطني ان المقصود بكل هذا التبرير انه كيف يكون للأمة الشركسية حضارة وكتابة رائعة منذ منتصف الألف الثالثة ق.م ولايكون مثلها للأرمن والجورجيين (الكتابة الأرمنية والجورجية ظهرتا في القرن الرابع الميلادي والكتابة الروسية في القرن العاشر الميلادي)

٢٢ ـــ هذه الكثافة هي مجمل الكثافة البشرية في مجموع القفقاس الشمالي
٢٣ ـــ يرجى الرجوع الى كتاب التهجير سبق ذكره
٢٤ ـــ ٢٥ الأطلس العام للإتحاد السوفيتي
٢٦ ـــ ٢٧ محاضرات القيت في الجمعية الخيرية الشركسية بدمشق
٢٨ ـــ ٢٩ ـــ كتب ومصورات سياحية عن القفقاس الشمالي
٣٠ ـــ ٣٦ يرجى الرجوع الى كتاب اساطير نارت الشركسية سبق ذكره
٣٧ ـــ يرجى الرجوع الى رواية دوي الرعد التي تصور شخصية الراوي أدق تصوير.
٣٨ ـــ يرجى الرجوع الى تقرير ياابراموف موفد القيصر الروسي سبق ذكره
٣٩ ـــ كانت احدى المسنات تحتفظ بقصاصة من صحيفة عربية قديمة على انها صحيفة من القرآن كريم

٤٠ ـــ تتفوق تجهيزات الحصان الشركسية على مثيلاتها بحيث يركب الفارس الحصان مدة طويلة بدون ان يتعب بسبب مخمدات قطنية بشكل نصف كرة عددها ٤ تبرز من السرج وكذلك الركاب يسمح بإمتداد الرجلين بطولهما بحيث يكون الراكب واقفاً مما يسمح له بإستخدام السلاح بجميع الاتجاهات براحة تامة.

وأما اللجام في فم الفرس فله حركتان الحركة الأولى تشبه فرامل الزيت اما الحركة الثانية فتشبه فرامل السرفو حيث تقف الفرس في عدوها فجأة.

تجهيزات الحصان عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

ثانياً ـ القفقاس الشمالي في العصور الحجرية

تؤرخ العصور الحجرية في القفقاس على النحو التالي:

١ ـ العصر الحجري القديم (الباليوليت) ويمتد من (٢,٥ مليون سنة حتى ١٠ آلاف سنة ق.م) وهو بذلك يمتد على معظم عمر الإنسان وأشباهه على الأرض (٩٩,٥٪)

ويقسم الى أربعة عصور

أ ـ العصر الحجري القديم العتيق (الباليوليت العتيق) ويمتد حتى ١,٣ مليون سنة خلت

ب ـ العصر الحجري القديم الأدنى (الباليوليت الأدنى) ويمتد حتى ٨٠ ألف سنة خلت

جـ ـ العصر الحجري الأوسط (الباليوليت الأوسط) ويمتد حتى ٤٥ ـ ٣٥ ألف سنة ق.م

د ـ العصر الحجري القديم الأعلى (الباليوليت الأعلى) ويمتد حتى ١٠ آلاف سنة ق.م

٢ ـ العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) ويمتد من ١٠ آلاف سنة حتى ٨ آلاف سنة

٣ ـ العصر الحجري الحديث ويمتد من ٨ آلاف سنة وحتى ٥,٥ ألف سنة ق.م وتتزامن بداية العصر الحجري الحديث مع نهاية دور البليئيستوسين وبداية دور الهولوسين

١ ـ العصر الحجري القديم الأدنى حتى ٨٠ ألأف سنة ق.م

يبدو أن هذا العصر يمتد على ٨٦٪ من الفترة الزمنية لإمتداد آثار الاستيطان البشري في القفقاس الشمالي، والذي يعد استناداً الى مالدينا عن تنوع كبير في اللقى الأثرية من المراكز المبكرة لأول ظهور بشري في حدود الاتحاد السوفيتي السابق، كما يمكننا اعتبارها من المراكز الأكثر أهمية للتوضعات البشرية في حدود هذا البلد.

إن المعطيـــات الأثـــرية التي تـــدل على التوضـــع البشري الأول تعطي التـــاريخ ما بين (٥٠٠ ـ ٢٠٠) ألف سنة وهو وقت يتطابق مع فترة ما بين (الجليدية الدافئة الكبيرة) ويظهر لنا استيطان بشري كثيف في النصف الثاني في الفترة (الآشولية) وخاصة في الآشولي الأعلى تظهر آثار التوضع الآشولي في (كولخيد ـ سواحل البحر الأسود ـ القوبان ـ اوسيتيا) واننا نجد رأيان في مصدر هذا الإستيطان والأول هو رأي الأغلبية من المؤرخين والباحثين التي تقول بالنشوء في القفقاس، والرأي الثاني هو رأي الأقلية الذي يقول بأن هذا الاستيطان البشري قدم من الجنوب ودخل القفقاس وصعد شمالاً الى أوربا وهو يلاحق طرائد الصيد.

إن الآشولي القديم يصادف في (تيبال - شبه جزيرة تاماند اغناكيتوف بسقوبس) وهذه الأدوات الحجرية كانت تصنع من الاوبسيدوان والأنديزيت في القفقاس الأوسط ومن الكريمن في القفقاس الغربي وهذه الأدوات كتلية تمثل قطاعات يدوية غير متقنة.

ويصادف الأشولي الأعلى في معظم المناطق السابقة ويمتاز بنماذج أكثر دقة وصارت تأخذ الشكل الأهليلجي والقلبي والمثلث (١٥ - ٢٠ سم) ودخلتها تقنية الجلخ وصارت يد الإنسان أكثر تخصصاً وصارت تحتوي على أدوات لتصنيع الأدوات.

إن اللقى الأثرية التي تعود الى هذا العصر تظهر بكثافة أكثر في الجزء الشمالي الغربي وعلى طول حوض الكوبان وبشكل اقل في الوسط والجزء الشرقي (ويمكن التفكير بظروف المناخ التي كانت سائدة كسبب لتفسير هذه الظاهرة.
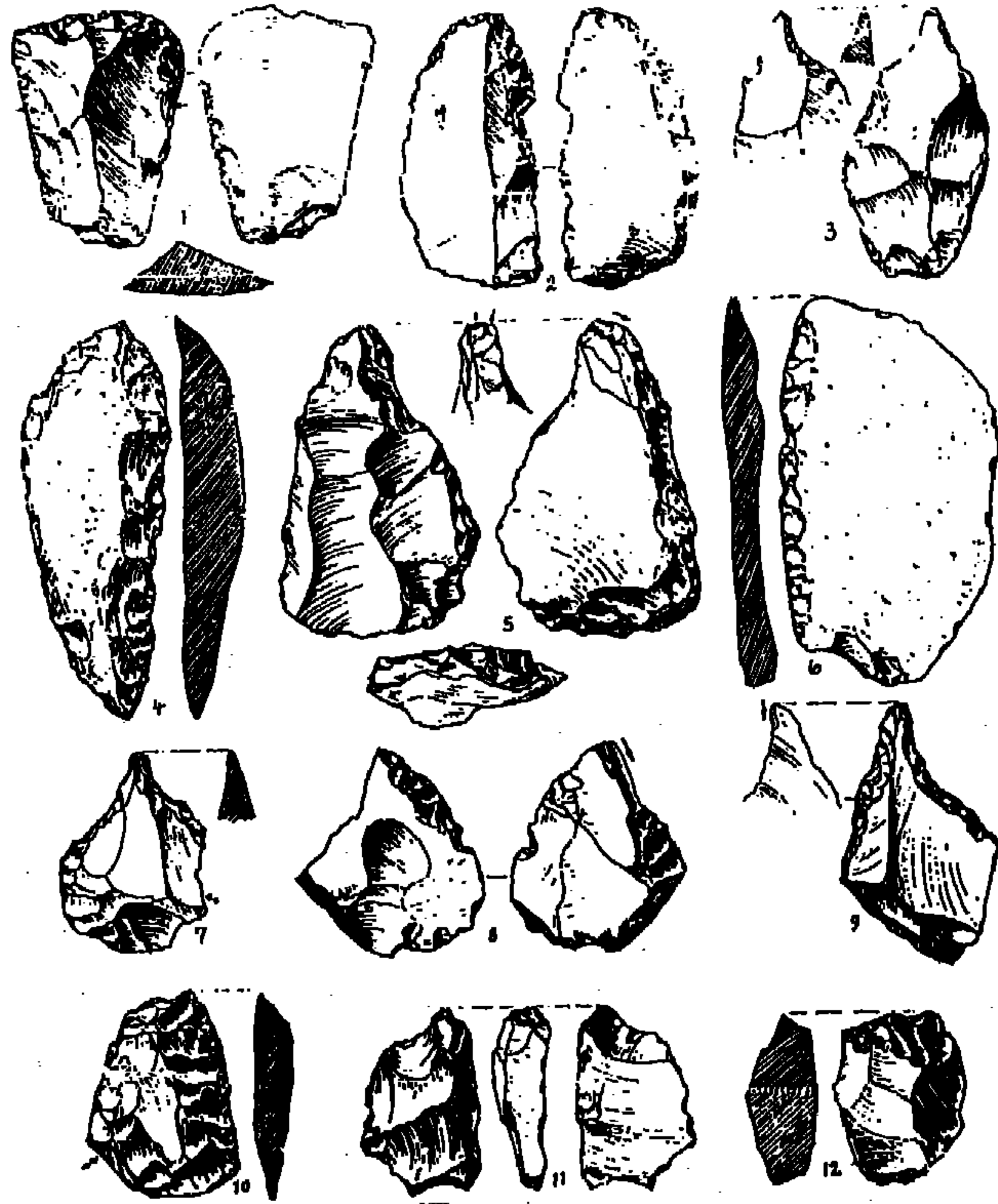
لقى أدوات حجرية آشولية

حياة الإنسـان في العصـر الحجري القديم الأدنى الباليوليت الأدنى الصيادون وقاطفو الثمار الآشوليون : لقد احتل هؤلاء الناس مساحات مختلفة من القفقاس الشمالي وعلى ارتفاعات مختلفة، وتأقلموا في صيدهم وقطفهم للثمار مع الظروف الجغرافية السائدة، ففي المناطق الجبلية والغابية من القفقاس الشمالي الغربي كانـوا يصيدون الحيوانات البرية الضخمة المنفردة (الغير قطيعية) مثل دب الكهوف، وفي مناطق الهضاب الأقل غابات (المكشوفة) اصطادوا الحيوانات الضخمة القطيعية من آكلات العشب (الحصان ـ البيزون ـ الغزال البري) إن هذا التخصص في الصيد وضخامة فرائس الصيد وبدائية الأدوات يقودنا الى الاستنتاج أن الصيد كان صيداً جماعياً مدروساً بإتقان يدل على الطابع الجماعي في أساليب الصيد، كان هؤلاء الآشوليون مستقرين نسبياً في المكان واستوطنوا المغاور والكهوف، وقد اضطروا اثناء سيادة الجليد أن يهجروا الأماكن المرتفعة الى الأماكن أكثر انخفاضاً والتي بدت أكثر كثافة في السكان.

واستناداً الى لقيات الأدوات الحجرية المصنوعة من الانديزيت والاوبسيدوان فإن حضارة القفقاس الشمالي الآشولية تتشابه كثيراً مع مثيلاتها جنوباً نحو أذربيجان وايران والأناضول وكذلك تتشابه مع مثيلاتها مع بعض الفروق في المظهر العام، مما يسمح لنا بالإعتقاد بوجود امكانية هجرات او توزع بشري مشتت من جهة القفقاس.

٢ ـ العصر الحجري القديم الأوسط من ٨٠ ألف سنة وحتة ٣٥ ألف ق.م (العصر الموستيري)

إن هذه العصر يمثل النصف الأول من العصر الجليدي وقد اشتمل على فترتي تجلد الثانية كانت أقوى من الأولى ثم اعقبها بدء ذوبان الجمودية وتراجعها ثم ظهور المناخ المتقلب، وقد تميز هذا العصر بالمظاهر التالية.

انتشار البشر الموستيريين على كامل مساحة القفقاس الشمالي ويعتبر من عصور التقدم والازدهار البشري، يتميز بظاهرة خروج الإنسان من الكهوف وتجهيز أماكن عيش مصطنعة بشكل بيوت أو مساكن من الخشب والعظام وجلود الحيوانات والحجارة والمسكن الصنعي المكتشف فيه رصف على شكل قوسي من الحجارة الدولوميتية في منطقة الجبل الإيلي في البسفير، إن هذا التاريخ للخروج من الكهوف وبداية مساكن صنعية هو تاريخ مبكر جداً بالمقارنة مع مواقع أخرى، فأول آثار لبناء كوخ مستدير ضمن حفرة في الخلاء في بلاد الشام هو موقع عين جويفة (١٣٠٠٠) ق.م والذي لم يعتبر كافياً لحدوث النقلة الحضارية للإنسان لذا فإنه ينظر الى الحقبة النطوفية من (١٠ الف وحتى ٨٣٠٠ ق.م) والخروج الى شرفات أمام

الكهوف (أم زويتينة ـ طورا بوسيف).

وفي الصناعة الحجرية يلاحظ نجاح وتطور كبير،فقد اتصفت هذه الأدوات بقلة السماكة وانتظام الشكل وتنوع الأدوات من حيث الشكل والوظيفة (إبر ـمسننات الخ..)
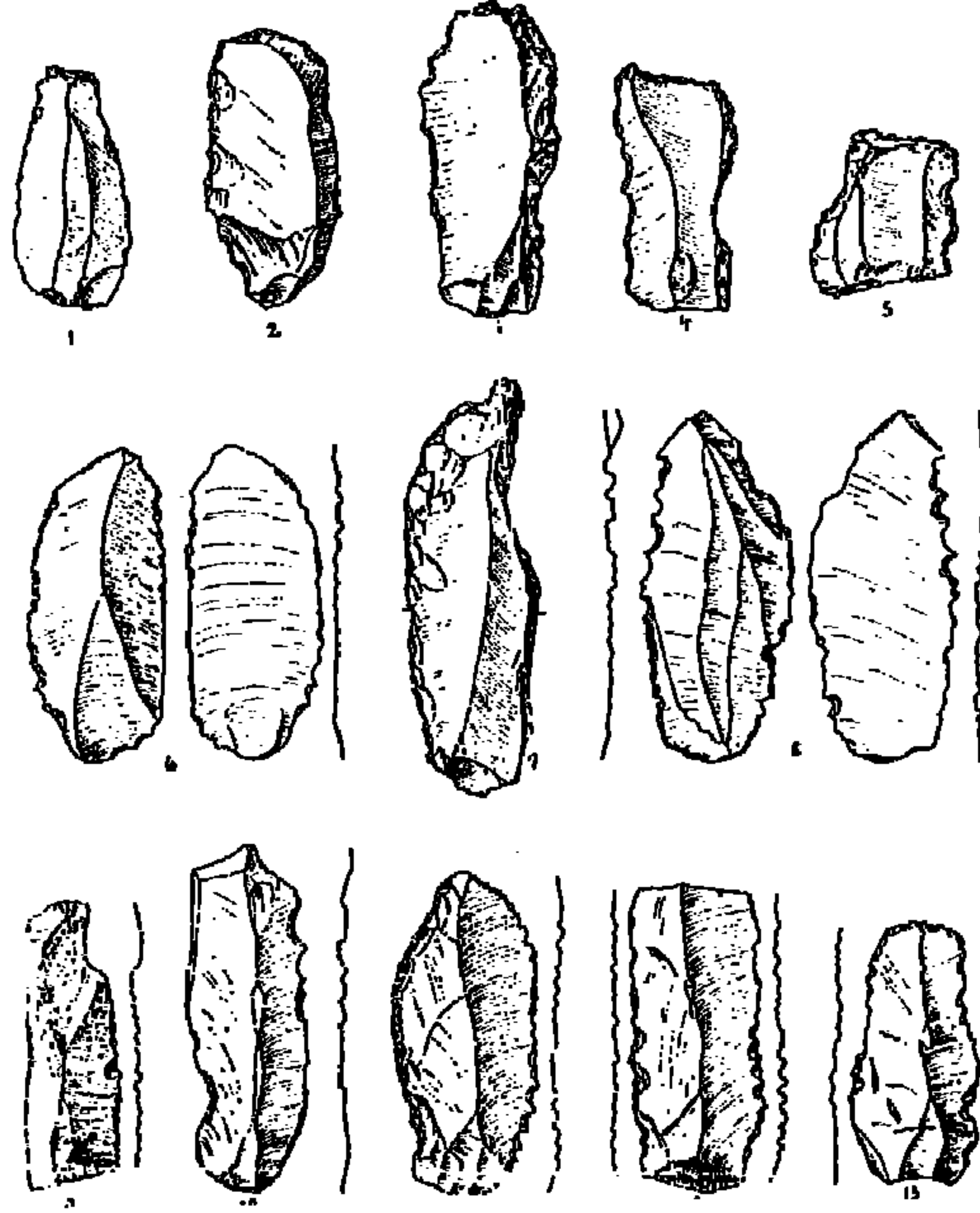
لقى أدوات حجرية موستيرية

تميزت الأدوات بأنها مشغولة الوجهين وصفيحة طويلة يمكن استعمالها كسهام وهي تحمل صفة الانتاج الجماعي ولقد وجد في مخيمات الصيد المؤقتة كميات من الحجارة المستخدمة في الصيد والقطع (نهايات الأسهم السكاكين ـ الرماح)

إن تسلسل تتابع لقيات الموستيري المبكر والأوسط والأعلى يبين تتابع تطور تقنيه صنع أدوات الحجر وشكلها.

إعتمد الانسان الموستيري كالسابق على الصيد وقطف الثمار لتأمين البقاء، واستخدم الهراوات الخشبية والقرون والسهام كأدوات صيد، وصار يلحظ انتقاء في حيوانات الصيد، وظهور بوادر الصيد الانفرادي وكانت طرائده حسب اهميتها (البيزون ـ المعزة ـ الحصان ـ الغزال ـ الغنم ـ دب الكهوف)

وقد وجد في مغارة (ايليسكايا) على عظام ٢٤٠٠ حمار وحش، وعثر في الطبقات الآشولية والموستيريـة في مغـارة (كوادور) بقايا أكثر من ٨٠ نوع من الفقاريات الضخمة (قوارض ـ أيدي جناحية ـ طيور اسماك)

وجد في حفريات الكهوف بقايا وقطع من هياكل عظمية لإناس عاشوا فترة ما بعد الآشولي (قطعـة فك وفك مكسر واسنان)، وفي الطبقة الموستيرية العليا في مغارة أختير وجد (سن للإنسان العاقل)

وقد اعتبر الرصيف الدائري للحجارة في المسكن الصيفي أنه ربما كان يدل على بداية الإعتقاد الديني، ولقد استنتج من اللقيات الاركولوجية وآثار المساكن الصنعية أن التجمعات البشرية الأحادية كانت سائدة ضمن المستوطنة مع علاقات اجتماعية في الصيد والقطف والبناء والدفاع.

٣ ـ العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر حتى ١٠ آلاف سنة ق.م

وهي الفترة الممتدة من ٤٥ ـ ٣٥ ألف سنة حتى ١٠ آلاف سنة ق.م حيث وصلنا الى المراحل الأخيرة من ذوبان الجمودية الأخيرة ثم تناوب فترات التبرد والتسخن،نلاحظ كثافة توضع اللقيات في الكوبان وتواجدهم الأحادي في باقي المناطق، مما يعطينا الانطباع بأن كثافة الأستيطان لم تكن متساوية وهذا يتعلق بالظروف المناخية التي كانت سائدة، وإذا نظرنا الى اللقيات من وجهة نظر ارتفاع المواقع نجدها كثيرة في سهول أقدام الجبال ونستنتج أن الجموديات في الأعالي قد أعاقت الاستيطان.

لقد عرف من صوتشي الى روستوف أكثر من (٥٠) موقعاً، منها ماهو على ارتفاع متوسط (تشوخ في الداغستان) أو المناطق الجبلية القليلة الأرتفاع (صوتشي) أو مناطق ما قبل الجبـال ـ الهضـاب ـ مثـل (غـوبسك ـ ستنـاي رسـلان) أو المناطق السهلية مجموعة (ثاغانروك ـ روستوف) حيث وجدت عصا حجرية.

لقد كانت حضارة العصر الحجري القديم الأعلى واحدة في كل الأماكن تمتاز بمستوى التطور الاجتماعي الواحد مع اختلافات في اساليب التعامل مع الحجر، وقد شملت هذه الحضارة سهول روسيا الجنوبية في أحواض نهر الدون الأسفل بينما يظهر الاختلاف مع لقيات السهوب الروسية.

إن انعدام التشظية من الجانبين وزواله ووجود ادوات ميكروليتية والافتقار الى الأدوات العظمية هي الصفات للقيات هذا العصر التي تشبه تماماً مثيلاتها من الآثار المكتشفة في مناطق آسيا الغربية لقد كان الشكل المسيطر على الحجر هو الصفائح المتوازية المستطيلات وتوسعت

مجموعة الأدوات واستخدمت العظام والقرون بمستوى عالٍ من التقنية فنية.

إن أهم صفة في هذا العصر هي وصول شكل الانسان الفيزيولوجي الى صورته الحالية اليوم الانسان العاقل Homo Sapiens وانتهى بشكل عملي وجوده كجزء بيولوجي وبدأ يشعرنا انفصاله عن الطبيعة.

العصر الحجري الوسيط (الميزوليت من ١٠ آلاف سنة الى ٨ آلاف سنة ق.م

بما أن الظروف الجغرافية لهذا العصر لم تشكل عائقاً أمام إستيطان البشر في هذه المناطق وشاهدنا هو أن أكثر اللقيات وجدت في المناطق المتوسطة الارتفاع ولايعقل أن المناطق الأقل ارتفاعاً كالأنهار والشواطىء كانت بدون سكان، فإن عدم اكتمال معارفنا عن هذا العصر لم يكن سببه عدم تواجد السكان وانما كان بسبب قلة أعمال البحث والتنقيب، وقد عثر على آثار هذا العصر في ٦ مواقع هي (تشوخ ميكيفي - كوزمانو - شاوليفي - ساوسرقة - المغارة النحاسية)

إن ما يساعدنا على تقسيم هذا العصر الى ميزوليت مبكر وميزوليت متطور هو تعاقب الطبقات الطويل في المواقع (تشوخ - ساوسرقة) وهي دليل التطور الذاتي في المكان الجغرافي.

لوحظ تغير في حياة الناس وحضارتهم المادية،صار الصيد عملاً فردياً بتوفر أدواته (القوس والسهم) ولعب صيد السمك وقطف الثمار دوراًأكبر في حياة الإنسان.

لقد تطورت الصناعة الحجرية بإدخال أساليب الحك والحت المخروطي والاسطواني المروس، وانتشرت الأدوات الميكروليتية الصغيرة، وقد ظهرت بعض الخطوط على جدران المغاور وكذلك على العظام وصنعت مصنوعات تزينية كالأطواق من العظام المثقوبة وعثر في منطقــة (شوفــال الداغستان) على مجموعة رسومات على الصخر واستخدمت فيها الألوان (معزات ـ حمر وحش ـ عدد كبير من التشكيلات الشعاعية الشمسية) ويبدو لنا احتمال تحركات او اتصال للبشر بين مواطن الحضارات.

العصر الحجري الحديث النيوليت من ٨ آلاف سنة حتى ٦ آلاف سنة ق.م المزارعين ومربو الماشية القدماء

المواقع في القفقاس الغربي (منطقة ادلر حيث وجدت عظام عنزة ـ منطقة الأدغي) وفي القفقاس الشرقي (قرية بويناك ـ ترنار ـ ساغاس ـ كاكالا ـ ومشاغل حجر الكريمن من ـ ارتشالا ودوزاني الخ...

في القفقاس الأوسط (في كيزين وتحتل ضيعة شاخسك مكانة بارزة وكذلك مواقع (

بستاك ـ خودوك ـ باجفان ـ اتشي ـ محمود ـ تركلي.

اللقيات الحجرية: يبدو واضحاً استمرار التطور الحضاري من الميزوليت الى النيوليت دون انقطاع تطوراً ذاتياً في المكان الجغرافي، وقد تبدلت الأدوات الميكروليتية الصغيرة بصفائح ضخمة دليل النيوليت المتقدم مثل الصفائح السكينية الضخمة ـ وتظهر التقنيات الجديدة لمعاملة الحجر مثل الجلخ والثقب البري التنعيم، إن الطلب المتزايد على هذه المواد أدى الى توضع ورشات مختصة بإستخراج الحجر والتعامل معه وتصنيع الأدوات وقد وصلت منتجات هذه الورشات الى القبائل والأماكن التي لاتوجد لديها امكانية الحصول على المادة الخام عن طريق التبادل التجاري.

لقد وصلت هذه القبائل الى تحضير وتصنيع الأواني الفخارية التي هي من أهم سمات الحضارة النيوليتية، لقد استخدم الطين نصف المشوي عند تجهيز جدران المنازل والمواقد وقد استخدمت الأواني التي تظهر سميكة الجدران إن صناعة هذه الأواني الطينية كانت ذات شكل موحد على مستوى شمال القفقاس كله وقد تطورت بسرعة، وفخار اغوبيك يبدو أكثر تطوراً بحيث نجد عدة أشكال للأواني ذات القعر المسطح وبعضها له يدين.

كل أواني اغوبيك نصف مشوية ومصنوعة من طين مواصفاته غير جيدة يضاف لها حبات من الكوارتز

البناء: نستطيع الافتراض أن هذه القبائل بدأت في هذا العصر بالدخول عملياً الى حضارة البناء الحجري وبدء فن العمارة الذي سيتطور في العصور القادمة.

الزراعة وتربية الماشية: إن ظروف القفقاس الطبيعية، ونشاط الإنسان البدائي وفرت الفرصة للإنتقال الى الزراعة وتربية الحيوان المنتجة والمعتمدة على العناية بالأرض والإنسان.

إن الحيوانات التي كانت موجودة كطرائد صيد (الخراف ـ الماغز ـ الثيران) التي هي أجداد الحيوانات المستأنسة وكذلك الغطاء النباتي الغني بالأنواع الصالحة للأكل،إن هذه البيئة المناسبة هي التي هيأت ضمن هذا الإطار إجراء اولى الخطوات نحو تدجين الحيوان وبداية الزراعة.

إنه غدا من المعـــروف أن القفقاس لعب دوراً كبيراً في تأسيس الزراعـــة، إن الأكاديمي (ن ي فافيلوف برهن أن أقدم المناطق التي انتجت الخبز هو القفقاس الشمالي وآسيا الأمامية)

في الداغستان وبشكل لايشك فيه نلحظ بدء الدخول الى عصر الزراعة وتربية الحيوان حيث تكثر هنا اجداد النباتات البرية القريبة جداً من النباتات الحالية.

لقد أثبتت الأبحاث الاركولوجية في الداغستان تلك النتائج التي كانت مبنية على المعطيات البيوغرافية وفي قرية تشوخ او في الطبقة النيوليتية العائدة الى بداية الألف السادس

ق.م ظهرت عظام حيوانات منزلية وحبوب (قمح صف واحد وصفين) إضافة الى سكاكين عظيمة وحجرية بشفرات مستقيمة ومجهزة بمقابض ميكروليتية، مجارش حبوب حجرية، كل هذه الحقائق تبرهن عن الخطوات الأولى للعناية بالأرض.

إنه وعلى طول العصر النيوليتي احتلت الزراعة وتربية الحيوان وضعاً متقدماً قيادياً في حياة واقتصاد القبائل في القفقاس الشمالي.

لقد نجم عن هذا الانتقال الهائل الى عصر الزراعة وتربية الماشية (ثورة النيوليت الأولى) تغيرات حقيقية في شكل الأدوات واستخدامها (الفأس الحجرية - تجهيز بيوت للسكن وللعمل - ادوات العمل الخشبية - الأسلحة - المجاريش الخ..) وقد صارت الحاجة لهذه الأدوات حاجة دائمة ويومية وقد جرى اختيار الأراضي الخصبة (المصاطب الليمونية) عند سفوح الجبال ولحقيات الأنهار رغم انها قليلة فهي لم تكن بحاجة الى تسميد أو عمل كثير،وقد قطعت الأشجار والنباتات الكثيفة ونظفت المساحات للعيش والعمل وزرعت قبائل القفقاس الشمالي عدة أصناف من القمح.

لقد أظهرت الطبقة النيوليتية في قرية تشوخ والعائدة الى بداية الألف السادسة معرفة تربية الغنم والماعز.

التفكير الديني: من القطع الهامــة التي عثر عليها في موقع آغوبيك والمثيرة بشكل كبير (كسرة من الفخار ذات الصناعة القوية والمتقنة لتمثال نسائي)، وفي جبال الداغستان في موقع يصعب الوصول اليه وجدت رسومات شعاعية بألوان حمراء وتحتها جسم نسائي بشكل صدر امرأة ويدين مرفوعتين الى أعلى والرمز يدل على بداية الألوهية الأم والتي نجدها تتكرر في لقيات وفن المزارعين القدماء في آسيا الأمامية،كما وجد في منطقة كريتان رسم آلهة العطاء وهي محاطة بالثيران وحيوانات مرقطة مفترسة وتحتها رسوم أصغر منها لأناس وثيران وغزلان وكلاب وحيوانات مفترسة وأفاعي وهذه الرسمة تدل على التطابق مع الرسوم النيوليتية في آسيا الصغرى الأمامية وتبرهن على الانتشار الواسع لحضارة ألوهية وعبادة الأم في آسيا الصغرى وشاطىء بحر قزوين الجنوبي والقفقاس الشمالي.

إن القبائل النيوليتية للقفقاس الشمالي كانوا على اتصال مع المناطق المجاورة وخاصة في آسيا الصغرى ومع قبائل بحر أزوف واوكرانيا، وقد وجدت الأدوات المصنوعة من حجر الكريمن والاوبسيدوان والتي حضرت في منطقة مينيرال فودي في القبرطاي خارج القفقاس وعلى بعد مئات الكيلو مترات من أماكن تحضيرها.

الإنيوليت العصر الحجري النحاسي من ٦ آلاف سنة الى ٤ آلاف سنة ق.م

الأدوات الحجرية: لهذا العصر تميزت بإختفاء الأدوات الميكروليتية اختفاء تاماً، واستعيض منها بأدوات ضخمة وقد اصبحت صناعة الأدوات الحجرية حرفة واستخدمت حجارة الكريمن الأوبسيدوان ومن الأحجار النهرية المسطحة صنعت طحانات الحبوب التي كبر حجمها بزيادة المحصول.

الفخار: وجدت مكسرات أواني طينية ذات لون أحمر، كما وجدت مقلايات مع ثقوب على الجوانب والتي بقيت منتشرة في الداغستان حتى البرونز الأوسط، إن الصناعة الفخارية في هذا العصر حققت نجاحات كبيرة ففي قرية غينتشي وجد العديد من الأواني الطينية المتعددة الأشكال، والحرق أصبح بأفران خاصة، إن الأواني المطبخية التي وجدت كانت ذات سطح خارجي غير دقيق وكان للأباريق أنوف وكان بعضها كبير الحجم مخصصاً لحفظ الحبوب وأغلب هذه الأواني كان يطلى بمادة الأنغوب لزيادة جودتها.

ـ **المعادن والنحاس:** هي الميزة الهامة لهذا العصر، إن الخطوات الباكرة للتعدين القديم في القفقاس غير واضحة، واللقية النحاسية المعروفة والأكثر قدماً في آسيا المتقدمة هي من الألف السادس حتى الثامن ق.م وفيما وراء القفقاس المجاور فإنها تعود للألف السادس، وفي اللقيات الانيوليتية للقفقاس الشمالي بالنسبة للمعدن نحن على معرفة باللقية الوحيدة لخاتم نحاسي في المقبرة النالتشيكية (القبرطاي).

إن مستوى تطور الصناعة المنزلية وخاصة الصناعة الفخارية ووجود أفران الصهر التي بلغت فيها الحرارة درجات كانت كافية لصهر النحاس، كل هذ يجعلنا نعتبر أن الامكانات اللازمة للعبور الى التعدين أو تصنيع المعادن وصل اليها في الانيوليت، في القفقاس توجد أمكنة لوجود النحاس الأولي أو فلز النحاس وكذلك أكاسيد الفلزات التي استخرجت بشكل واسع وواضح منذ القدم، كل هذا يجعلنا نتأكد أن ولادة التعدين عند قبائل القفقاس الشمالي حدثت تماماً في عصر الانيوليت القرن الحجري المعدني، وإن عدم تواجد اللقيات والقطع المعدنية في الآثار الانيوليتية في القفقاس الشمالي يمكن تفسيره بأن المعدن في ذلك الوقت كان نادراً وله قيمة كبيرة،مما استدعي إعادة صهر واستخدام قطع المعدن بعكس قطع العظم والحجر المكسورة التي كانت ترمى وتهمل.

ـ **التفكير الديني:** الأثر الدفني الوحيد حتى الأن في الجزء المركزي من القفقاس الشمالي هي المقبرة النالتشيكية هي على شكل بناء صغير دائري منخفض وجدت فيه قبور ١٤٧ جثة وهم يعودون الى عصر الانيوليت والبرونز والنساء مدفونات على الجانب اليسار والرجال على

الجانب الأيمن، وقد دفن كل (٥ ـ ٨)أشخاص معاً ويبدو انهم يمتون الى أسرة واحدة وتوجد حالات زوجية (رجل وامرأة) وأكثر العظام كانت مرشوشة بالمغرة الحمراء وبشكل كثيف وكان اتجاه الدفن من الشرق الى الغرب كثير منها ليس معه مدفونات وبعضها وجدت معه حلي (أساور حجرية، خواتم، صفائح عظيمة، اطواق من اسنان الحيوانات، (الغزال ـ الثور البري ـ العنزات ـ الثعالب ـ القطط) وبعض الحلق واطواق من الصدف، ويوجد في ثلاثة قبور صفائح سكينية من حجر الكريمن، وفي احداها خاتم نحاسي، وصفيحة عظمية مع رسومات أفاعي، ودبوس من حجر وهكذا تختلف بعض المدافن النسائية في هذه المقبرة بكميات الحلي التي تعتبر شاهداً على الوضع الاجتماعي الخاص لنساء المجتمع السائد، وبالنسبة لسكان قرية عينتشي في الداغستان على حدود القرية في حين كانت المقبرة النالتشيكية على قطعة أرض خصصت لدفن أفراد القبيلة المتواجدين في عدة أمكنة إن الرسومات على الصخر والرسومات على الأواني اصبحت تشكيلية ولها شكل رمزي وخاصة الشكل الشمسي ورسوم حراثة الأرض ورسوم الصيد ورسوم الايكارات وبشكل متكرر رسومات أفاعي.

تبدو المساكن في قرية عينشي متوضعة على مصطبه قديمة في مكان نهري ومحاطة من الجوانب بالتواءات صخرية ومسورة جهة النهر بجدار حجري عرضه (١,٥ م) وتظهر بقايا أبنية حجرية دائرية بقطر (٢,٥ ـ ٤) م وتكون أحياناً مستطيلة، والمساكن الدائرية في وسطها عضاده، ونجد آثار اشعال النار وجرار كبيرة مدفونة في الأرض وحفر بدون جرار لحفظ الطعام والتي كانت أحياناً تحت أرضيات المنازل.

ـ **الزراعة وتربية الماشية**: هي الأساس الاقتصادي للقبائل الانيوليتية في القفقاس الشمالي، وهذا النشاط الزراعي كان يقوم على ضفاف ومصاطب الانهار وفي سهول أقدام الجبال، إن خصوبة هذه الأراضي كانت تؤمن محصولاً وفيراً ومعاملة الأرض كانت بواسطة أدوات عظمية وحجرية والحصاد كان يحدث بواسطة مناجل من حجر الكريمن بشكل ملتوي وكان تكسير الحبوب يتم على طحانات الحبوب الكبيرة الحجم وتابعت تربية المواشي رسوخها وتطورها، والقطيع كان مؤلفاً من الخراف والماشية ذات القرون الضخمة والخنازير، وقد استمرت ممارسة الصيد تلعب دوراً هاماً وكان هدفه الغزال والعنزة البرية وقد شكل لحم الصيد ٤٠٪ من استهلاك قرية غينتشي، وقد استفيد من حليب المواشي ووجدت أنية فخارية خاصة بالحليب كما تمت الاستفادة من الجلود والعظام واستخدمت إبر عظمية لخياطة الملابس وبقيت الأسرة الزوجية هي الخلية الأساسية مع امتياز وضع النساء وافتراض الوصول الى نظام الأسرة الأبوي

ـ **الإنتربولوجيا**: لقد كان سكان القفقاس الشمالي في عصر الانيوليت ذوي رؤوس

طويلة وهو نفس الشكل لسكان ما وراء القفقاس وآسيا الأمامية (ايران ميزوبوتاميا)(يرجى الرجوع الى الفصول الأولى من هذا الكتاب وما أشرنا اليه من انتشار اسرة الشعوب القفقاسية منذ النيوليت واستيطانها آسيا الأمامية)

العلاقات الخارجية: كانت العلاقـات قويــه مـع قبـائل المناطق الجنوبية وآسيا الأمامية أو الغربيـــة وقد وجدت المصنوعات المتبادلة (قطع مرمرية ـ ازرار سيردوليكية ـ اصداف البحر المتوسط) في المقبرة النالتشيكية، ولم تقتصر العلاقات على الجنوب وانما كانت الى الشمال ايضاً واضحة وقوية من سكان الآزوف والدون.
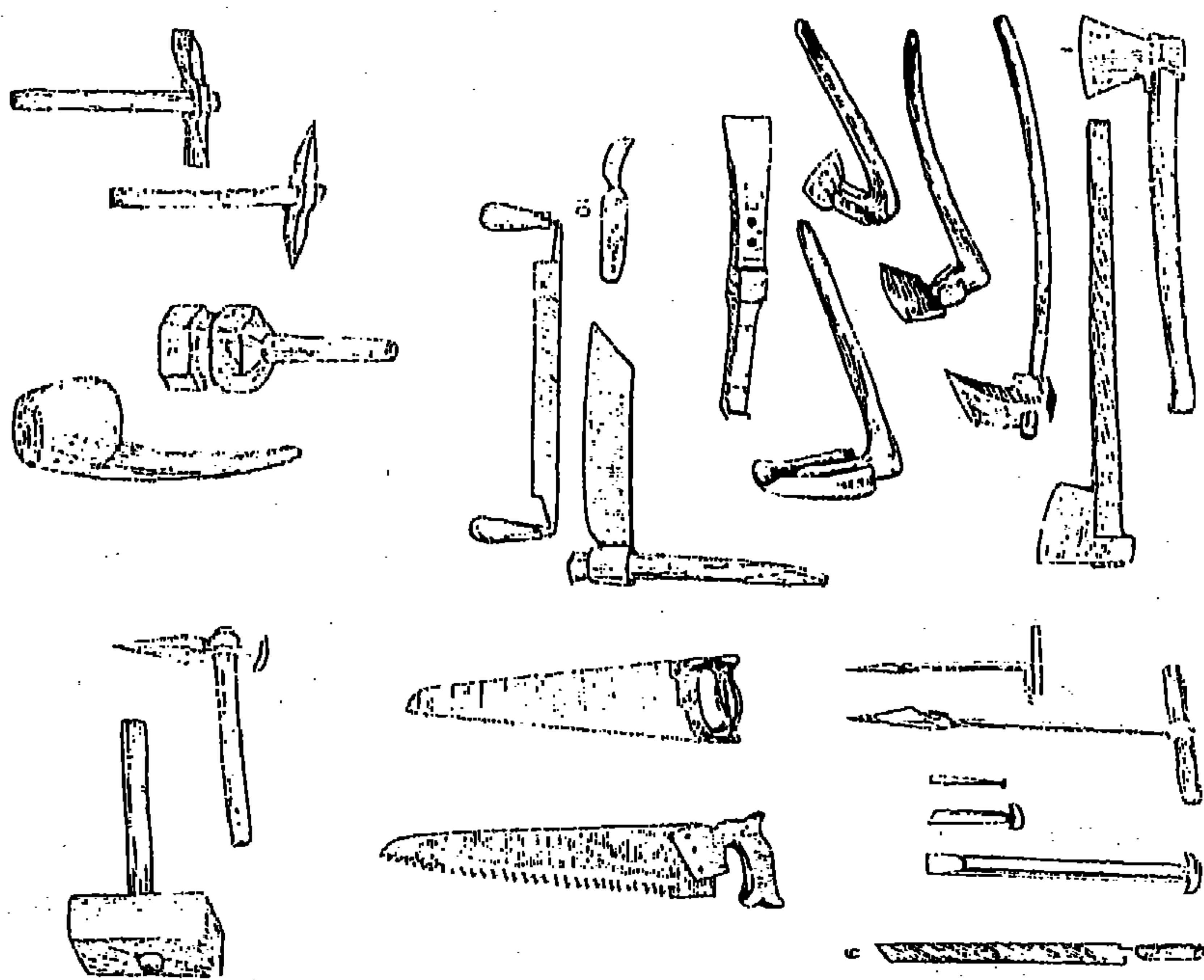
أدوات لمهن مختلفة عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

ثالثاً ـ القفقاس الشمالي في العصور المعدنية

القبائل الرعوية الزراعية في عصر البرونز

المرحلة الأولى: هي مرحلة البرونز المبكر (الألف الرابع ق.م) وهو عصر ازدهار ونشاط كبير في موضوع الزراعة وتربية المواشي، وكذلك تطور كبير وسريع للصناعة المعدنية والخلائط كل هذا كان له تأثيره الكبير على النظام الاجتماعي للمجتمع الموجود، وبروز الاهتمام بمجال العلاقات الاقتصادية مع الحضارات المتقدمة للشرق القديم.

المرحلة الثانية: . هي مرحلة البرونز الأوسط (الألف الثاني ق.م) وهو وقت ظهر فيه التمايز للحضارة المادية وزيادة دور تربية المواشي (الحصان) تقويه العلاقات مع المناطق المجاورة

المرحلة الثالثة: مرحلة البرونز المتأخر (من الألف الثاني وحتى الألف الأول) ق.م حيث تألقت حضارة البرونز مع الدخول الى عصر الحديد.

ان بداية عصر البرونز (الألف الرابع) ترافق مع اكتمال تشكل المجتمعات الرعويةPastoralist (تربية الماشية المتنقلة) في السهوب الآسيوية الاوربية شمال وشمال شرق القفقاس الشمالي

المجتمعات الايتنولوجية القبلية في عهد البرونز المبكر٤٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ق.م منذ البرونز المبكر ظهرت انقسامات ايتنولوجية وانقسامات في العمل والشغل وفي مناطق مختلفة من القفقاس الشمالي،وهكذا وجدنا ومنذ النصف الثاني من الألف الثالث(٢٥٠٠ ق.م) قبائل الحضارة المايكوبية تشغل الشمال الغربي والأوسط من القفقاس الشمالي، وقبائل حضارة (نهري كورا ـ أراكس) تشغل القسم الشمالي الشرقي، وكذلك ظهرت حضارة قبائل الدولمن في القسم الشمالي الغربي.

١ ـ حضارة الشمال الغربي والأوسط (حضارة مايكواب) المعطيات الأثرية حسب كورغان مايكواب

١ ـ الموقع والانتشار: أطلق هذا الاسم نسبة الى مدينة مايكواب الواقعة على نهر بلايا أحد روافد نهر الكوبان حيث عثر على كورغان مايكواب الشهير (تلة ترابية صغيرة ارتفاعها ١١ متر تحتها بناء قبري) إن هذا الكورغان لايمثل حضارة مايكواب فقط وانما هي حضارة عمت وشملت الجزء الشمالي الغربي والاوسط من القفقاس الشمالي (مج ادغة وبخ ابخاز)

وفي عصر البرونز المبكر ٤٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م وهي تشمل كل المنطقة الواقعة الى الشرق من سواحل البحر الأسود وآزوف بما فيها الكولخيد والجزء والنصف الغربي لما وراء القفقاس الى خط يجتاز جبال بيتاغورسك وحتى مجرى نهر الترك في القفقاس الأوسط.

٢ - وصف الموقع: تم اكتشاف هذا الكورغان عام ١٨٩٧ وارتفاع التل الترابي فوق حجرة الدفن هو ١١ متر وتحته سور حجري وفي منتصفه حفرة المقبرة متجهة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وبعمق لايتجاوز ١,٤٢ سم تحت التراب وكان شكل القبر مستطيلاً بزوايا مستديرة وجدران مقعرة مكسوه بالخشب وكانت تغطي القبر طبقتين من الأخشاب المتعاكسة بينهما تراب بسماكة ١٠ سم وكان القبر مقسوماً بداخله الى قسمين متساويين جنوبي وشمالي وكان الشمالي مقسوماً بدوره الى قسمين ففي الغرفة الجنوبية كان الميت مضجعاً في منتصفها بشكل ملتو على جانبه الأيمن ورأسه الى الجنوب ووجهه الى الشرق وكانت يداه مرفوعتان الى رأسه وكان الهيكل العظمي مصبوغاً بشكل كثيف بدهان أحمر قان.

أما في الجزئين الشماليين فقد دفنت امرأتان لهما نفس الوضعية السابقة إن الهيكل العظمي للرجل كان مغطى بالحلي الذهبية المشغولة بطريقة الكبس (٦٨ صورة أسد) (٣٨ خاتم ذهبي) وعشرة ورود ذات خمس وريقات وكان هناك الكثير من الخرز بحجوم مختلفة من الفيروز والذهب وكانت تحت الجمجمة شريطتان ذهبيتان وخمس حواف ذهبية .واربع حلقات اذن ناعمة واربع عصى مصنوعة من أنابيب ذهبية وفضية مجوفة (وفي أسفل كل عصاه اشكال ثيران ذهبية طائرة على العصي) في الجزء الاعلى من كل عصاة كان يوجد شريط خيطت عليه أشكال أسود وثيران من صفائح ذهبية وكذلك خواتم ذهبية ويؤكد (فارماكوفسكي) أن هذه العصى كانت تشكل حاملاً لمظلة حملت فوق المتوفي أثناء الجنازة ووجدت مجموعة من الأزرار والحلق تجسد مناظر جبليـــة ووحوش وأربع قطع فضية بأشكال ضخمة للثيران من الذهب والفضة ووعاء حجري بغطاء من الذهب وفؤوس من البرونز وسكاكين ونهايات سهمية من حجر الكريمن (الصوان) ووجد عند الحائط الشرقي الغرفة الرئيسية (آنيتان ذهبيتان و ١٤ آنية فضية

لقد حصل دفن الموتى الثلاثة في القبر في وقت واحد والمدفونتان في الغرفتين الشرقية والغربية كانتا من الخدم الخاصين الذين أرسلوا معه الى العالم الآخر ربما قسراًففي الغرفة الأولى كانت أدوات الطبخ مدفونة مع المرأة وتتمثل بأوعية من الفخار الأحمر واوعية أخرى نحاسية وخواتم ذهبية وازرار ذهبية أما الغرفة الغربية فقد كان المدفون رجلاً مهمته تقديم الشراب لسيده، كما دفن في سور القبر رجل بجانبه رمح مدبب من النحاس وحلق اذن فضي حلزوني

وبضع قطع من الدهان الأحمر وربما كان هذا عبداً أو حارساً خاصاً للملك.

٣ ـ تاريخ الحضارة وامتدادها الجغرافي

ويقول (ب ب بتروفسكي): (إن كورغان مايكواب يؤرخ المرحلة المبكرة من الحضارة المايكوابية وكذلك قرية (مشوقة) الواقعة قبل الكوبان وقد كثرت هذه الآثار في الشمال الغربي بينما كانت قليلة بإتجاه الوسط وهكذا فقد امتدت هذه الحضارة من شبه جزيرة تامان وحتى الششان انفوش على أقل تقدير وهذا ما يبرر ما ذهبنا اليه من وجوب تسميتها بحضارة الشمال الغربي للقفقاس الشمالي في عصر البرونز ويقول (غ.ف تورتشيانينوف) يعتبر أكثرالعلماء الآن بأن مقبرة ما يكواب يعود تاريخها الى الألف الثالثة ق.م

أما المواقع المتأخرة لهذه الحضارة فقد وجدت في (نوفوسفابودنوي ـ نالتشك كيشبيك) وهي تبدو وبشكلٍ مدافن مبنية بحجارة ضخمة مستطيلة الشكل مشغولة ومنحوتة بشكل متقن هي تمثل التحول الى اسلوب الدفن الدولميني وقد عثر على كميات كبيرة من الحلي الذهبية والفضية ومصنوعات حجرية وعظيمة وأوان فخارية كما وجدت آثار المساكن والمواقد.

٤ ـ حضارة محلية أصلية: يقول (غ.ف تورتشيانينوف): لقد كانت لمايكواب علاقات غنية وغير عشوائية مع الشرق (آسيا الغربية) ويمكن التأكد من ذلك من الأبحاث التي قام بها فارماكوفسكي إلا أن كل شيء لم يأت من الشرق فقد كانت هناك عمليات تعدين عالية المستوى محلية وخاصة بهذه الحضارة وكان هناك الفن المحلي المتميز الذي تخبرنا عنه الآنية الفضية المنقوشة ويجب التذكير أن منطقة مايكواب غنية بالذهب وقد وصل عالم الآثار اختصاصي المعادن والتعدين (أ.أ إيسين) الى أن المواد الأثرية التي وجدت تسمح لنا بالقول بأن انتاج القطع الذهبية كان موجوداً في مرحلة المجتمع السابقة لهذا العصر في منطقة نهر بيلايا ومالايا كما يلاحظ أن اسم ذهب باللغات القفقاسية الشمالية الغربية هي كلمة محلية مما يدل على انه كان معروفاً منذ القدم وكذلك كل تسميات المعادن الأخرى كالنحاس والبرونز والفضة والقصدير[1] فكل اسمائها من صميم اللغة القفقاسية الشمالية الغربية مما يضيف تأكيداً إضافياً على أن هذه الحضارة التعدينية العالية المواصفات هي حضارة محلية أصلية نشأت في المكان الجغرافي.

٥ ـ أقدم واول خارطة جغرافية في العالم وعليها الكتابة الصورية المقطعية الصوتية القفقاسية

على الاناء الفضي الأول تم حفر شكل جبال مؤلفة من ثلاثة سلاسل جبلية متتالية

بإرتفاعات مختلفة[1] في صدر المنظر وحول عنق الإناء وعلى جسم الإناء يظهر رسم نهرين [2] آتيين من الجبال ويظهر عليهما اتجاه سير الماء ويصب النهران في بحيرة او في بحر تظهر الأمواج على سطحه بنفس الطريقة وتتوزع على سطح الاناء وعلى جسم الآنية صور حيوانات ونباتات بشكل متسلسل تمكن العالم تورتشيانينوف من قراءتها ونسمى لغتها باللغة الآشوية نسبة الى أصحابها وآشوا اليوم اسم يطلقه الابخاز على انفسهم علماً ان هذه الكتابة المقطعية بقيت مفهومة وبنفس الدرجة لدى كل لغات مجموعة (أودغة وبخ ابخاز) ويبدوا أن تورتشيانينوف أطلق عليها اسم اللهجة التي أجرى دراساته ومقارناته بموجبها مع العلم أنها تبقى صالحة من أجل كل اللهجات واللغات في القفقاس الشمالي الغربي من منطلق أننا لازلنا في عصر البرونز المبكر واللغة القديمة المشتركة[3] أو في بداية انقسامها اللهجوي الذي تأخر حتى العصور الميلادية.

وقد قرأ النص المكتوب على الإناء الأول ومرسوم عليه الخارطة على النحو التالي:

١ ـ الإناء الأول

١ ـ الخارطة، ٢ ـ بلد الناس الذين يكتبون الآشوية ، ٣ ـ صنعه غيانش بن حيا

٢ ـ الإناء الثاني

١ ـ ملك سادز الأسد من عائلة أتشبه القوية ، ٢ ـ توجد هنا روح الملك ملعون جنس سارق الروح

إن كل ماسبق يؤكد لنا أن الحضارة الغنية للسكان الأصليين مما نستنتجه من اللقيات والكتابة المبكرة أنها حضارة محلية أصلية نشأت في المكان بميزاتها ولغتها وكتابتها وصناعتها المعدنية المتطورة وإن هذه الكتابة تعتبر أقدم كتابة مقطعية تصويرية لفظية ولكنها لم تكن البداية ولابد أن بداياتها سبقت هذا الزمن بكثير.

إن تشابه الكتابات في صوخومي مع كتابات مايكوب لايدع لنا مجالاً للشك أنه وخلال ألف عام (١٣٠٠ ـ ٢٠٠) ق.م كانت هناك لغة واحدة تستخدم كتابة واحدة على مساحة كبيرة تمتد من صوخومي وحتى مايكوب.

وقد انتقلت هذه الكتابة الصورية الى ايجاد رموز للمقاطع الصوتية شبه المجردة بجانب المقاطع التصويرية وكانت بداية الانتقال للكتابة ذات الدلالات الصوتية للمقاطع، وقد انتقلت هذه الكتابة خارج القفقاس الشمالي الى الساحل السوري الفينيقي ولذلك الانتقال قصة مأساوية وغريبة في آن معاً وكان العالم النمساوي البرفسور (انطوان ايركو) هو أول من شك بأن الكتابة الهيروغليفية الأولى في فينيقية هي كتابة قفقاسية المنشأ.

وقال العالم النمساوي المذكور: انني اعتبر بأن سكان مايكواب الذين استخدموا هذه الكتابة (مابين ١٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) اتجهوا من القفقاس الى سوريا ووجدوا لأنفسهم وطناً في مدينة بيبلوس القديمة وكتب هؤلاء بالكتابة التي احضروها معهم ولكن بلغة أهل بيبلوس الكنعانية.

وقد حصل نفس الشيء كما نعرف الآن مع حاملي فخار (خربيت ـ ريراد) عند بحيرة طبرية والذين اتجهوا من القفقاس في حوالي عام ٢٤٠٠ ق.م عبر الأناضول وسوريا الى فلسطين.

إن المستوطنات الآشوية في بيبلوس استمر وجودها (٨٠٠ ـ ٩٠٠ سنة) وإذا ما أخذنا طريقة الاشعاع الكربوني فهي تعطينا (٥٠٠ سنة) إن هذه المدة كافية لحصول تغييرات في اللغة الأشوية لدى المستوطنين القفقاسيين في بيبلوس وقد صارت قصة الملك الأشوي (باتو) المحزنة معروفة بعد قراءة الرقم البرونزية التي عثر عليها في بيبلوس من قبل العالم الفرنسي (ديونان).

وهكذا أصبحنا نعلم كيف ظهرت الكتابة الخطية الفينيقية بعد ظهور الكتابة الآشوية في بيبلوس وهذا ما حصل للكتابةاليونانية التي تأسست بدورها على رسوم الكتابة الفينيقية الكنعانية الخطية التي كانت قد تأسست على أساس الكتابة المقطعية اللفظية الآشوية ويفيدنا أن نذكر هنا أن أقدم الكتابات الفينيقية في بيبلوس تعود للقرن الرابع عشر ق.م في حين تعود الكتابات الآشوية في بيبلوس الى القرن العشرين ق.م

٦ ـ **الصناعة المعدنية:** إن أهم انجازات هذه الحضارة كان تطور الصناعة المعدنية والخلائط فقد عثر في (بيتاغورسك ـماقبل الكوبان ـوفي الششان أنغوش) على قطع ضخمةمن البرونز (سكاكين ـخناجر ـفؤوس ـقدور للطبخ) وكلها مشغولة من البرونز أو من خليطة من النحاس والنيكل والميشاك مما يدل على المستوى العالي للصناعة المعدنية وهي تعتبر أقدم مثيلاتها في كل حدود الاتحاد السوفيتي وقد وصلت هذه المصنوعات الى القبائل السهبية بين الفولغا والدون شمالا وكان القفقاس الشمالي هو المصدر لمثل الصناعة في اوربا الشرقية و سكانها من قبائل الكتاكومب خلال فترة الف عام وحتى منتصف الألف الثاني ق.م (٢٥٠٠ ـ ١٥٠٠)
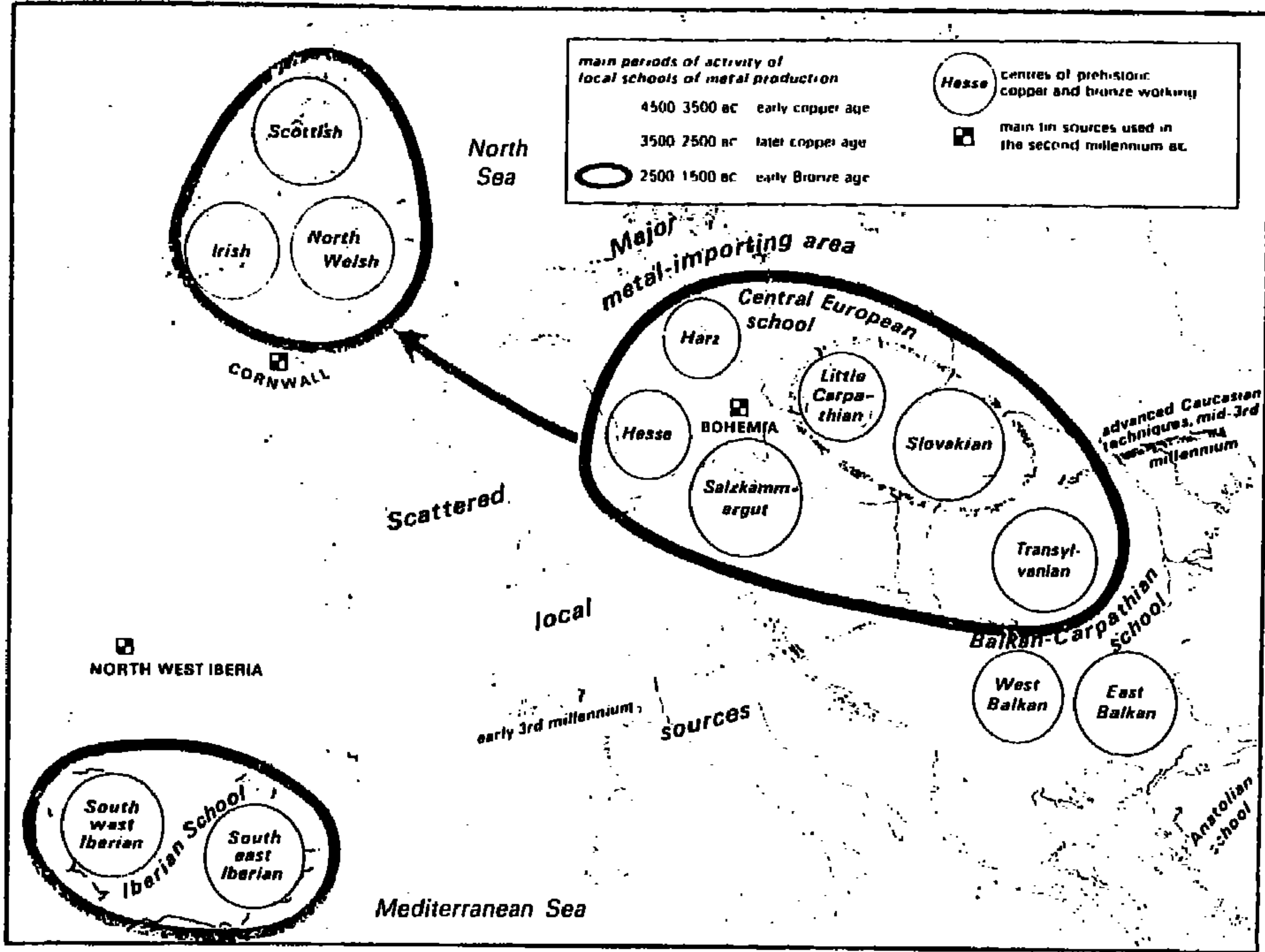
انتقال الصناعة المعدنية (النحاس والبرونز) عن طريق القفقاس إلى أوربا في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد (عن أطلس تاريخ العالم)

٧ ـ **استخدام الحصان في القفقاس الشمالي:** لقد دلت نتائج الأبحاث أنه في هذا الوقت المبكر (٢٥٠٠ق.م) استخدم الحصان للتنقل في بعض المناطق مما أدى الى تأمين السرعة والانتقال الى مسافات بعيدة.

٨ ـ **صناعة الفخار:** لقد بلغت هذه الحضارة مستوى متقدماً في صناعة الفخار المبكر واتصفت المصنوعات برقتها وصغرها وأنها كانت تشوى بشكل ممتاز وتراوحت اشكالها من طناجر الطبخ الصغيرة الى الأواني والقدور الضخمة.

٩ ـ **التأثيرات والعلاقات الحضارية:** لقد تشكلت حضارة مايكوباب على اساس محلي وتطورت الى ماوصلت عليه من رقي في المكان الجغرافي، ولكنها لم تكن معزولة ودليلنا هو أن العينات الشهيرة المستخرجة من الكورغان المايكوبي تبدي نوعاً من التطابق مع شبيهاتها في ميزوبوتاميا (العراق)وسوريا، فبعض انواع الفخار وقطع البرونز والأواني الفضية والحلى الذهبية والفضية والفيروز الايراني..) نجد امثالها في لقيات المدافن القبرية في مناطق الشرق القريب.

وكذلك فقد تطورت الحضارة المايكوبية وعاشت بعلاقات جوار حميمة من قبائل الحضارات الحفرية (الكاتاكومب) لأوربا الجنوبية الشرقية (منطقة السهوب حتى الاورال) إضافة الى مجاورتها لحضارة (كورا اراكس) جهة الشرق، وحضارة الدولمن في غرب القفقاس واننا نجد التأثير المتبادل لهذه الحضارات المتجاورة في لقيات المدافن والكورغونات، إن الحجارة ذات الرسوم تبين ذلك التبادل مع الجيران الشماليين وامكانية تسربهم الديمغرافي ضمن القبائل المايكوبية، وكذلك العلاقات قوية مع الحضارة الدولمينية وجرى الاختلاط بين الحضارتين مما نجده في لقيات كورغان (نوفوسفوبودنوير ونالتشك وكيشبك) التي تعكس هذا التفاعل.

إن سعي الفئات الارستقراطية لتقوية ممتلكاتها الاقتصادية أدى الى زيادة الصدام بين القبائل وتنقل القبائل المايكوبية الى مناطق يصعب الوصول اليها وتسور القرى بجدران حجرية ضخمة (مشوقة ـ ياسينوف) إن هذه الصدامات أدت الى الحصول على الاسرى وظهور العبودية إن الكورغونات الكبيرة التي دفن فيها رؤساء هذه القبائل مع مجوهراتهم ونفائسهم تخصص حجرات أخرى لدفن اناس قتلوا ودفنوا مع أسيادهم.

وهكذا فإن هذا يشهد على اعتقاد الناس بالحياة الثانية والآخرة، وفي مقبرة (كلالي) حيث وضعت معه كل الأدوات التي كان يستخدمها في حياته (الأواني ـ ادوات العمل ـ الأسلحة ـ الحلي) وقد رش عليه اللون الأحمر.

إن هذه الاعتقادات الدينية عند قبائل حضارة مايكوب كانت متطابقة مع حضارات آسيا الأمامية، إن الأثريات على شكل قرن الثور عند المايكوبيين كانت متشرةوبشكل واسع من البحر الابيض المتوسط وحتى الشمال الشرقي من القفقاس، وكذلك التماثيل النسائية التي تصور آلهة الخصب والعطاء فإننا نجدها في آسيا الوسطى حتى شواطيء المتوسط، كما نجدها شمالاً في ثقافة تريبولي (شمال البحر الأسود حتى الكربات)، وتتشابه اللقيات الفخارية مع مثيلاتها التي وجدت في (تروي) آسيا الصغرى.

حضارة الشمال الغربي والأوسط (حضارة مايكوب المعطيات اللغوية)

لاشك أن الحضارة التي مثلها كورغان مايكوب (الألف الثالثة قبل الميلاد) فرضت نفسها وأثبتت أنها من أقدم مثيلاتها التي تمثل هذه المرحلة من الحضارة البشرية لفترة البرونز المبكر والصناعات المعدنية وبالرغم من ضآلة وتقص أعمال التنقيب والتحريات والطرق السيئة الغير علمية التي اتبعت أثناء البحث عن لقيات ذهبية لتزويد متحف الأرميتاج وخاصة لفترات هذا العصر، فقد أثبتت هذه الحضارة جدارتها بانتشار تأثيراتها وتقاليدها إلى الشمال الأوربي (

وإلى الجنوب إلى آسية الأمامية والهضبة الإيرانية وميزوبوتاميا (الرافدين) وبعض المناطق من سوريا لذلك لابد من التوسع في بحث هذه الحضارة بإدخال الدراسة الليتولوجيةاعتماداً على لغة حوض الكوبان واحدى لغاتها، الثلاث (أديغه وبخ أبخاز)، لمعرفتنا بها وهي لغة الآديغة.

لابد من الإقرار بأن هذه الحضارة هي النموذج الواضح لدينا الحضارة القفقاس الشمالي في عصر البرونز بين البحر الأسود وبحر الخزر وسنرى عند دراسة حضارة الجزء الشرقي والتي سميت في المؤلفات الروسية حضارة كورا أراكس أنها ليست بعيدة عن حضارة الكوبان، وهي على أبعد الاحتمالات التؤام والنظير الشرقي لها والذي ربما انعكس ذلك ببدء التمايز اللهجري والذي تعمق مع الزمن والمكان الجغرافي منذ الألف الرابع وظهر أكثر وضوحاً فيما بعد من التمايز الحضاري في الآثار المادية واللقيات التي عكست مستوى التطور الحضاري والمتعلقة بالدين والمجتمع والاقتصاد والتي كان التشابه فيها تاماً.

الفكر الديني : أشرنا سابقاً إلى أن التفكير الديني والخلق ومسألة الموت والحياة الآخرة إضافة إلى تفسير ظواهر الطبيعة بقوى الهية ، كانت أهم إثارة فكرية عند الإنسان وفي هذه الحضارات القديمة وقد ظهرت آثار هذا التفكير وتلك المعتقدات بصور مادية عديدة وفي اساطيره ودخلت في لغته طالما أن لغته (مقطعيه) فإن هذه اللغات قد سجلت . ذلك الفكر الديني الذي يمكننا استعادته وفهمه بشيء من التحليل البسيط وقد سبق أن بينا وباستفاضه كيف أن اللغات المقطعية تمتاز بكونها سجل تاريخي أمين لا يقل أهمية عن اللقيات المادية التي يبحث عنها المؤرخون ولإجراء مثل هذه الدراسة لابد لنا من الاعتماد على كلمات وأسماء اعلام قديمة تمثل رموزاً أساسية في أساطير هذه الشعوب لها دلالاتها الواسعة والعميقة، إن اساطير شمال القفقاس والتي لا حصر لها تكررت فيها الرموز الأساسية التالية (نارت، أنت ، ستناي ، ساوسرقه ، لبش)

١ ـ نارت: انتسب الشركس أول ما انتسبوا وفي كل أساطيرهم إلى النارت، فهم نارتيون، وأبطالهم أبطال النارت، ومجالسهم هي مجالس النارتيين، وكل قارىء لهذه الأساطير يتأكد من هذه الحقيقة وهي انتساب القفقاسيين الشماليين الغربيين جميعاً إلى أمة النارت، وإن ما توحي به بعض الأساطير من أن النارت هم فئة من الفرسان الأبطال أفرزت ضمن هذه الشعوب ذات الحضارة الزراعية وتربية الماشية يكون قد حدث في الألف الثالثة بعد معرفة الحصان واستخدامه للركوب والفروسية، ولكن اسم نارت يعود إلى زمن أبعد من هذا الزمن، وهي تسمية قديمة جداً لا نعلم إن كانت تعود إلى النيوليت حيث لم تكن هناك كتابة ولا تاريخ مكتوب وإنما بقيت الكلمة تدل عليهم في أساطيرهم القديمة وإن تحليل معاني الكلمة يؤيد

ما ذهبنا إليه على النحو التالي:

نَ أونا: هو حرف وجذر يدخل مجموعة كبيرة من الكلمات والألف هنا حرف صوتي بمثابة الفتحة تأتي للفصل بين حرفين ولا معنى لها والنون حركت بالفتحة بسبب الألف وهي بالأصل حرف (نِ) الآديغية وتعني (أم)

ر : حرف الراء رأيناها دائماً هي بمثابة أل التعريف (نر) تعني (الأم)

ت : التاء تعني العطاء والمنح والهبة

وهكذا تصبح هذه الكلمة بمعنى (عطاء الأم) . (هبة الأم)

لقد كانت هذه التسمية طبيعية تمثل مرحلتها الحضارية عندما كانت هذه الأقوام في مرحلة (الأسرة الأمومية) وعبادة الإلهة الأم الكبرى، وهي التي تطورت فيما بعد وسميت بآلهة الخصب والعطاء، وهكذا نرى كيف تؤرخ مثل هذه اللغات مراحل تاريخها وتوثقها.

٢ ـ **أنت** : انتسب الشركس أيضاً في أساطيرهم إلى أمة الأنت، واختلطت التسميتان في بعض المراحل ، ففي بعض الأساطير ينتسبون إلى النارت وهي الأقدم، وفي بعضها ينتسبون إلى الأنت وهي الأحدث التي تؤرخ تاريخ عصرها مثل مرثية مقتل الأميرباتسان (٣٠٠ ـ ٤٠٠ ق.م) ومما يؤيد حداثة الأنت غن النارت هي أن هذه التسمية وردت لدى العديد من المؤرخين القدماء والشعوب القديمة وفي المصورات الجغرافية القديمة، وإن تحليل هذه الكلمة يؤيد ما ذهبنا إليه

أ : الألف في أول الكلمة هي أداة النداء بمعنى (يا). (أ + جال) ياشاب (أ + بشاش) يافتاة

ن: معنى الحرف هو الأم، وهو رمز الأم. وعندما اقترنت بأدة النداء غدت اسم علم للسماء وأن بلغة الأبخاز لا تزال تعني الأم. (إرجع إلى كلمة أن إله السماء السومري)

ت : تعني العطاء.

وهكذا يكون معنى الكلمة (هبة إله السماء) (عطاء إله السماء) وهذا يوافق المرحلة الحضارية للبرونز المبكر المتوافقة مع بدايات التحول إلى نظام الأسرة الأبوية وعبادة قوى الطبيعة الذي تم ببطء، وقد عرفت هذه المجتمعات عبادة إله السماء والشمس الذي أنبأ تنابهالرسومات الشعاعية وأوضاع الدفن المثني باتجاه الشمس والشرق مع رفع اليدين إلى أعلى ونثر المغرة الحمراء وهي تشبه أوضاع الدفن في كل حضارات آسية الغربية، والتي سبق أن بينا انتشار شعوب الأسرة القفقاسية واستيطانها في هذه المواطن بدءاً من النيوليت وحتى فجر التاريخ.

٣ ـ **ستناي** يا هبة بطولات النارتيين . يا زينة الحياة . أنت تسلبين كل من ينظر إليك الكل

متلهف إليك . يا أمل الشباب الدائم . يا هبة الحب الغالية .. (مقاطع من زهور ستناي) إنها على ما يبدو إناثاً السومرية وعشتار البابلية وايزيس المصرية وارتميس اليونانية وأفروديت وفينوس .. الخ إنها أقدمهن جميعاً إنها أم النارتيين وليس الأنتيين فهي قديمة جداً هي إلهة الخصوبة والحب والتجدد والعطاء، هذه هي أم النارتيين وهي قد تطورت عن الإله الأم الكبرى لأنها كانت ترافق النارتيين وتريهم دروب الصيد الوفير ، وإن تحليل اسم ستناي الجميل مقطعياً يؤيدها ما ذهبنا إليه ويعطينا الاحتمالات التالية:

الحرف الأول سَ: وهي تعني أي سلاح قاطع وحاد

سَ : وهي ضمير بمعنى (أنا) (سَ . وَ . يَ) (أنا . أنت . هو)

ويمكن أن تكون بسَ: وهي تعنى الروح حذف منها الحرف الأول للتخفيف وهي تماثل كلمة بسِ: التي تعني الماء

وإننا من منطلق المرحلة الحضارية والزمنية لهذه الشخصية الرمزية الأسطورية فإننا نرجح أحد المعنيين الثاني والثالث وهما (سَ) بمعنى ضمير (أنا) أو (بسَ) بمعنى الروح وهكذا بينما باقي حروف الاسم:حرف التاء تعني العطاء من سبق أن بيناه ، والنون حرف مصدرية، والياءياء الملكية والتملك ، لذلك فإننا نرجح أحد المعنيين التاليين مع أرجحية للمعنى الثاني

سَ بمعنى (أنا) يكون معنى الكلمة (عطائي . اضحيتي . هبتي لها) أي تلك الإلهة التي أقدم لها دون سواها النذور والأضاحي

بس بمعنى الروح يصبح معنى الكلمة (مانحة أو واهبة الروح) وهذه هي صفات كل الآلهة النسائية في تلك الحضارات والتي سميت بالإلهة الخصب والعطاء والتجدد ويمكن لنا أن نرجح هذا المعنى (ستناي : مانحة الروح)

٤ ـ سوسرقه: إنه صفي إله المزروعات ـ ومنقذ أرضنا من البوار ـ وعندما لا نجد زادنا من اللحم يحضر لنا حيوانات إيمش ـ وحين نبقى دون نار يأتينا بنار العمالقة ـ المليء القلب شجاعة ـ الذي لا يسيء إلى النساء ... الخ

وهو باختصـار (جلجـامش وأليكومي واخيـل وهرقل ..) وهو ابن ستناي ويمثل الالوهية المذكرة، وهو ابن ستناي تشتهيه وكانت ستتزوجه لولا أنها أرضعته (عقده أو ديب) و باختصار هو ابن الراعي الذي يلتقي ستناي عند النهر ... وهو بذلك لا يختلف عن كل ولادات الأبطال من الحضارات القديمة وربما كان أقدمهم وأكثرهم دلالة ورمزية وتطوراً عبر عدة مراحل حضارية كما سنرى

سوس أو شوش ، شو + ش

(شِ) أو (سِ) بلهجات أخرى وبدل أو يعني الحصان

(شو) أو (سو) بلهجات أخرى مقطع يدل على الفارس

سوس أو شوش كلمة معناها (راعي الخيل) وليست أي راع كان ومقتصره على راعي الخيل ثم غدت اسم علم بهذه اللغات وكلمة عامة تعني الراعي ، نجد هذه الكلمة في كل مكان تواجدت واستوطنت فيه هذه الشعوب فنجدها في عيلام كاسماء للمدن (سوزا أو شوشة أو سوسه ومدينة أخرى يلحقها مقطع (قه) وتعني ابن (سوسنقه) وكذلك نجدها عند الهكوس في اسمهم (سوس) وفي اسماء ملوكهم وفي اسماء كبير الآلهة ، كما أنها دخلت اللغات السامية بشكل سائس الخيل وسياسة .. الخ .

ر : حرف الراء دائماً هو الـ التعريف بهذه اللغات

قه : مقطع يعني ابن يلحق آخر الأسماء أو أسماء العائلات وهكذا يكون معنى كلمة سوسرقه : ابن الراعي)

لقد كانت ولادته في الأساطير القديمة ضمن صندوق جرفه النهر وانتشل ثم ربي سراً تحت الأرض ثم عدلت هذه الولادة بعد معرفة التعدين (الحديد) إلى ولادة من باطن الصخرة ، متوهجاً كالجمر حيث يسقيه لبش سبع مرات بالماء صناعة الفولاذ ، وهي بذلك تتماثل مع ولادة اليكومي الحاثي ، ولقد كانت نقطة ضعفه القاتلة هما ركبتيه حيث أمسكه لبش بالملقط وهي بذلك تشبه نقطة ضعف اخيل اليوناني ولكنه أقدم منه بألف عام على الأقل وندعم رأينا هذا بمثال واحد وهو معرفة هذه الشعوب تعدين الحديد منذ الألف الثاني في حين عرفه اليونان بعد عام ١٢٠٠ ق.م .

٥ - لبش : هو إله الحديد الشركسي ، وهو حداد يصنع كل الأدوات الحديدية ، وهو إضافة إلى ذلك رجل حكيم تستشيره ستناي وتحليل اسمه مقطعياً يدل على عمله .

ل : حرف اللام مقرباً لحرف الثاء (لَه) وتعني (خطوة - قفزة) وربما كانت (لش) حذف منها حرف الشين بسبب التكرار (لش - بش) وتعني على هذا النحو (القوة) .

بش : أو بشه : مقطع يعني (أمير) والكلمة على هذا النحو تعني (أمير القوة) أي أقوى الأقوياء بحيث لايوجد من هو أقوى منه ، فهو إله الحديد ، اما كلمة حداد فتأتي (غجه) أو (غجل) جداد أو الرجل الحداد وهكذا فمن خلال تحليلنا لرموز الميثولوجيا نستطيع التأكيد على ما سبق أن تحدثنا عنه من ميزات هذه الحضارة في عصر البرونز المبكر .

ونورد الآن اسماء المعادن ولابد ان تكون اسماؤها اصيلة في هذه اللغة وغير دخيلة بحيث

تدلنا على أسبقيــة هذه الحضارة بالصناعة المعدنية مما سبقت الإشارة إليه أو اسماء المعادن هي (غوبل ـ النحاس ـ غواف ـ القصدير ، غج ـ الحديد) وكذلك (تجمن الفضة ، دشه الذهب الملاحظة الأولى أن المعادن العادية الحديد والقصدير والنحاس يتكرر فيها الحرف المشترك الذي غدا جذراً في مجموعة الأسماء هذه وهو حرف (غ) ويعني باللغة الشركسية الشيء اليابس الجاف وربما كان يعني فلز المعدن وغدا رمزاً يدل على المعدن. أما بقية المقاطع فهي على النحو التالي (بل تعني الساخن ـ واف تعني السماء ـ جِ تعني الأرض)، وهكذا تصبح معانيها على النحو التالي:

النحاس (غوبل) المعدن الساخن من منطلق عمليات صهره وصبه في قوالب

القصدير (غواف) معدن السماء وهو نفس المعنى الذي أطلقه السومريون على هذا المعدن

الحديد (غج) معدن الأرض

أما المعــادن الثمينــة ففيها الجذر دَ أو تَ الأول بمعنى الأب والثـاني بمعنى العطــاء تجمن (ت + ج + ن) (العطاء + القديم + حرف مصدري) وهي بمعنى العطاء القديم أو وفاء الدين ولاشك أنه استخدم كعمله لتقدير القيمة والدفع ووفاء الديون حسب ما تعنيه الكلمة إننا نلاحظ أصالة وقدم هذه التسميات في اللغة الشركسية يتوافق مع ما أكده المؤرخين من اسبقية هذه الشعوب في حضارة الأنيوليت والبرونز واكتشاف معدن الحديد

ثانياً ـ حضــــارة النصف الشرقي للقفقـــــاس الشمالي في البرونـــز المبكر (٤٠٠٠ ـ ٢٠٠٠) ق.م وقد سميت (حضارة كورا أراكس)

هم الجيران الشرقيون لحضارة النصف الغربي (الكوبان) ، وقد أكدت المعطيات الأثرية أن هذا التمايز بدأ منذ البرونز المبكر (٤٠٠٠ ق.م) وشمل المعطيات اللغوية أكثر مما شمل النواحي الحضارية الأخرى التي بقيت متماثلة أو متشابهة، ودليل وحدة الأصول والجذور هما تسميتا (آديغ وديغست) للنصف الغربي والنصف الشرقي من القفقاس الشمالي، وإذا ما حذفت الأحرف الزائدة وهي الألف أداة النداء ومقطع ست أو ستان بمعنى البلد تبقى التسميتان متماثلتان تماماً بالمقطع (ديغ) وهو الاسم المشترك لكل شعوب شمال القفقاس الأصلية القديمة ومنذ التحول من نظام الأسرة الأمومية إلى الأسرة الأبوية في البرونز المبكر مما سبقت الاشارة إليه .

لقد انتشرت هذه الحضارة بدءاً من المناطق الجبلية وما قبل الجبلي في الشان وكامل الداغستان وشواطىء بحرقزوين وحوضي نهري كورا وأراكس وفي الأناضول الشرقي

والشمال الغربي من ايران.

إننا لا نؤيد قيام حضارتين في رقعة جغرافية واحدة وهي القفقاس الشمالي، إن المعطيات الأثرية لا تؤيد هذا التقسيم ونستدل على صحة ما نذهب إليه هو بقاء المفاهيم والعادات والتقاليد الاجتماعية والفلكلور الشعبي والصفات النفسية والجسدية واحدة وبخطوطها العامة لدى هذه الشعوب إلى يومنا هذا ، وقد انعكس ذلك في نظرة الشعوب المجاورة، فاطلقوا عليها كلها اسم (شركس) من منطلق تماثلها وعدم امكانية التمييز بينها فيزيولوجياً أو حضارياً ولكننا مضطرون لهذا التقسيم السوفييتي الذي لم يترك شيئاً في منطقة القفقاس بدون تقسيم وحتى التفتيت وبما أنه المصدر الوحيد لمثل هذه الدراسات وأهم المعطيات الحضارية هي :

البناء والسكن: اعتمدت هذه الأقوام على العيش على ضفاف الأنهار المتعددة وسهول أقدام الجبال الوعرة (الغلغاي)، وقد توضعت البيوت بشكل صفوف فوق بعضها على المنحدرات (تراس) وكان البيت مقسوماً إلى قسمين، وشكله دائري (٥ - ٦) م ، وفيه جرار وحفر مطمورة في الأرض للتخزين، واستخدمت صفائح الآجر في البناء وطليت بالطين من الجهتين، ووجدت مناطق سكينة فصلية مؤقتة نتيجة لتربية الماشية .

الاقتصاد: اعتمدت هذه الحضارة في اقتصادها على الزراعة وتربية الماشية ، ومع تطور الفلاحة وقلة الأرض الزراعية لكون المنطقة جبلية فقد نشأ اسلوب زراعة المصاطب (التراس) وهو نوع خاص من الزراعة في الجبال، وقد زرعت الأرض بأنواع القمح المختلفة (القاسي والطري) وكان هناك تهجين في المزروعات وفي قرية (غيلارسك) في الداغستان وجدت زراعة نباتات النسيج، وتم الحصاد بمناجل كريمينية وأحياناً برونزية ، وظهرت في هذا الوقت البيادر (الدراسة باستخدام الحيوان) وقد أدى ذلك إلى زيادة الانتاج وظهور مستودعات الحبوب على شكل حفر عميقة، وقد عثر في أحد الأواني وفي موقع (غالغالاتي - ١ -) على ١٥ كغ من حبوب القمح وكان الطحن يتم على مهارس حجرية،

انتشرت هنا تربية الماشية المعتمدة على التنقل بالقطيع في فصل الصيف إلى المراعي الألبية العالية بعيداً عن مناطق السكن الأساسية ، وقد كان هذا سبباً في ظهور المساكن الفصلية ، واستعملت الثيران والعربات في عمليات الجر والنقل هذه العربات وإطاراتها في عدة مناطق أثرية من القفقاس الشمالي.

الصناعة المعدنية : وقد بدت متطورة جداً ، فقد كانوا على دراية بخصائص الخلائط المعدنية، واستعملوها بمهارة فائقة وخاصة البرونز (الفؤوس - الشفرات - السكاكين - نهايات السهام - حلي مختلفة)

الصناعة الفخارية : اتصفت بتنوع أشكالها وجودة سطوحها وبشيها في أفران عالية الحرارة ، وجرت عمليات لصق عليها للزخارف ، وهذه الصفات ميزت الصناعة الفخارية لهذه المنطقة عما حولها.

المعتقدات الدينية : وقد كانت وثيقة الصلة بالحضارة الزراعية وتربية الماشية ولعبت دوراً قوياً ومركزيـــاً في حضـــارة وحيـــاة هذه المجتمعات، لقد ظهرت أماكن الدفن الجماعية خارج القرى، تميزت مدافن رؤساء القبائل والعائلات الحاكمة، ودفنت معها أدواتها وممتلكاتها (موقع أوتاميش)، وقد وجدت العديد من التماثيل النسائية (الهة العطاء والخصب) ، وقد وجدت تماثيلها الفخارية في الداغستان وفي كورغان مدينة دربند، كما وجدت آثار التحول إلى عبودية الشمس، وتم الانتقال إلى الدور الرئاسي للرجل ، ودخل المجتمع مرحلة الأسرة الأبوية

التأثيرات والعلاقات الحضارية:

إن هذه القبائل كانت على علاقة وثيقة وصلات مع سكان السهول الروسية حضارة الكتاكومب، ويشهد على ذلك تواجد فؤوس ونهايات سهمية وأداة لتقويم خشب السهم، وهي أدوات خاصة بحضارة السهوب الكاتاكومب،وكذلك كانت علاقتهم وثيقة مع قبائل حوض الكوبان ومع قبائل ماوراء القفقاس (آسيا الأمامية) وعن العلاقات العرقية (الإثنية) تحدثنا قرية (لوغوفايا) في الششان أنفوش حيث تختلط الخصائص الكورا راكسية الكوبانية ولايمكن التمييز بينها..! (هذا ما ذهبنا اليه في بداية هذا البحث)

في نهاية الألف الثالث (٢٠٠٠ق.م) انتهت مرحلة رائدة وهامة في تاريخ القفقاس الشمالي وهي مرحلة البرونز المبكر، وقد استمرت هذه السمات الحضارية بالتطور الذاتي وبدون ان نلحظ أي انقطاع للعبور الى مرحلة البرونزالمتوسط في الألف الثاني ق.م

القفقاس الشمالي في البرونز الأوسط (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠) ق.م

المقدمة:تدرس هذه الفترة أيضاً على النحو السابق وهي أولاً حضارة النصف الشمالي الغربي (كورغان مايكوب) مع بروز النمط الدولميني في انشاء المدافن وثانياً حضارة النصف الشمالي الشرقي والتي تدرس بعنوان حضارة قبائل الششان والداغستان الجبلي والحضارة الكاياكنتيه كما يضاف إلى هذه الدراسة حضارة الكاتاكومب في السهوب الشمالية الشرقية

أولاً ــ حضارة الشمال الغربي في البرونز الأوسط (٢٠٠٠ ــ ١٠٠٠) ق.م

أ ـ الحضارة الدولمينية :امتازت بتطوير في البناء القبري مؤلف من صفائح حجرية ضخمة لصنع القبور أو تكون محفورة كلياً بالصخر وهي معروفة عند قبائل الآديغه والأبخاز تحت اسم (سبيون أو جيوغ أو أدامرا) دلالة على هذه البيوت القبرية القديمة، وقد عرفت مواقع أكثر من (٢٢٠٠) قبواً من هذا النوع. وقد انتشر هذا النمط على جزء محدود من ساحل البحر الأسود بين شبه جزيرة تامان وحتى مدينة أو تشامشيرا أي الشاطىء الآديغي الأبخازي

ـ بالنسبة للصناعة التعدينية .فقد عثر على بقايا مشغل لصب المعادن وعثر فيه على قوالب طينية وأدوات متعددة أخرى، وكان الانتاج من الفؤوس والخناجر والحليات والازرار ذات الشكل الدائري السطح والأطواق ذات قطع واسعة السطح.

ـ في الصناعة الفخارية انتشر اسلوب جديد بطلاء سطح الآنية بطين سائل وصارت التزيينات بشكل كشاكش وأكاليل مثلثية.

ـ صار أساس المجتمع الأسـرة الأبويـة والمدافـن جماعيـة بلغت في إحـدى القبور ٥٠ شخصاً والاعتقادات الدينية كما في السابق وظهر خبز طقسي على هيئة أرض محروثة ويظهر التداخل الكبير بين هذه الحضارة المحلية وحضارة القفقاس الشمالي الغربي بتداخل الأدوات وتداخل المدافن في منطقة حوض سولاك الأدنى وقد تطورت عن هذه الحضارة بالنسبة للنصف الثاني من الألف الثانية (١٥٠٠ ـ ١٠٠٠) حضارة سميت بالنسبة لموقعين في الشيشان والداغستان الحضارة الكاياكنتية الخورتشيفية والتطور الحاصل كان في مجال الدفن فقد غدا دفناً إفرادياً أو زوجياً وفي صناديق حجرية وفي مجال الماشية ظهر مجال جديد وهو تربية قطعان الخيول واستخدامها للركوب وجر العربات وبقيت الصناعة المعدنية على تطورها مقابل تراجع أصحاب الصناعة الفخارية وصارت الآن الأسرة صغيرة مع بقاء الارتباط العشائري قوياً.

ـ لقد كانت العلاقات قوية مع سكان المناطق المختلفة من القفقاس الشمالي سكان السهوب الشمالية ويمكن الافتراض بتأثير حضارة قبائل السروبنوي السهبية على تطوير تربية الحصان والعربات القتالة في القفقاس الشمالي.

ـ تنتشر في هذه الفتـرة الرسوم على الصخور والرسم بالألوان والحفر على الصخر وتشغل

الرموز الشمسية مكانة كبيرة ودخل رمز الشمس في رسومات الحيوانات (ايل - ماعز - نسر)
ومناظر حيوانات منزلية ومناظر صيد ورسومات الخيول والفرسان وتماثيل نسائية كانت توضع
فوق القبور ودخلت أساليب النحت الصرحي في المقابر وأقدمها ما عثر عليه في نالتشك

- إن فن صياغة المعادن في الشغل والمعاملة والصياغة الراقية (كبس - صب) تشكل كنوزاً حقيقية وجدت في الكورغونات العديدة (نالتشك - كيشيك ستاراميشا آتوفسك - نوفوسفابودسك)

- وتظهر الصناعة الفخارية في التزيينات والزخارف وأشكال الثيران والأختام الخاصة بتزيين الخبز الطقسي وكذلك الحفر على الخشب

- إن هذه الدولمينات مجهزة بفتحات دائرية لادخال الميت ، وقد احتوت على عدد يتراوح بين ١ -٣ من الجثث وضعوا بشكل مطوي مع وضع المغرة الحمراء بشكل كثيف ، وقد كانت هذه المقابر لزعماء القبائل، كما ظهرت مدفونات جماعية في وضعيه الجلوس تعود لفترة ازدهار الحضارة الدولمينية في النصف الأول من الألف الثاني ق.م، لقد ظهر البناء الدولميني عند قبائل شمال القفقاس على شاطىء البحر الأسود بتأثيرات عبر البحر الأسود، وصلات بحرية قوية لهذه القبائل، وهم قبائل الآديغه والابخاز، إن هذا النمط في البناء أدخل التطور على تكنولوجية البناء وقد ساد في فترة بروز الفروق الإجتماعية والطبقية.

ب ـ حضارة القفقاس الشمالي الغربي في البرونز الأوسط (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠)

إن حضارة الدولمن السابقة ما هي إلا تطوير وجزء من حضارة القفقاس الشمالي الغربي على شواطىء البحر الأسود والتي هي امتداد طبيعي (جيني) لحضارة ما يكواب نموذج البرونز المبكر

لقد سادت هذه الحضارة على معظم القفقاس الشمالي الغربي حتى بداية الجبال الداغستانية شرقاً (حوض منطقه صولاق) ومن الجنوب على منطقة ما وراء القفقاس ووصلت شمالاً إلى منطقة السهوب حيث كانت هناك منطقه واسعه اختلطت فيهما قبائل القفقاس الشمالي مع سكان السهوب حضـارياً وربما ديموغرافيـاً ونخص بالذكر حضارتي السهوب (الكاتاكومب) ـ (السروبنوي) إن اللقيات في هذه الفترة متنوعة ، وهي الكورغانات في السهول والمناطق ما قبل الجبلية، ومدافن ضخمة تحتوي على قبور بشكل صناديق حجرية، وقد استخدم الحجر بشكل واسع في البناء القبري كما تميزت بالأواني السيراميكية المتقنة، وتميز فؤوس حربية معقوفة صنعت من حجر أخضر مصفر سميت بالفؤوس القبردينية، وازرار ضخمة مشغولة من صخور أشد قساوة من سابقتها، وأوان طينية بشكل دائري .. الخ إن

وكذلك فقد تطورت الحضارة المايكوبية وعاشت بعلاقات جوار حميمة من قبائل الحضارات الحفرية (الكاتاكومب) لأوربا الجنوبية الشرقية (منطقة السهوب حتى الاورال) إضافة الى مجاورتها لحضارة (كورا اراكس) جهة الشرق، وحضارة الدولمن في غرب القفقاس واننا نجد التأثير المتبادل لهذه الحضارات المتجاورة في لقيات المدافن والكورغونات، إن الحجارة ذات الرسوم تبين ذلك التبادل مع الجيران الشماليين وامكانية تسربهم الديمغرافي ضمن القبائل المايكوبية، وكذلك العلاقات قوية مع الحضارة الدولمينية وجرى الاختلاط بين الحضارتين مما نجده في لقيات كورغان (نوفوسفوبودنوي ونالتشك وكيشبك) التي تعكس هذا التفاعل.

إن سعي الفئات الارستقراطية لتقوية ممتلكاتها الاقتصادية أدى الى زيادة الصدام بين القبائل وتنقل القبائل المايكوبية الى مناطق يصعب الوصول اليها وتسور القرى بجدران حجرية ضخمة (مشوقة ـ ياسينوف) إن هذه الصدامات أدت الى الحصول على الاسرى وظهور العبودية إن الكورغونات الكبيرة التي دفن فيها رؤساء هذه القبائل مع مجوهراتهم ونفائسهم تخصص حجرات أخرى لدفن اناس قتلوا ودفنوا مع أسيادهم.

وهكذا فإن هذا يشهد على اعتقاد الناس بالحياة الثانية والآخرة، وفي مقبرة (كلالي) حيث وضعت معه كل الأدوات التي كان يستخدمها في حياته (الأواني ـ ادوات العمل ـ الأسلحة ـ الحلي) وقد رش عليه اللون الأحمر.

إن هذه الاعتقادات الدينية عند قبائل حضارة مايكوب كانت متطابقة مع حضارات آسيا الأمامية، إن الأثريات على شكل قرن الثور عند المايكوبيين كانت متشرةوبشكل واسع من البحر الابيض المتوسط وحتى الشمال الشرقي من القفقاس، وكذلك التماثيل النسائية التي تصور آلهة الخصب والعطاء فإننا نجدها في آسيا الوسطى حتى شواطىء المتوسط، كما نجدها شمالاً في ثقافة تريبولي (شمال البحر الأسود حتى الكربات)، وتتشابه اللقيات الفخارية مع مثيلاتها التي وجدت في (تروي) آسيا الصغرى.

حضارة الشمال الغربي والأوسط (حضارة مايكوب المعطيات اللغوية)

لاشك أن الحضارة التي مثلها كورغان مايكوب (الألف الثالثة قبل الميلاد) فرضت نفسها وأثبتت أنها من أقدم مثيلاتها التي تمثل هذه المرحلة من الحضارة البشرية لفترة البرونز المبكر والصناعات المعدنية وبالرغم من ضآلة وتقص أعمال التنقيب والتحريات والطرق السيئة الغير علمية التي اتبعت أثناء البحث عن لقيات ذهبية لتزويد متحف الأرميتاج وخاصة لفترات هذا العصر، فقد أثبتت هذه الحضارة جدارتها بانتشار تأثيراتها وتقاليدها إلى الشمال الأوربي (

للصب (فرخونيفونيسلك) وادوات اخرى تستخدم في عملية التعدين والصب. وكان الانتاج عبارة عن (فؤوس - خناجر - حلى مختلفة مثل الأزرار الدائرية والمسطحة والأطواق واسعة الانتشار. أما الصناعة الفخارية فتظهر فيها الأواني ذات القعر الدائري، وتطلي بطين خاص لزيادة جودتها، وتصبح الكشاكش والمثلثات وسيلة التزيين

نظام الأسرة الأبوي صار أساس النظام الاجتماعي، ودفن أعضاء الأسر في مقابر جماعية وبقيت المعتقدات الدينية كالسابق (التماثيل النسائية ـ الرسوم الشعاعية الدالة على عبادة الشمس) وقد كانوا يصنعون خبزاً على هيئة أرض محروثة (خبز طقسي)، وقد كانت هذه الحضارة متداخلة مع حضارة القفقاس الشمالي ديموغرافياً(خصائص المدافن مختلطة) وحضارياً (الأدوات واللقيات مختلطة) وذلك في مناطق واسعة من حوض (الصولاق الأدنى والأعلى)

وقد وجدت مقبرة (كايانتي) في الداغستان ومقبرة (خوروتشيف) في الشِشان واعطت سمات حضارية هامة وهي جزء من الحضارة السابقة وقد انتشر في هذه المنطقة المدافن الزوجية في صناديق حجرية، ويظهر في مجال الماشية تربية الخيول التي غدت تستخدم للركوب والتنقل وجر العربات وحمل الأحمال،إن الصناعة المعدنية تميزت بأطواق معدنية لامعة كانت

توضع على الملابس، وبالنسبة للصناعة الفخارية فقد كانت كالسابق، قد بدا إنقسام الأسرة الكبيرة الى أسر أصغر وظهر ذلك بوضوح في مساحات المساكن والمقابر.

ثالثاً: الفن في صناعات عصر البرونز في القفقاس الشمالي (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠)

إن الرسوم على الصخر، والحلى المختلفة، والأدوات المنزلية، عكست لنا بوضوح نمط الحياة في القفقاس الشمالي في هذا العصر، إن الرسم على الصخر عن طريق الحفر والتلوين ينتشر انتشاراً واسعاً في هذا العصر، وتشغل الشمس ورموزها المواضيع الرئيسية في هذه الرسومات، وقد دخلت هذه الرموز حتى في صور الحيوانات البرية والحيوانات المنزلية مما يدلنا على سيادة هذه العقيدة ورسوخها وهي عبادة الشمس و الضياء وكل مايتعلق بها من متولوجيات طبعاً إضافة الى آلهة الطبيعة الأخرى مع بقاء العثور على تماثيل نسائية أكثر مما نعثر على تماثيل للرجال(أي بقاء التأثيرات من عصر سيادة الأسرة الأمومية)، إن المصنوعات المعدنية تميزت بفنية وتقنية عالية استخدمت فيها كل أساليب الصياغة المعروفة الصب والكبس والثني.. الخ ومثالها ما وجد (كنز ستاراميشا ـفي نوفوسفابودسك ـ وتحت كورغان نالتشك) وظهر ذوق هذه العصر أيضاً في الصناعة الفخارية وتزييناتها والتي ظهر قسم كبير منها على شكل ثيران، والأختام التي تطبع على الخبز الطقسي، ويجب أن لاننسى أهمية الحفر على الخشب وتطوره وفنياته العالية كما ظهرت في مواقع دفنية متعددة.

رابعاً: حضارة الكاتا كومب (السهوب الشمالية) في البرونز الأوسط (٢٠٠٠ ـ ١٠٠٠)

كانت هذه الحضارة منتشرة على مساحة واسعة من السهوب من نهرا الفولغا الى ماقبل الدنيبر وهذه التسمية جاءت من مدافنهم (الحفرة) فقد كانوا يحفرون في جدار الحفرة تحت الكورغان غرفة للميت، ويدفنون معه أدواته من الأواني الفخارية الشريطية، ووعاء يقف على أرجل متصالبة ومقسوم الى قسمين في أحدهما الفحم وفي الآخر نباتات عطرية لها رائحة قوية، ومصنوعات معدنية وحليات نافرة بزخارف شريطية اعتبرت قفقاسية شمالية)

لقد كانت اقوام الحضارة هذه ذات علاقات وطيدة ومتأثرة الى أقصى حد بحضارة القفقاس الشمالي بحيث نجد عندهم التنقل بالعجلات والعربات، إن هذه الحضارة حسب معطياتها لاتعتبر احفاداً وامتداداً للحضارة الكتاكومبية السابقة والقديمة وليست كذلك أجداداً لحضارة السربنوي السهبية، إن المدفونات الموجودة تدل على تيب (شكل مختلط) وهو القفقاس الشمالي الكتاكومبي.
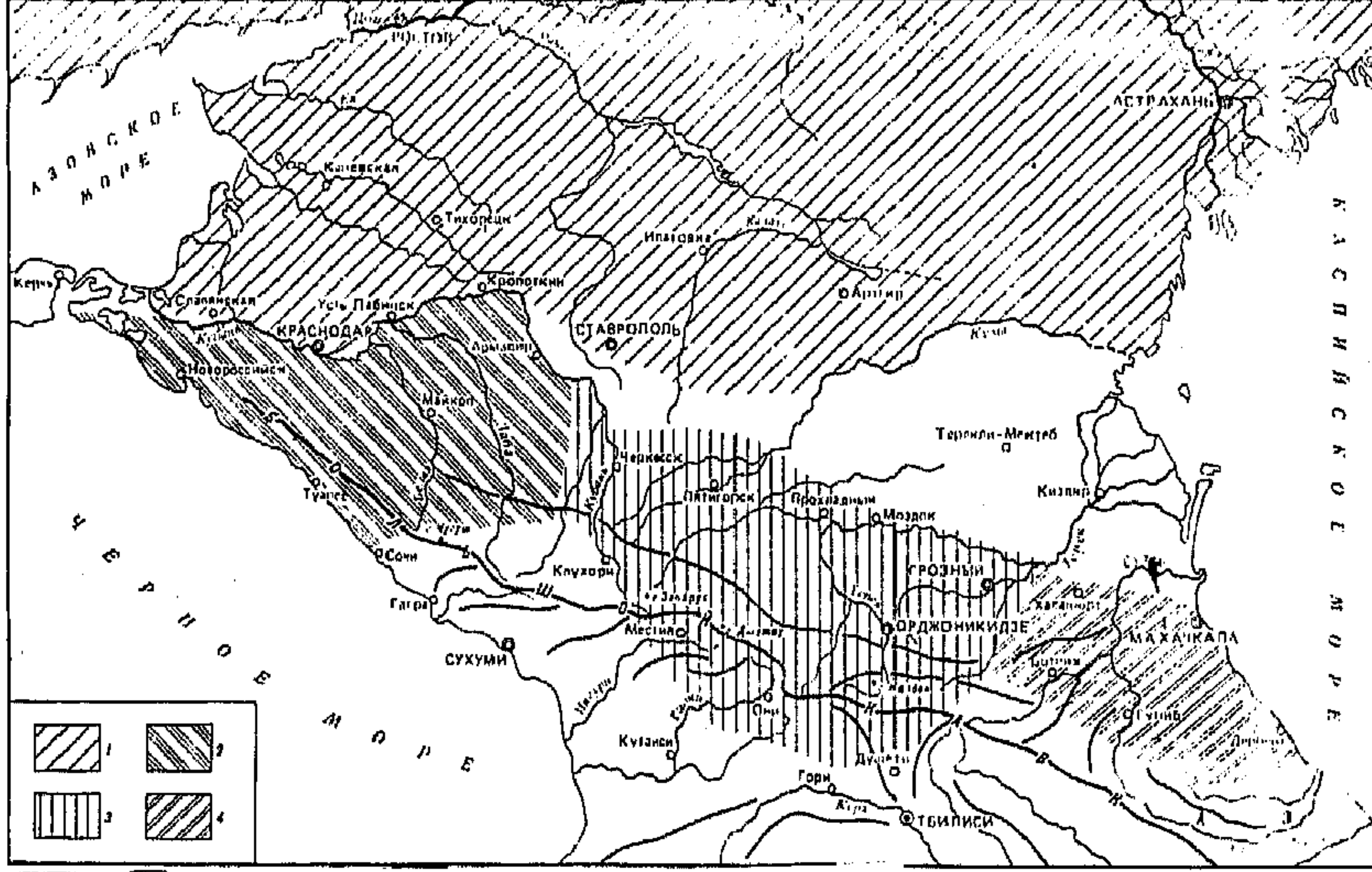
١ ـ حضارة سروبنري ٢ ـ حضارة حوض الكوبان المعدنية ٣ ـ الحضارة الكابانية
٤ ـ الحضارة الخورتشيڤية

خامساً: عصر البرونز المتأخر (١١٠٠ ــ ٨٠٠ ق.م)

١ ـ حضارة القفقاس الشمالي من نهاية الألف الثاني وحتى القرن الثامن التي تميزت بمرحلة تاريخية حضارية متميزة.

بقيت الزراعة وتربية الماشية بقي أساس الحياة الاقتصادية للسكان، وتتأكد عمليات الحراثة المنتظمة وانتقاء للحبوب الزراعية (القمح الطري ـ القمح القاسي الخ...) ويتم الحصاد بمناجل برونزية واحياناً حديدية.

إن تطور وغنى الإنتاج انعكس على ازدهار التعدين، فالأدوات البرونزية عكست مهارة عالية ومعرفه عميقة لعملية الطرق والسكب وكافة العمليات الأخرى، وبينت قوالب الصب الانتاج بالجملة والصب المعقد على مراحل، إن هذه المعرفة العميقة بتكنولوجيا المعادن البرونز والنحاس اعتبرت واحدة من اهم الاشارات على المعرفة المبكرة للحديد إضافة الى الخبث الحديدي المنتشر بكثافة في طبقات الألف الثاني وحتى الألف الأول، وقد وجد البرونز المخلوط بالحديد في مدافن نهاية الألف الثاني في كل من أوسيتيا والشاشان انفوش والذي اعتبر دليلاً إضافياً على المعرفة المبكرة للحديد .

وقد عرفت هذه الأقوام وعلى حدود السهوب وفي المناطق السهلية تربية الحصان بشكل قطيع ولانستبعد في هذه الفترة بروز الصدامات والحروب والنزاعات المختلفة.

٢ ـ الحضارة الكابانية: لقد سميت كذلك استناداً الى المدافن (كابان) المكتشف في اوسيتيا حيث عكست الاستقرار المحصن في المواقع المرتفعة المحصنة بشكل طبيعي، وقد بينت المساكن من الحجر والخشب المضفور المغطى بالطين،وهي مقسومة الى قسمين للسكن والعمل، وهذا القسم وجدت فيه بقايا شغل بالعظام والحجر والفخار والمعدن، إن الدفن كان يجري في صندوق حجري مكسي الجدران والميت بشكل مطوي على الجانب الأيمن أو الأيسر مع اليدين قرب الصدر قرب الوجه، كما وضعت الأواني الفخارية والبرونزية والمواد الغذائية كالغنم والبقر وكان يدفن أحياناً مع الميت حصانه بعتاد كامل وادوات عمل وادوات حربية مختلفة، ووجد في القبور النسائية أواني فخارية وإبر خياطة وأدوات نسائية وحلى وأسلحة.

٣ ـ القبائل في الششان والداغستان: لقد زاد توضع القرى في الأماكن المحمية والمحصنة طبيعاً وزادت التحصينات الصناعية، وبقيت محتويات القبور امتداداً للعصور السابقة والاسلوب السابق، وتظهر مدفونات بمرافقة الأحصنة، وبقيت الزراعة وتربية الماشية هي اساس الحياة الاقتصادية وتظهر مصنوعات معدنية جديدة مثل ملاقط الشعر ـ وازرار ـ ويتزايد عدد الأسلحة المعدنية التي تتطور باستمرار، وتكتمل صناعتها (نهايات الاسهم ـ الرماح ـ السكاكين ـ الخناجر ـ السيوف بقبضات برونزية مصبوبة، وتجهيزات الخيول، وقد اتخذت هذه الصناعة المعدنية اشكالاً مكتملة خاصة بالشمال القفقاسي ويظهر السلاح الحديدي وينتشر بدءاً من الألف الأول وتكون مصنوعة من شفرات فولاذية ومقابض برونزية، إن تطور الانتاج رافقة تطور اجتماعي للسكان المحليين وظهرت الفروق الاجتماعية، بالثروات المدفونة وخاصة فيما دفن مع الفرسان، كما ظهرت القلاع والمدن المحصنة، إن هذه المؤشرات تدلنا على العهد الذي اسماه المؤرخون في كل حضارات الشرق القديمة (الديمقراطية الحربية)

٤ ـ حوض الكوبان: لقد ظهر التعدين والصناعة الحديدية متوحدة مع الصناعة الكابانية ومنطقة الشسان وكذلك ظهرت على الساحل الغربي بين بستوندا وصوتشي، إن هذه اللقيات تظهر نمطاً مستقراً من الحياة الزراعية وتربية الماشية والتعدين المتطور لعصر البرونز ومنتوجات الحديد الأولية والدفن في وضع مطوي بيدين مرفوعتين بإتجاه الشمس مع المغرة الحمراء، واخيراً الحصان والفرسان ودفن الخيول وادوات الفارس وسلاحه ولباسه (دفن الخيول اقتصر على القوائم والرأس والجلد فقط) وإن الكثير من الصفات المشتركة الأخرى كان الدليل على تطور شمال القفقاس تطوراذاتياً في المكان الجغرافي وبشكل متوازن في كافة مناطقه واجزائه وإن

الاسماء المختلفة للمدافن كانت نماذج لحضارة واحدة تطورت في المكان والزمان الواحد في القفقاس الشمالي مما ظهر جلياًمن دراستنا السابقة للعصور الحجرية والمعدنية المتتالية.

إننا كما أكدنا أن القفقاس كان موازياًلإستيطان شعوب الاسرة القفقاسية خارج أرض القفقاس في النيوليت وحتى فجر التاريخ،فقد امتاز ايضاً بأسبقيته الحضارية في العصور المعدنية وخاصة في عصر البرونز وأنه كان موزعاً لهذه الحضارة وفي سائر الاتجاهات وهكذا فقد ساهمت قبائل القفقاس الشمالي في ايصال وظهور (تجارة وترانزيت -ونقل تكنولوجيا الأدوات المعدنية في اوربا الشرقية مثل النهايات السهمية المعدنية

الأدوات المعدنية في اوربا الشرقية مثل النهايات السهمية المعدنية وادوات وتجهيزات الحصان التي عرفت بالنموذج الترانسيليفاني وكذلك الخناجر والسكاكين، كما انتشرت عن طريق حوض الكوبان وفي الدون الغربي وحتى الفولغا أدوات معدنية قفقاسية شمالية مثل الفؤوس القتالية والأواني البرونزية والحليات المختلفة.
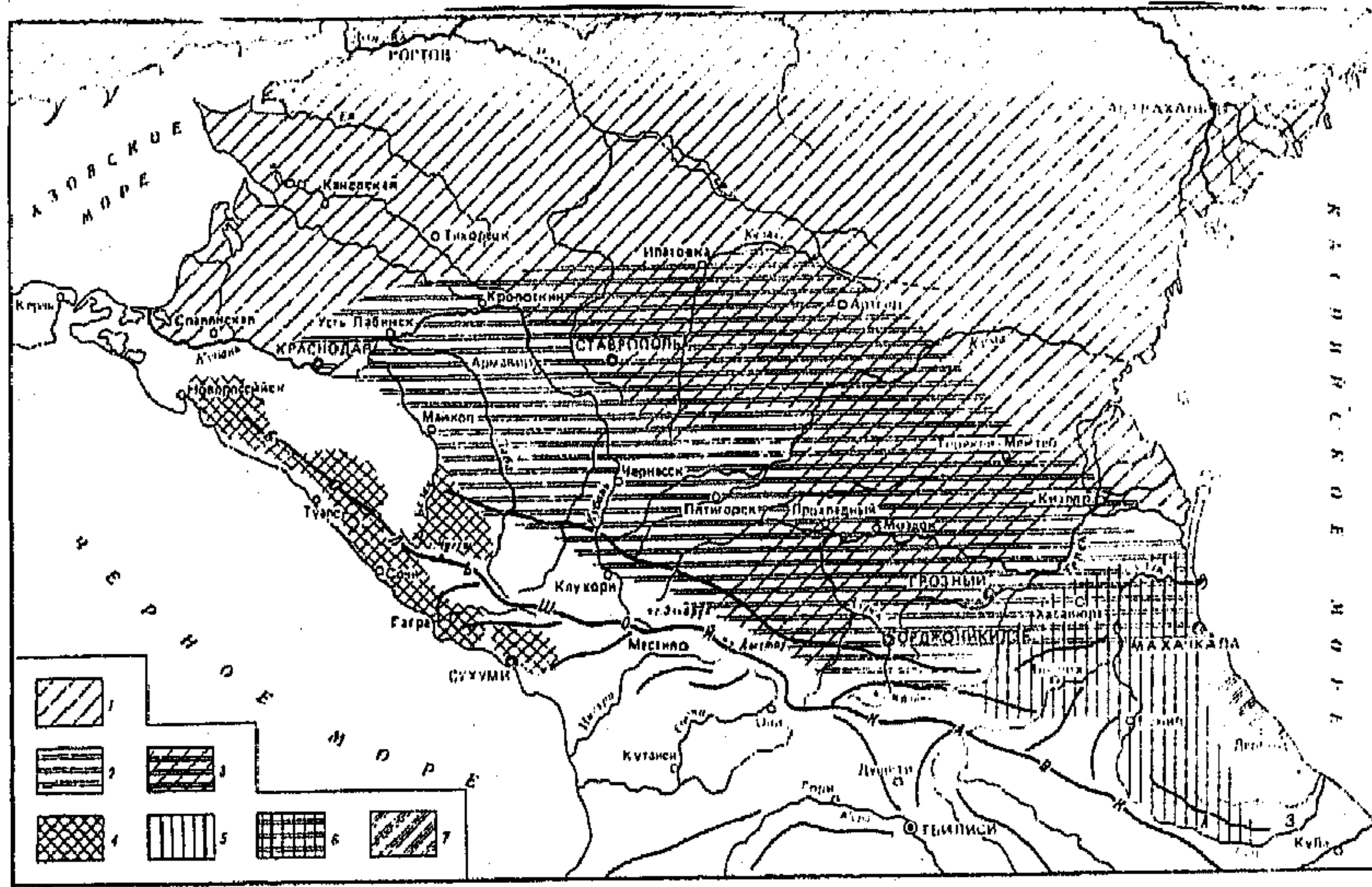
١ ـ حضارة الكتاكومب / ٢ ـ حضارة القفقاس الشمالي ٣ ـ التداخل ٤ ـ حضارة الدولمن ٥ ـ حضارة الألصاب ٦ ـ الكتاكومب الميخين

موجز الدراسة ودلالاتها

تبين لنا من مما سبق كثيراً من الدلالات التي يمكننا إقرارها وهي:

أولاً: تعود حضارة شمال القفقاس بجذورها الى عصور موغلة في القدم قبل التاريخ المكتوب ويمكن ان نستنتج انها تعود الى بدايات العصر الحجري الحديث على الأقل والى ماقبل ذلك مما لا يمكننا تقديره حيث نستند في قولنا هذا على ان مواقع الحفريات لم تشهد في القفقاس الشملي أية انقطاعات وامتازت بتسلسلها الطويل وتماثل مراحلها الحضارية والتي كانت كل واحدة منها استمراراًطبيعياً لما جاء بعدها مما يؤكد لنا توفر عامل الاستقرار الكامل والذي أدى الى تطور ذاتي في المكان الجغرافي مما يجمع عليهمعظم المؤرخين.

ثانياً: انتشار هذه الأسرة من الشعوب نحو آسيا الغربية جنوباً عبر دربند والكولخيد وغرباً بإتجاه اوربا مما سبق ان شرحناه بالتفصيل في فصول هذا الكتاب.

ثالثاً: إن ثورة عصر النيوليت الأولى وهي الانتقال إلى تربية الماشية والزراعة حدثت هنا في وقت مبكر وفي سائر الأرجاء التي انتشرت فيها هذه الأسرة لمناسبة المناخ والبيئة وتوفر استمرارية الشروط لهذا الانتقال بعكس أسر الشعوب التي جفت وتصحرت مواطنها بانتهاء العصر المطير في شبه الجزيرة العربية وشمال الهند والتركستان شرق بحر الجزر وآسيا الوسطى والسهوب شمال القفقاس (التي أدت إلى انقلاب وتراجع هذه الشعوب إلى الحياة الرعوية وربما بعد أن تكون قد عرفت بدايات الزراعة البعلية) والتي اكتملت وترسخت في الألف الرابعة ق.م ، في حين ترسخت حياة الزراعة وتربية المواشي بشكل كامل في مواطن أسرة الشعوب القفقاسية في كامل المنطقة موضوع بحثنا .

رابعاً: ان هذا الاستقرار في ممارسة الزراعة المروية وتربية الماشية وتطويرها أدى الى وفرة الانتاج لدى هذه الشعوب وتوفر لها مزيد من الوقت للتفكير فنشأت وتنوعت الديانة الطبيعية المعروفة وميتالوجياتها ونشأت المدن الكبيرة المسورة التي أحاطت كل واحدة منها بالمعبد

المركزي (الحضارات المدينية)

خامساً: اكتشاف وتطوير الصناعات التعدينيةوالصياغة في مواطن هذه الشعوب وخاصة في القفقاس الشمالي وآسيا الصغرى من منطلق توفر فلزات هذه المعادن بدءاً من النحاس الى البرونز الى الحديد.

سادساً: لقد حدثت الثورة الثانية لعصر النيوليت في فجر التاريخ في مواطن هذه الشعوب الحضارات المدينية Urban Civilisation وقد اخترع السومريون الكتابة الصورية منذ الألف الثالثة والتي سرعان ماطوروها الى كتابة مقطعية حسب لغتهم المقطعية واستخدموا اشارات سميت بالمسمارية، وكذلك اوجد العيلاميون والأورارتيون والحاثيون كتاباتهم الخاصة بهم وان كانوا قد استخدموا ايضاً الكتابة المسمارية وقد رأينا الكتابة الصورية المقطعية اللفظية الآشوية في حوض الكوبان وانتقالها الى الساحل الفينيقي منذ الألف الثانية أي قبل ظهور اقدم كتابة فينيقية بحوالي ٧٠٠ عام.

وهكذا كانت شعوب الأسرة القفقاسية في مواطنها المختلفة هي التي وضعت اولى الكتابات الصورية المقطعية منذالألف الثالثة والتي تطورت الى مقطعية مسمارية وقد استعارتها الشعوب الرعوية بعد الألف الثانية ق.م وغلبتها الديمغرافية والسياسية ونشرتها وطورتها على أرض امبراطورياتها الواسعة.

سابعاً وضعت هذه الشعوب اسس كل العلوم ـ كالحساب والفلك ـ الحقوق والطب ـ الأساطير والميتولوجيا الدينية التي تضمنت عبادة قوى الطبيعة.

سكان القفقاس الشمالي

آ ـ قدماء الآديغة (الميؤوت والسند)

تعتبر قبائل الميؤوت وقبائل ساحل البحر الأسود الأخرى مثل (الكركيت ـ التوريت ـ الزيخ ـ الآخ) قبائل ذات قرابة عرقية قوية فيما بينها وهم السكان الأصليون الذين لجدهم في القفقاس الشمالي الغربي بين نهر الترك وكامل مجرى نهر الكوبان وحتى شبه جزيرة تامان وفي شبه جزيرة القرم والمجاري الدنيا لنهر الدون بعد نهاية العصور الحجرية والمجتمعات البدائية والعصور المعدنية وقد تطوروا عنها في المكان الجغرافي .

إن مصطلح ميؤوت في المؤلفات التاريخية يحتوي على العديد من القبائل ذات الأرومة العرقية اللغوية الواحدة ومن هذه القبائل الميؤوتية :

(السند ـ الداندار ـ التوريت ـ الآريخ ـ التاريبت ـ الأبيدياكين ـ السيتاكين ـ الدوسخ وغيرهم

إن المؤرخين يحددون موقع قبائل الميؤوت على الساحل الشمالي الشرقي لبحر آزوف وحتى المجرى الأوسط والأدنى لنهر الكوبان وبذلك تكون حدودهم الشمالية السهوب حيث استوطنوا إلى أبعد من ستافروبول الحالية فجاوروا بذلك الكيميريين ومن بعدهم الاسكيت ثم السارمات وفي الجنوب والشرق منهم قبائل أخرى ذات قرابة عرقية ولغوية قوية مع الميؤوت وحتى نهر التيرك .

إن الميؤوت شكلوا مجموعة كبيرة من القبائل ذات الأرومة الواحدة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المنطقة في قرون ما قبل الميلاد ، وقد عملت هذه القبائل في الزراعة المستقرة كما عملت في الرعي النصف متنقل وإن الجزء المستقر سكن السواحل الشرقية لبحر آزوف والمجاري الجنوبية من أنهار السهوب مع عدم التوغل شمالاً في السهوب وتتوضع آثار العديد من القرى شكل سلسلة متصلة من النقطة التي ينعطف فيها نهر الكوبان غرباً وحتى وصوله إلى مصبه أي على طول مجراه الأوسط والأدنى في الجوف (المقعر) المليء بالترب اللحقية الخصبة وقد مارس السكان تربية الماشية وصيد السمك بالشباك .

لقد كانت الأسرة هي الحلقة الأولى في البناء الاجتماعي القبلي ومع تطور الانتاج والتجارة والحروب تراكمت الثروات عند بعض العائلات ، وظهرت عدم المساواة الاجتماعية ، وفي هذه الفترة تأصلت الديمقراطيات الحربية مع وجود التقسيم القبلي وتزعم الفرسان هذه المجتمعات .

ب ـ قبائل الحضارة الكابانية

إلى الشرق من نهر الكوبان وفي نهاية القرنين السابع والسادس ق.م انتشر حاملوا هذه الحضارة على المنحدرات الشمالية للقفقاس الشمالي المركزي وحتى المناطق المنبسطة من نهر القوما والمجرى الأوسط لنهر الترك وشرقاً إلى أبعد من نهر أكساي وعرف من تسميات هذه القبائل تسمية (غارغاري) بين نهري الترك وسونجا .

إن أصحاب هذه الحضارة كانوا ينتسبون إلى العائلة الايبيرية من اللغات القفقاسية وإن الميزات والصفات الحضارية التي ظهرت في حياتهم كانت :

١ ـ أسلوب تربية الماشية ذو الطابع المتنقل

٢ ـ المستوى العالي لسكب وصناعة البرونز

٣ ـ تطور تعدين الحديد

٤ ـ العلاقات القوية مع سكان السهوب الشمالية وكذلك العلاقات القوية جنوباً في بلاد ماوراء القفقاس وآسية الأمامية .

٦ ـ بدايات ظهور الدول في القفقاس الشمالي :

منذ الألف الثاني هناك بوادر الانتقال البطيء إلى عصر الحصان والحديد ، ومنذ الألف الأول يصبح الحديد سيد عصره في خدمة الإنسان في القفقاس الشمالي أمام تراجع البرونز ومنذ القرن السابع ق.م يصبح الحديد السلعة الاستهلاكية السائدة على المستوى الشعبي وتصنع منه معظم الأدوات لصفاته الصناعية التي لم يرق إليها أي معدن آخر ، وهكذا فقد كان الحديد الفلز الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ هذه الشعوب وأصبح المادة الصناعية الشائعة لصنع الأدوات والاسلحة وفي عموم القفقاس الشمالي تتوضع آثار القرى المحمية طبيعياً أو صناعياً بانشاء الأسوار الدفاعية والأبراج مع انتشار البناء الحجري القائم الزوايا ، وظهرت المدافن الفردية النادرة بشكل مطوي على الجانب (كورغان) وذلك في مناطق السهول ، وكذلك المدافن الصندوقية الحجرية في الجبال والمدافن الجماعية ، كما دفن مع الموتى الأواني وأدوات العمل والأسلحة والحلي .

كان العمل الأساسي هو الزراعة وتربية الماشية وزودت الأدوات الزراعية بنهايات معدنية وظهرت المناجل الحديدية وتوسعت الأراضي الزراعية والمصاطب الصناعية في الجبال وسفوحها واحتفظ بمخزون الحبوب في حفر معدة خصيصاً ومطلية بشكل جيد ومتقن ولحفظ الطحين والفاكهة والمنتجات كالحليب والنبيذ استخدمت أواني فخارية ضخمة ، ومن البقايا العظمية يمكن أن نستنتج أن قطعان الماشية كانت من ذوات القرون الضخمة والقرون الصغيرة وكذلك

الخنازير ، وقد ربيت الأغنام والخنازير في السفوح الجبلية بكثافة كما ظهرت اصطبلات الخيول وتعددت أنواعها السمينة القوية المخصصة للنقل والأخرى النحيفة للعدو والركوب كما تطورت تربية الدواجن وصيد الأسماك .

وظهرت المجالات الانتاجية الأخرى كالصناعة الحديدية واستخرجت خاماته في كل من الداغستان والكوبان الأعلى والقفقاس المركزي حيث وجدت ورش الحدادين وبقايا الأفران وخبث الحديد وقطع الحديد التالفة (خطأ في التصنيع) كما ونصادف بشكل عادي السيوف والخناجر ونهايات الأسهم والرماح وإن تحليل الحديد أثبت أنها صنعت من الفولاذ مع استعمال الطرق الساخن والتبريد السريع ، كما وتراجعت مصنوعات المعادن الملونة مع بقاء استخدامها للزينة والفن . وتتابع الصناعة الفخارية ذات الأشكال المتنوعة تطورها بعد انتشار دولاب الفخاري بدءاً من حوض الكوبان وبشكل واسع وعام صارت الصناعة الفخارية ذات نوعية عالية الجودة .

ومع تزايد استخدام الحديد ظهر تزايد استخدام لتحصين في القرى ويتطور البناء الحجري وتظهر الأبنية العامة والشوارع .

إن التطور السريع للصناعة الحديدية والمعادن الملونة ومعاملتها واستخدامها دولاب الفخاري ومستوى البناء الحجري المتقدم كان مؤشراً على تغلغل وانتشار المهن والتخصص في هذه المجتمعات التي عبرت بخطوة كبيرة نحو التقسيم الاجتماعي حسب العمل وانفصل قسم كبير من الناس عن العمل في الأرض .

لقد زاد النمو السكاني وزادت الأرض المستغلة وزاد السكان المستقرين وحدثت صدامات قبلية حول الأرض وقوي الشعور بملكية الأراضي وظهرت أخطار الحروب ويشهد على ذلك انتشار التحصين حول القرى .

إن الهجرات الجماعية والصدامات المسلحة المحلية قوت سلطة الزعماء وركزت الثروة في أيديهم عن طريق غنائم الحرب ، ونشاهد هذه الثروات في المدافن الغنية بالحلي والأدوات حتى أننا نجد قطعاً من المعادن الثمينة وقد وجدت نتيجة لذلك طبقة العبيد لدى الأسر الغنية والذين كانوا على الغالب أسرى الحروب وبقيت هذه العبودية على مستوى الزعماء فقط ، وزهر التفاوت الاجتماعي ووجدت الأرستقراطية الحربية يمثلها الفرسان وكان الحصان دائماً متخماً بالأسلحة الثمينة الغالية والمعدات المتنوعة الكثيرة ودخلت القبائل المتجاورة في اتحادات كبيرة للوقوف في وجه الأعداء مما استدعى وجود روابط تنظيمية للسلطة وهكذا تشكلت هذه المجتمعات على شكل ديمقراطيات حربية .

سكان السهوب الشمالية (الحضارات الرعوية الشمالية)

أ ـ الكيميرين: قيل العديد من الفرضيات والآراء حول تحديد موطن أصلي مفترض لهذا الشعب، وربما كان السبب هو تواجدهم في أماكن عديدة ومتباعدة، وهذا قد يرجح آراء بعض المؤرخين الذين وصفوا هذا الشعب بأنه كان جوالاً نهاباً، وقد جاء ذكرهم ووصفهم في الأماكن التالية (شمال بحر قزوين ـ الجوتلاند اقصى الشمال ـ الغابة الهرسينية ـ شمال اليونان ـ ايطاليا) وكذلك تركوا اسماء للمعالم الجغرافية مما لايمكن ردهاا للصدفة في كل من بلجيكا وفرنسا وبريطانيا مثل كامبرلاند ـ كامبريا ـ كيميريس ـ كاماراكوم....

ومهما يكن من أمر فإنه غدا من الثابت انهم من اوائل سكان السهوب شمال القفقاس الشمالي وبحر آزوف والبحر الأسود فجاوروا بذلك الميؤوت والسند لذلك يرجح المؤرخون انهم اصحاب حضارة مدافن الكاتاكومب التي مر ذكرها، وقد جاء ذكرهم في المصادر اليونانية والرومانية ولدى الأشوريين وكانت عاصمتهم كيمريس على بحر آزوف عند البرزخ الكيميري وتركوا الكثير من الأسماء التي تدل على تواجدهم في شبه جزيرة القرم كما سمي آزوف ـ مارة سيميريوم ـ والبحر الأسود برنتوس سيميريكوس...

لقد غادر قسم من الكيميريين شواطىء البحر الأسود الشمالية حوالي نهاية الألف الثاني ق.م عن طريق البلقان الى آسيا الصغرى، وتكررت هذه الهجرة بضغط من السكيت ولكن الطريق هذه المرة كان عن طريق الساحل الشرقي للبحر الأسود أي بلاد الشركس عبر القوبان والكولخيد والتقوا بسابقيهم وتدخلوا في مجريات الأحداث السياسية في آسيا الصغرى خلال القرن السابع ق.م وقد ساعدوا الملك الآشوري صارغون ضد اورارتو (٧٠٩ ق.م) ولكنه انقلب عليهم وهاجمهم فحاربوه وتمكنوا منه فقتل في المعركة. واتجهوا بعدها واحتلوا مدينة سينوب، ودخلوا اقليم ميديا وتغلبوا على ملكها (٦٩٦ ق.م) وفي عام (٦٧٩) حاربهم أسرحدون وتغلب عليهم.

وقد توجهوا جنوباً واجتاحوا سوريا وفلسطين ٦٣٧ ق.م حتى الحدود المصرية التي ردهم عنها فرعون مصر بسامتيح بأن أجزل لهم العطاء فعادوا الى آسيا الصغرى، وفي عام ٦٢٠ ق.م تغلب عليهم ملك ليديا آلياتس فانتهى ذكرهم ومن المحتمل انهم تفرقوا واستوطنوا اماكن متفرقة من آسيا الصغرى .

إن مايهمنا من أمرهم هو ذكر امبراطوريتهم الاتحادية التي ضمت قبائل قفقاسية شمالية كالميؤوت والسند والداندار والتوريت وغيرهم من سكان ساحل البحر الاسود والجزء الغربي من القفقاس الشمالي،

إن زوال هذه الامبراطورية وهجرة الكيميريين على يد السكيت أدى بالتالي الى انكماش

وانزواء قبائل القفقاس الشمالي خلف نهر الكوبان وقد ترك الكيميريين بعض آثارهم المادية في اللقيات الأثرية كما تركوا آثاراً ديموغرافية قد تكون متمثلة بأسماء بعض العائلات كمرغوقة او بعض القبائل كمركوي - من قبائل القفقاس الشمالي.

اننا يمكن أن نميز آثار هؤلاء الكيميريين بمجموعة من الأدوات التي تنسب اليهم وجدت في حوض الكوبان وفي سهوب القسم المركزي لما قبل القفقاس الشمالي، وهذا يدلنا على ان القفقاس الشمالي كان الطريق الهام لمسيرة الكيميريين مما يكون قد نجم عنه حركة تجاذب قبائل القفقاس الشمالي في عملية التنقل العام للشعوب.

خلال الفترة من الألف الثاني إلى الألف الأولى ق.م حدثت التغيرات التالية داخل المجتمع القبلي وهي بروز الفروق الطبيعية نتيجة تراكم الملكية الاسرية ورسوخ نظام الأسرة الأبوية بشكل قوي وكذلك قيام اتحادات حربية وبروز علاقات قوية مع دولة اورارتو تترجمها الآثار الآسيوية الاورارتية كالسكاكين والخناجر والفؤوس وأدوات الحصان.

وقد تبلورت الملاحم والاساطير التي تشكلت من أساطير النارتيين القديمة (العقيدة العبادة التي تماشت مع تطور نظام الاسرة الابوي بظهور التنوع الكبير في عبادة قوى الطبيعة -آلهة العطاء والخير تبجيل الأجداد،قدسية الأرض،تربية الماشية والكهنة الذين احتلوا المرتبة العليا في بنية المجتمع القفقاسي الشمالي.
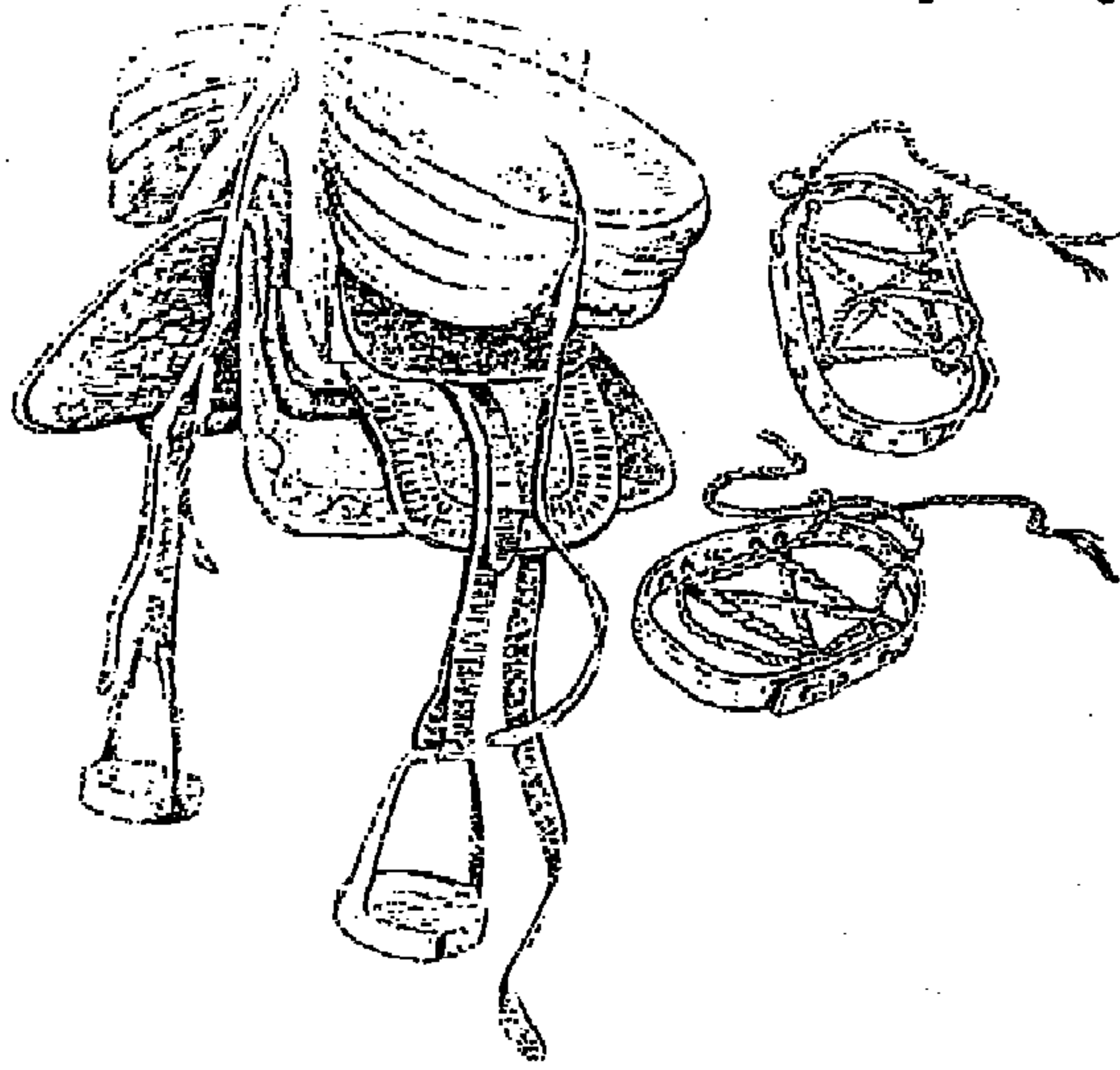
السرج الشركسي عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

ب ـ السكيت : قدم السكيت من آسيا في القرن السابع ق.م وكانوا يتحدثون لغة إيرانية ةطردوا الكيميريين أمامهم كما رأينا من شمال بحر فيزوف ومنطقة المدن وعموماً مناطق السهوب وفي السبعينيات من القرن السابع تابعوا تقدمهم غرباً وانعطف قسم منهم جنوباً لعبور القفقاس عن طريق دربند وبشكل أقل عن طريق ممر داريال والكولخيد لذلك اصطدموا سكان القفقاس الشمالي الذين قاوموهم مقاومة عنيفة وزالت نتيجة هذه الحروب الكثير من القرى المستقرة من الوجود واحرقت ونهبت وتناقص السكان الاصليين تناقصاً مفجعاً وكبيراً وربما لأن قسماً من السكان اضطر للانخراط في صفوف الإسكيت ، وقد وصل الاسكيت إلى آسيا واستمر نشاطهم السياسي والحربي حتى القرن السادس ق.م وخلال هذا الوقت وبمشاركة العناصر القفقاسية اكتسب هؤلاء الاسكيت مجموعة من الصفات والمهارات كصناعة نمط معين من الاسلحة الراقية وأدوات الخيل المتطورة وكثيراً من فنون القتال القفقاسية .

ج ـ السرمات : عاش السرمات إلى الشرق من الاسكيت منذ القرن الخامس ق.م وتحدثوا اللغة الإيرانية (لغة الاسكيت بلهجة سيئة) ويمتون لهم بقرابة عرقية أو أنهم من مخلفات الإسكيتبعد رحيلهم وقد شكلوا اتحاداً قبلياً ومع بداية القرن الثاني ق.م بدأ السرمات يتقربون من الضفة اليمني لنهرالكوبان ويستوطنون بعد أن تركوا حياة التنقل والترحال وتعلموا الزراعة والحياة المستقرة وذابوا شيئاً فشيئاً في المجتمع القفقاسي دون أن يتركوا أي أثر ديمغرافي .

٨ ـ العلاقات الحضارية لسكان القفقاس الشمالي :

إن العلاقات السابقة الذكر مع الكيميريين والاسكيت والسرمات سواء الصدامية منها أو الساكنة ترك آثاره الواضحة في التفاعل الحضاري بين شعوب شمال القفقاس ذات الحضارات الزراعية وتربية الماشية والشعوب الرعوية المتنقلة الشمالية على مستوى الصناعة والأدوات والصياغة المعدنية ولم يترك مخلفات أو آثار بشرية سكانية .

وكذلك تظهر علاقات سكان القفقاس الشمالي أكثر قوة وثراء مع آسيا الأمامية بأنواع اللقى الأثرية والقطع المعدنية والاسلحة والأواني إضافة إلى الآثار الفكرية والروحية وتشابهها الشديد مما أشرنا إليه سابقاً من هجرات قديمة لهذه الشعوب نحو آسيا الغربية عموماً مما تؤكده هذه التشابهات إضافة إلى المؤشرات الأخرى الكثيرة التي أشرنا إليها في حينه دلالة على عمق وقوة هذه العلاقات .

٩ ـ الاستعمار اليوناني : دولة البوسفور وعلاقتها بدولة السند وقبائل الميؤوت :

تواجدت المستعمرات اليونانية بشكل مدن واضحة وصريحة منذ القرن السادس ق.م وربما كانت بداياتها أقدم من ذلك بكثير وانتشرت في الحوض الشمالي للبحر وعلى ضفتي

البوسفور الكيميري وهذه المدن كما ذكرها لنا المؤرخون القدماء تربوا على ثلاثين موقعاً ظهرت في أوقات مختلفة وأكبرها كانت (بانتيكه) وهي حالياً في مكان مدينة كيرتش وقامت إلى جنوبها مدينة (نيفريه) وإلى شمالها مدينـة ميرميكي ، وفي شبه جزيرة تامان قامت مدينة (فاناغوريا) وإلى غربها (غيرماناسا) وفي موقع أنابه الحالية قامت مدينة (عغوركيبيا) ..

وقد توحدت هذه المدن اليونانية في دولة واحدة عرفت بدولة البوسفور أو القيصرية البوسفورية وتتالى على حكمها عائلاتان الأولى أسرة آركيانكنيد الذين حكموا حتى عام ٤٣٨ ق.م وتلتها أسرة السبارتاكيين الذين حكموا حتى بداية القرن الأول ق.م .

وبالمقابل فقد أنشأت قبيلة السند من قبائل الميؤوت دولتها وكانوا مجاورين لدولة البوسفور وقد دخلت دولة البوسفور في علاقات اقتصادية وسياسية قوية مع السنديين وقبائل الميؤوت وليس أدل على ذلك من الحروب التي نشبت بسبب هروب القيصرة (تيرغاتاو) إلى الميؤوت وأن السند حاربوا إلى جانب ألقيصر لاستمرداد زوجته وقد انتهت تلك الحروب بقبول القيصر ساتير الأول لهدايا ثمينة من الميؤوت .

لقد مونت قبائل السند وقبائل الميؤوت البوسفور واثينا بالمواد الزراعية وخاصة القمح كما استوردت كثيراً من المواد المصنوعة وحدثت حركة تجارية ناشطة قامت المدن اليونانية بدور الوسيط فيها .

وجرى تبادل ثقافي واسع النطاق وقد اقتبس اليونان كثيراً من أجمل اساطيرهم من اساطير نارت الشركسية وجرت حوادث تلك الاساطير في القفقاس وصلب بروميتية على قمة البروز متأخراً أكثر من ألف عام عن نصرن جاكه مما يدل بدون شك على اسبقية الأدب الروحي والثقافي القفقاسي الذي نهلت منه الحضارة اليونانية بدون حساب ولارقيب .

وعند ظهور الخطر السرمائي دخل السند في تحالف قوي مع دولة البوسفور وانضووا تحت لوائها ولو بشكل شكلي وتبعهم في ذلك قبائل الميؤوت التي اعترفت شكلياً بالقيصر البوسفوري وكان ذلك نوعاً من التحالف ضد الأخطار القادمة من الشمال الشرقي .

إن هذا الانضمام لقبائل الميؤوت كان يحمل طابعاً تحالفياً أكثر منه عملي حيث بقيت حدو دهم كما هي خارج حدود دولة البوسفور وحافظ الميؤوت على زعمائهم وقادتهم وعلى استقلالهم .

الهوامش والمراجع

١ ـ إن كل ما ورد في هذا الفصل مقتبس من الدراسات السوفيتية كتاب تاريخ القفقاس الشمالي لـ ب ـ ب بتروفسكي وكتاب ذهب القوبان لـ ن انفيموف وكتاب اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة لـ ف.ف.تورتشيانينوف وغيرها .

٢ ـ لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل للسادة الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب سواء بالترجمة عن الروسية أو تقديم العون والمشورة أو تقديم المراجع والوثائق والمستندات .

والله الموفق
دمشق في ٣١ / ٧ / ١٩٩٥
برزج أمين سمكوغ
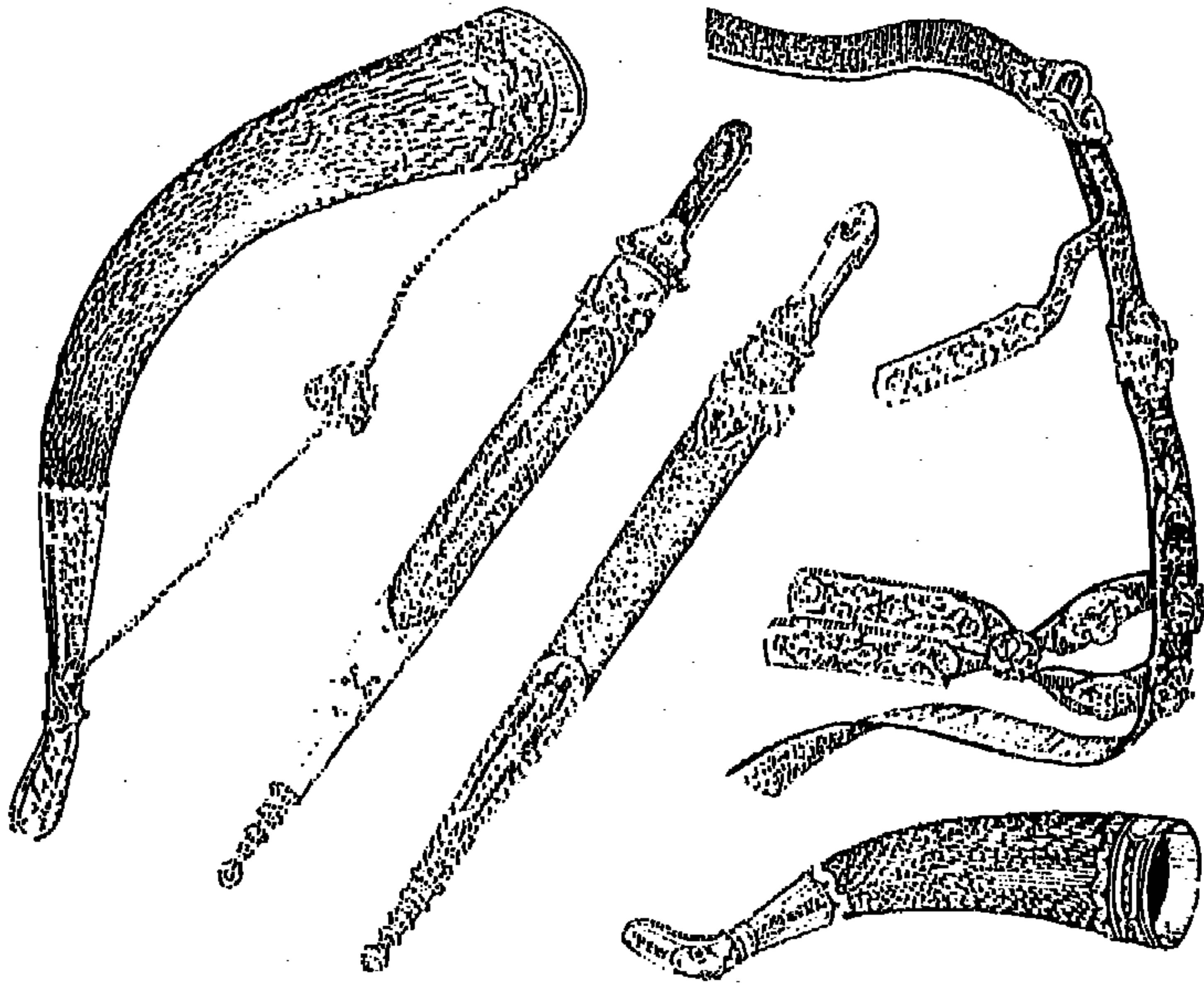
أسلحة مزخرفة بالذهب والفضة عن كتاب الشركس (محمد خير حغندوقه)

مستعمرات العصر الحجري القديم من مليون أو ٣٠٠,٠٠٠ سنة حتى ١٢,٠٠٠ق.م

مستعمرات العصر الحجري الوسيط من ١٢,٠٠٠ سنة ق.م حتى ٨,٠٠٠ سنةق.م
الإنسان العاقل Homosopen

مستعمرات العصر الحجري الحديث من ٨,٠٠٠ سنة ق.م ـ ٥٠٠٠ سنة ق.م
الجنس القوقازي Rasse Caucasien

السلالة النوردية الشمالية — السلالة الالبية الوسطى — السلالة الجنوبية البحر الأبيض المتوسط

الشعوب السامية — القوقازي الأصلي السلالة البونت ستاي سوسرقه أنت نارت Paleo Caucasien حضارة الدولمان والكورغان — هند أوربية أورال ، كربات حضارة كتاكومب — أوربا — افريقيا

هجرة شعوب الجبال (آسيا الغربية) — القوقازيون الشرقيون — القوقازيون الغربيون — كريت اتروسك — الكيميريون — اسكيت

ايران ما بين النهرين القدماء: سومر — حوري — اورارتو — حاث — كاسك — عيلام

الداغستان: ١ ـ أواو، ٢ ـ وراجين، ٣ ـ قوموق، ٤ ـ ليزك

الوايناخ: ١ ـ ششان، ٢ ـ انغوش

الميوت السند الكركت — الكاسوغ (كاسك): ١ اديغه اديغي، ٢ اديغه قبردي، ٣ اديغه ج غربية

الزيخ — وبخ

الحنيوخ — أباسغ: ١ ابخاز، ٢ ابازه

السالي — الآس — السارمات — اللان: ١ الاستين

المراحل: الصيد وقطف الثمار — زراعة بدائية بعلية + صيد + ماشية — زراعة مستقرة مروية + ماشية

العصور: ـ حجري ـ — الحجري النحاسي — البرونز — الحديد

المحتوى

١ ـ كلمة لابد منها ٥ ـ ١١
هوامش ومراجع ١٢ ـ ١٤
٢ ـ المقدمة ١٥ ـ ٢٥
أ ـ ايضاح بعض التسميات الهامة ١٥ ـ ١٦
ب ـ لمحة عن أدوار التاريخ ١٧ ـ ٢٠
ج ـ الرقعة الجغرافية ـ الزمن موضوع البحث ٢١ ـ ٢٣
د ـ هوامش ومراجع ٢٤ ـ ٢٦

الفصل الأول

أ ـ الأصول والقرابات القديمة ٢٨ ـ ٣٧
ب ـ القفقاسيون الأصليون ٣٨ ـ ٤١
ج ـ الأمة التي ينتسب اليها الشركس ٤٢ ـ ٤٣
د ـ اندماج شعوب الأسرة القفقاسية ٤٤ ـ ٥١
هـ ـ الشعوب القفقاسية التي نجت من الاندماج ٥٢ ـ ٥٦
و ـ موجز الفصل الأول ٥٧ ـ ٥٩
ز ـ هوامش ومراجع ٦٠ ـ ٦٩
ح ـ مصورات ايضاحية ٧٠ ـ ٧٧

الفصل الثاني

أسرة الشعوب القفقاسية في آسيا الغربية

أ ـ المسألة السومرية

١ ـ ايضاح المسألة السومرية ٧٩ ـ ٨٣
٢ ـ أقوال بعض المؤرخين ٨٤ ـ ٨٧
٣ ـ ملاحظات حول المسألة السومرية ٨٨ ـ ٩٣

٤ ــ بعض خواص اللغة الشركسية ٩٤ ــ ٩٩
٥ ــ الدراسة المقارنة ١٠٠ ــ ١١٦
٦ ــ الهوامش والمراجع ١١٧ ــ ١٢١
٧ ــ معاني الحروف الشركسية ١٢٣ ــ ١٣٢
٨ ــ موجز التحليل والمقارنة ١٣٣ ــ ١٣٥
ب ــ المسألة الحاثية ١٣٦ ــ ١٤٤
ج ــ العيلاميون ١٤٥ ــ ١٤٦
د ــ الكاشيون ١٤٦ ــ ١٤٧
هـ ــ الاورارتيون ١٤٧ ــ ١٤٩
و ــ الحوريون ١٤٩ ــ ١٥٠
ز ــ موجز الفصل الثاني ١٥١ ــ ١٥٣
ح ــ هوامش ومراجع ١٥٣ ــ ١٦١

الفصل الثالث
شعوب القفقاس الشمالي (الشركس)

أ ــ جغرافية الوطن القفقاسي الشمالي ١٦٢ ــ ٢٠٠
١ ــ البناء ١٦٢ ــ ١٦٣
٢ ــ الجيولوجيا ١٦٣ ــ ١٦٤
٣ ــ الموقع والحدود ١٦٤ ــ ١٧٢
٤ ــ مناخ القفقاس الشمالي ١٧٣ ــ ١٧٤
٥ ــ أقاليم القفقاس الشمالي ١٧٥ ــ ١٨١
٦ ــ الحياة البشرية ١٨١ ــ ١٨٤
٧ ــ الحياة الاقتصادية ١٨٥ ــ ١٨٩

٨ ـ الواقع الثقافي الاجتماعي ١٨٩ ـ ١٩٥
٩ ـ الهوامش والمراجع ١٩٦ ـ ٢٠٣
ب ـ القفقاس الشمالي في العصور الحجرية
١ ـ العصر الحجري القديم ٢٠٣ ـ ٢٠٦
٢ ـ العصر الحجري الوسيط ٢٠٦
٣ ـ العصر الحجري الحديث ٢٠٦ ـ ٢٠٨
٤ ـ العصر الحجري النحاسي ٢٠٨ ـ ٢١١
ج ـ القفقاس الشمالي في العصور المعدنية
١ ـ البرونز المبكر حضارة مايكوب ٢١٢ ـ ٢٢٣
حضارة كورا أواكس ٢٢٣ ـ ٢٢٥
٢ ـ البرونز الأوسط حضارة الشمال الغربي ٢٢٦ ـ ٢٢٨
حضارة الشمال الشرقي ٢٢٨ ـ ٢٣٠
حضارة السهوب الشمالية ٢٣٠ ـ ٢٣١
٣ ـ البرونز المتأخر حضارة الشمال الغربي ٢٣١ ـ ٢٣٢
الحضارة الكابانية ٢٣٢
قبائل الشثان والداغستان ٢٣٢
حضارة حوض الكوبان ٢٣٢ ـ ٢٣٣
٤ ـ موجز الدراسة ٢٣٤ ـ ٢٣٥
د ـ سكان القفقاس الشمالي
قدماء الآديغه الميؤون والسند ٢٣٦ ـ ٢٣٨
قبائل الحضارة الكابانية ٢٣٧
بدايات ظهور الدول ٢٣٧ ـ ٢٤١
سكان السهوب الشمالية ٢٣٩ ـ ٢٤٣
الاستعمار اليوناني ٢٤١ ـ ٢٤٤

(البرونز المبكر)

الصياغة المعدنية الراقية في حضارة الميؤوت ، عن كتاب ذهب الكوبان

(البرونز المبكــر)

الصياغة المعدنية الراقية في حضارة السند عن كتاب ذهب الكوبان
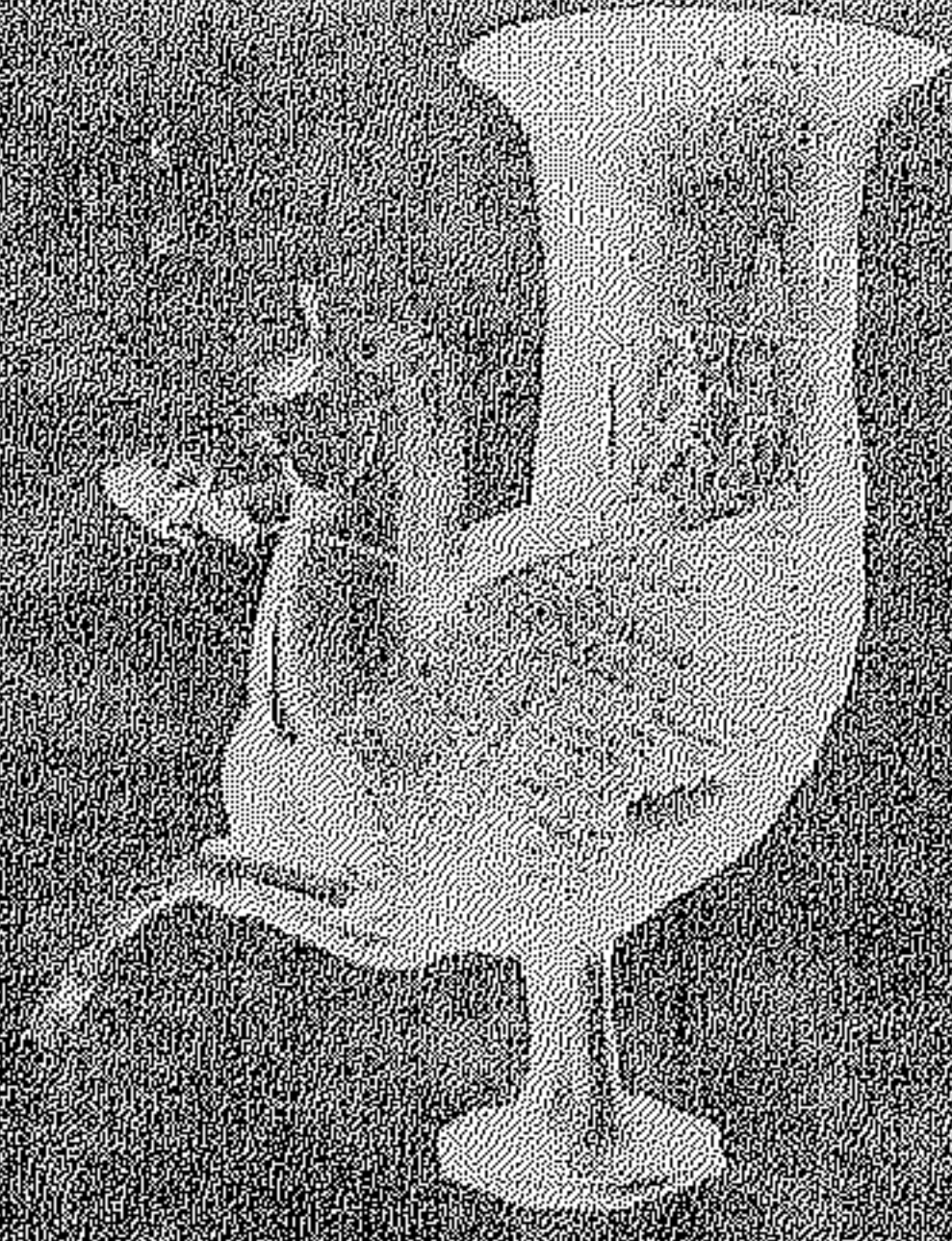
- الشركس من الشعوب القديمة التي نجت من الاندثار الذي أصاب مجموعة كبيرة من شعوب الأسرة القفقاسية التي كانت قد استوطنت في آسيا الغربية (عيلام وسومر وأورارتو - وحور - وحات - وكاسك) وبنت في مواطنها الحضارات المدينية (الزراعة وتربية الماشية) Urban Civilisation واجتازت فجر التاريخ بلغاتها المقطعية وكتابتها الصورية التي تطورت إلى رموز مقطعية مسمارية بما يناسب طبيعة اللغات المقطعية وقد استوطنت غرباً على أجزاء من القارة الأوربية (الأوربيون القدماء قبل الازدهار الآري الحالي) ومنهم بناة الحضارة الكريتية القديمة والأتروسك وغيرهما .

- استمرت عملية اندثار هذه الشعوب في مواطنها وزالت لغاتها المقطعية طوال الألفي عام قبل الميلاد تحت وطأة طوفانات الهجرة المستمرة لشعوب المراعي الجنوبية والشمالية ذات الحضارات الرعوية Pactoralist

- لقي تاريخ هذه الشعوب ولغاتها المقطعية وكتابتها كثيراً من عدم الاكتراث أو عدم الحماس في خضم التزاحم والتسابق على كتابة تاريخ الشعوب التي جاءت بعدها والتي لا تزال سائدة اليوم على رقاع واسعة من العالم .

- إننا في هذا الكتاب ننوه إلى تعلم ودراسة هذه اللغات المقطعية وزيادة الاهتمام بها لأنه وبكل بساطة وعفوية وأمانة قامت هذه اللغات بتسجيل حضارة الإنسان من خلال حروفها ومقاطعها وكلماتها بما لا يقل أهمية للباحثين في التاريخ القديم عن الحفريات والبحث المضني والشاق الذي يقومون به ومما لا تقدر عليه اللغات الاشتقاقية السائدة اليوم .

المؤلف

منشورات دار علاء الدين دمشق - ص.ب ٣٠٥٩٨ هـ : ٤٤٢٧١٥٨
دار علاء الدين